كتاب

زبدة كشف الممالك

يطلب من مكتبة المثنى ببغداد

كتاب

زبدة كشف الممالك

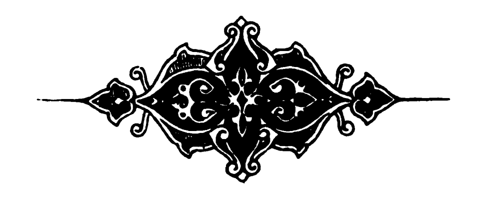
وبيان الطرق والمسالك

تأليف

غرس الدين خليل بن شاهين الظاهرى

قد اعتنى بتصحيحه

بولس راويس



طبع

فى مدينة باريس المحروسة

بالمطبعة الجمهورية

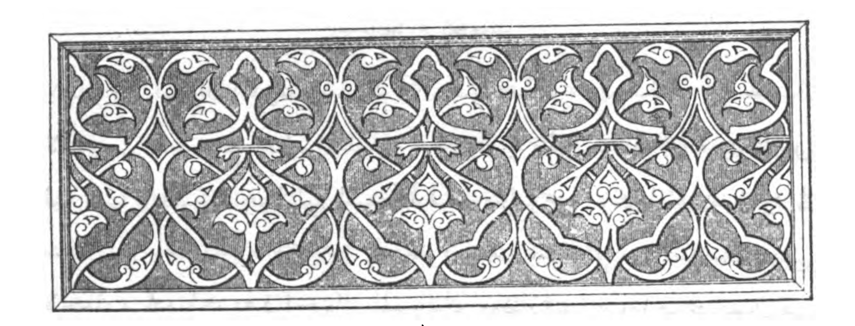
سنة ١٨٩٤ مسيحية

كتاب

زبدة كشف الممالك

وبيان الطرق والمسالك

IMPRIMERIE NATIONALE.



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رافع بعض خلقه فوق بعض درجات ، ومفضّل من اختاره
بالافهام الزكيّة لبلوغ المكرمات ، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك
له شهادة هي احسن الحسنات ، واشهد ان محمّدًا عبده ورسوله المبعوث
بالمعجزات ، صلّى الله عليه وعلى آله واصحابه العظام وازواجه الـ[(1)   ]
صلاة دايمة ما دامت الارض والسموات ٭ وبعد فان قلم القدر اذا جرى
في القدم للعبد بالتوفيق والارشاد ، وقضى له في حركاته بالتأييد
والاسعاد ، فيكرمه الله تعالى بسجايا يمنّ بها عليه فينال بما يؤمّله
اقصى المراد ، ويقوّى [2] عزمه ، ويزكّى فهمه ، فلم يزل من فضل الله كل
يوم في ازدياد ، بما انعم عليه من العقل الوافر ، والشاء العاطر ، والذكاء
الوقّاد ، حتى يرى من اقرانه ممّن يروم مناظرته وان كان انسانًا
كالجماد ، فيستعبد بالاحسان رقاب الاحرار منحةً يخصّه بها ربّ العباد ،

[1] Mot effacé dans le ms. A, peut-être كرام.

[2] ويقوّى par conjecture; A porte ويوقض qui n'offre aucun sens.

فيحوز من احوال الملوك وسيرهم اكال البراعات ، ويسلك من سبل
الاداب فى خدمهم اعلى المقامات ، فيخصّوه بالمراتب العليّة ، وينظرون
اليه سرًّا وجهرًا ، وبطالع امور المملكة برًّا وبحرًّا ، فاذا امتحنوه فى
تصرّفاتهم بالاختبار ، وتحقّقوا طويّته فيصير عندهم من المصطفين
الاخيار ، فحينئذ يعلم احوال الممالك ووظائفها ، وما يتحصّل من
الاموال ومصارفها ، وما يحتاج اليه الملك والملوك ، وما يتمّ به المناصب
من الخدم والسلوك ، من اعلى المراتب وادناها واظهرها لسائر الناس
واخفاها وما شأن كل احد فى السكون والحركات ، وما يحدث من النقلة
والتصرّفات ، [1] فان كثيرًا من الناس يعجز عن ادراك نفسه ، ويقصر عن
ضبط ما اتّفق له فى يومه وامسه ، فلذلك يقول العبد الفقير الى الله
تعالى خليل بن شاهين الظاهرىّ لطف الله به ، انّنى صنّفت كتابًا
وسمّيته كشف الممالك ، وبيان الطرق والمسالك ، ويشتمل على مجلّدين
ضخمين يشتملان على اربعين بابًا جملة ذلك ستّين كرّاسًا فى قطع الكامل
معتمدًا فى ذلك ما شاهده العيان ، او تحقّقته من نقل الثقاة الاعيان ،
الذين يُركن اليهم غاية الاركان ، اطّلعت عليه من كتب المتقدّمين ،
وما وجدته منقولاً عن المشائخ المعتبرين ، ثم رأيت ذلك الكتاب
المصنّف مطوّلاً فانتخبت من ملخّصه هذا المجلّد وسمّيته زبدة كشف
الممالك ، وبيان الطرق والمسالك ، وجعلته اثنى عشر بابًا واختصرت
الكلام فيه لكون اشتغالى بغيره من المصنّفات ۞

[1] Ici commence le texte du ms. B.

الباب الاوّل

فى تشريف ملك مصر على سائر الممالك وما فضّل به على غيره بالمعابد والمزارات وما به من العجائب والعمارات وترتيب مدنه وقلاعه ومعاملاته وحدوده وما يحتوى عليه ۞

الباب الثانى

فى وصف السلطنة الشريفة وما يتحلّى به السلطان من الصفات وما يعتمده لاقامة لوازمها الموظّفات ووصف المواكب الشريف والملبوس لكل من ينسب الى الملك من الخاصّ والعامّ ۞

الباب الثالث

فى وصف امير المؤمنين وبيان احواله وكان حقّه ان يتقدّم لكن مرادنا تفخيم الملك حيث صار بالمبايعة منه الى السلطان ووصف قضاة القضاة اهل الحلّ والعقد والعلماء أيمّة الدين والقضاة ۞

الباب الرابع

فى وصف الصاحب الوزير والدولة الشريفة والسادة المباشرين اركانها وما يتعلّق بكل ديوان وكتّابه مثل الانشاء والجيش والمفرد والخاصّ وبقيّة الدواوين والموقّعين على ما يأتى تفصيله ۞

الباب الخامس

فى وصف اولاد الملوك ونظام الملك الشريف ونائب السلطنة الشريفة واتابك العساكر المنصورة والامراء مقدّمى الالوف والطبلخانات والعشرينات والعشروات والخمسوات بالديار المصريّة ۞

الباب السادس

فى وصف ارباب وظائف بجملة ووظائف مفردة يأتى تفصيلها والاجناد القرانيص والخاصّكيّة واجناد الحلقة المنصورة ومراكزهم ومراكز البطائق والثلج والبرد ۞

الباب السابع

فى وصف الآدر الشريفة وزمامها والطواشيّة وخدّام الستارة ووصف الخزانة والسلاح خاناة والحواصل الشريفة والشون والاهراء وجهات ذلك ومتحصّله ومصروفه ۞

الباب الثامن

فى وصف البيوتات والمطبخ والاصطبلات الشريفة وما بها من الآلات على حسب الاختصار ووصف الشكارخاناة والسرحات والصيد والاحواش على ما يأتى تفصيل ذلك ۞

الباب التاسع

فى وصف كشّان الترب وعمارة الجسور والخفير والجرّافة وما تحتاج اليه البلاد عند فيض النيل وهبوطه ووصف الولاة وارباب الوظائف باقاليم الديار المصريّة وما يتعلّق بذلك من الترتيب ۞

الباب العاشر

فى وصف الممالك الشريفة الاسلاميّة وهى ثمان على ما يأتى تفصيله على الترتيب ووصف المدن بالبلاد الشماليّة ومن بذلك من الكفّال والنوّاب والسادة والقضاة والامراء والمباشرين وارباب الوظائف والجند ۞

الباب الحادى عشر

فى وصف امراء العربان ومشايخهم وامراء التركان والاكراد ووصف التجاريد والمهمّات الشريفة ونوادر اتّفقت فى ذلك بالمملكة اليمنيّة والديار البكريّة والجزائر القبرصيّة التى فتحت فى الايّام الاشرفيّة ۞

الباب الثانى عشر

فى حوادث الدهر التى من اجلها وقع فى الضنك والقهر وما ورد فى ذلك من الحكايات والنوادر ليكون كل ذى لبّ عليه محافظًا واليه مبادرًا ۞



الباب الاوّل

فى تشريف ملك مصر على سائر الممالك وما فضّل به على غيره بالمعابد والمزارات وما به من العجايب والعمارات وترتيب مدنه وقلاعه ومعاملاته وحدوده وما يحتوى عليه

اعلم انه يقال ان العامر من الدنيا مسيرة مائة عام من ذلك مسيرة ثمانين عامًا مع ياجوج وماجوج وهو ولد يافث بن نوح عليه السلام وارضهم من آخر بلاد الشمال متّصلة ببحر الظلمات ومسيرة اربعة عشر عامًا ساكنها السودان مما يلى المغرب الاعلى ممتدًّا على بحر الظلمات فيبقى من المائة عام مسيرة ستّة اعوام هى بلاد الغرب ومصر والشام والحجاز واليمن والعرق والعرب والترك والخزر[1] والافرنج والصين والهند والحبشة والصقالبة والروم الى رومية الكبرى وغير ذلك وسائر بلاد الكفّار مما يطول ذكر تفصيله ٭ والمسلمون بينهم جزء من الف جزء فافضل جميع الارض المفضّلة هذا التفصيل وغيره مما اختصر ما احتوى عليه ملك مصر المصرّح باسمه فى القرآن العظيم لان حاكمها يحكم على ارفع بقاع الدنيا فى الشرف والجلال وهى الثلاثة التى لا تشدّ الرحال الا

[1] والجزر A ‚ والحزر B.

اليها ، وهى مكّة زاد الله شرفها ، والمدينة الشريفة النبويّة على ساكنها افضل الصلاة والسلام ، والقدس الشريف ۞

فصل فى ذكر مكّة المشرّفة

فاوّلها فى الشرف واولاها ، وارفعها رتبةً واعلاها ، مكة التى هى افضل جميع الارض ، فى طولها والعرض ، وهى اوّل بيت وضع للناس ، وطهر من سائر النقائص والادناس ٭ روى عن ابن ابى ذرّ انه قال سألت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن اوّل مسجد وضع فى الارض قال المسجد الحرام قلت ثم اىّ قال المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال اربعين عاما ٭ وروى عن مجاهد انه قال لقد خلق الله عزّ وجلّ موضع هذا البيت قبل ان يخلق شيئًا من الارض بالفى سنة وان قواعده لفى الارض السابعة والسفلى ٭ وقيل بنيت الكعبة خمسة مرّات احدهنّ بناء الملائكة والثانية بناء ابرهيم عليه السلام والثالثة قريش فى الجاهليّة وكان النبى عليه السلام ينقل معهم الحجارة والرابعة بناء ابن الزبير والخامسة بناء الحجّاج بن يوسف الثقفىّ الموجود بناؤه الآن وقيل انه بنى مرّتين غير الخمسة ٭ وروى عن ابن عبّاس رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم نزل الحجر الاسود من الجنّة وهو اشدّ بياضًا من اللبن فسوّدته خطايا بنى آدم ٭ والكعبة اليوم طولها فى السماء سبعة وعشرون ذراعًا وعرضها بين ركن الحجر الاسود والشأم خمسة وعشرون ذراعًا [1] وبين الشام والغرب كذلك وبين اليمانىّ والاسود عشرون وبين الشام والغرب احد وعشرون ذراعًا ٭ وروى ان عليًّا كرّم الله وجهه قال كنت طائفًا مع النبى صلّى الله عليه وسلّم بالبيت الحرام

[1] Les deux membres de phrase qui suivent : وبين الشام ...... والاسود عشرون sont omis dans le ms. A.

فقلت فداك ابى وامّى ما هذا البيت فقال يا على اسّس الله تعالى هذا البيت فى الدنيا كفّارة لذنوب امّتى فقلت فداك ابى وامّى يا رسول الله ما هذا الحجر الاسود قال تلك جوهرة كانت فى الجنّة اهبطها الله تعالى الى الدنيا لها شعاع كشعاع الشمس فاشتدّ سوادها وتغيّر لونها منذ مسّتها ايدى المشركين ❊ وبوسط الحجر الآن نقطة بيضاء قدر حبّة العدس وارتفاعه من الارض ثلاثة اذرع الا خمسة اصابع ❊ وروى ان عبد الملك بن مروان عمّر المسجد الموجود الآن ورفع جداره واسقفه بالساج والكلام فى اصل عمارته يطول وعلى الحرم علامات من جوانبه كلها منصوب عليها انصاب عملها ابرهيم الخليل عليه السلام وجبريل يريه موضعها ثم امر النبى عليه السلام والصحابة من بعده بتجديدها ❊ ولمكّة اسماء متعددة ، مكّة ، وبكّة ، وقيل مكّة الحرم كله ، وبكّة اسم البلد خاصّة ومباركًا ، وامّ القرى ، والبلد الامين ، وامّ رحم ، وصلاح ، والمقدّسة ، والقادسيّة ، والناسّة ، والنشاسة ، والباسة ، والحاطمة ، والرأس ، والعرش ، والكرسى ، ولها زاد الله شرفها احكام تخالف غيرها من البلاد منها انه لا يقدم احد عليها الا محرمًا ومنها تحريم الصيد فى وقته ومنها تحريم شجرها وحشيشها ومنها منع جميع من خالف دين الاسلام من الدخول اليها مقيمًا كان او مارًّا ولكن الامام ابو حنيفة جوّز المرور ومنها تغليظ الدية بالقتل فيها ومنها تحريم دفن المشرك فيها ومنها تحريم اخراج الحجارة والتراب الى الحلّ ومنها تضعيف الحسنات ❊ وروى عن الحسن البصرىّ قال صوم يوم فى مكّة بمائة الف يوم ويقاس على ذلك الافعال الحسنة ❊ واوّل من كسا البيت بالانطاع تبّع ثم كساها الناس من بعده فى الجاهليّه وكساها النبى والصحابة من بعده كل منهم بنوع وكساها معاوية يوم عاشوراء ثم صار يكسوها مرّتين فى السنة ثم كساها المأمون فى السنة ثلاث مرّات

يوم التروية الديباج الاحمر ويوم هلال رجب القباطى ويوم سبعة وعشرين من رمضان الديباج الابيض ثم بعد ذلك استقرّت كسوتها على ما هى عليه الآن وهو الديباج الاسود بطرز مذهبة يكسوها سلطان مصر فى كل عام ٭ وروى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت طيّبوا البيت فان ذلك من تطهيره يعنى قوله تعالى وطهّر بيتى الآية [1] ۞

فصل فى ذكر اماكن تزار بمكّة

وبمكّة زادها الله شرفا اماكن مفضّلة تستحبّ زيارتها منها البيت الذى ولد فيه النبى عليه السلام بزقاق المرفق ومنها بيت خديجة ومنها مسجد فى دار الارقم يقال لها دار الخيزران ومنها الغار الذى بجبل حراء [2] والغار الذى بجبل ثور ومنها مسجد الجنّ ومسجد الشجرة التى دعاها النبى عليه السلام ومسجد الفتح ومسجد العشرة ٭ وبها من قبور الصحابة التابعين والصالحين قبر عبد الله بن الزبير وسهل بن حنيف واسماء وعبد الرحمن اولاد ابى بكر وعبد الله بن عمر وخالد ابن كيسان والفضيل بن عياض وبها خلق كثير من الشهداء والصالحين والاولياء والاماكن المباركة المشهورة والمساجد الذى بذكر الله معمورة ما لو اردنا ذكر الجميع لطال الشرح ويقال ان هناك قبر آدم عليه السلام والحرم يشتمل على عدّة رواقات بحوله من الاربع جهات وبه مقام ابرهيم وبئر زمزم وقبّة الشرابىّ وحجر اسمعيل يعلوه الميزاب وبه سقاية العبّاس وبظاهر الحرم الشريف الصفا والمروة الذى ذكرها الله فى القرأن وبمكة المشرّفة شوارع واسواق وفنادق ودور واماكن متفرّقة وهى مدينة عدية حسنة ويليها من الجهة الشرقيّة منى بينها وبين مكة فرسخ وحدودها ما بين وادى محسّر وجمرة

[1] *Qorân*, XXII, 27. — [2] A بالجبل وهو حراء.

العقبة وهى شعب طويل نحو ميلين وبها عمائر كثيرة وقد نظم فيها ابيات مطوّلة ذكرتُ منها ثلاثة وهى شعر[1]

يا غاديًا نحو الحجاز ولعلع عرّج على وادى منى والاجرع
وانزل بارض لا يضام نزيلها فيها الشفاء لكلّ قلب موجع
قد حلّ فيها سيّد ومكرّم وهو الشفيع لذى المقام الارفع

وبينها وبين منى وعرفات مسجد نمرة والمزدلفة والمشعر الحرام وعرفات ليس من الحرم بل منتهى الحرام من تلك الجهة عند العلمين ❊ روى ان ابرهة بن الصباح صاحب الفيل قدم يريد خراب الكعبة ومعه الف فيل يقدمهم فيل ابيض عظيم يقال له محمود وكان المتوكّل به شخص يقال له نفيل لمّا صار ابرهة على اليمن واقتلعه كان نفيل يصيح وهو على ظهر الفيل العظيم فلمّا دخلوا مكّة اخذ نفيل بأذن الفيل وكلّمه بكلام معناه ارجع رأسك فانّك فى بلد الله الحرام فلمّا فهمه ذلك تركه وهرب الى قريش فكان معهم ثم ان الله سبحانه وتعالى امطر الحجارة على اصحاب الفيل فصاح ابرهة ملك الحبشة المذكور اين نفيل فلم يجده وهلكوا فى ذلك وقال الله تعالى فى حقّهم الم تركيف فعل ربك باصحاب الفيل الآية[2] وقال نفيل فى ذلك شعر[3]

وكلّ القوم يسأل عن نفيل كأنّ علىّ للحبشان دَيْنا
حمدتُ الله اذ عاينتُ طيرًا وخفتُ حجارةً تُلقى علينا

فصل فى ذكر الطائف وجدّة

واما الطائف فانّها بلاد عجيبة كثيرة الماء والشجر وسمّيت الطائف لما ورد ان جبريل عليه السلام اقتلعها وطاف بها الكعبة ويقال ان رجلًا يسمّى الدمون بنا حائطها وقال بنيتُ لكم طائفًا فسمّيت بذلك ❊

[1] Mètre كامل. — [2] *Qorân*, cv, 1. — [3] Mètre وافر.

واما جُدّة فهى مينا مكّة المشرّفة ترد اليها المراكب بالبضائع وهى من اعظم المين وربّما يردها فى كل سنة نيف عن مائة مركب من جملة ذلك مركب بسبعة قلوع وتؤخذ الموجّبات والرسوم تحمل الى صاحب مكّة وكان الملك الاشرف ابو النصر برسباى تغمّده الله برحمته شاركه فى اخذ نصيب من ذلك ويقال ان متحصّل الجهة المذكورة مائتان الف دينار فى كل سنة وربّما يزيد وينقص ۞

فصل فى ذكر المدينة على ساكنها الصلاة والسلام

ولها اسماء عديدة ، المدينة ، وطيبة ، وطاب ، والدار ، ولو لا ان الله تعالى اختارها على سائر الارض ما جعلها دار هجرة نبيّه محمّد عليه السلام وضمّت اعضاؤه الشريفة وبوسطها الحرم الشريف وحجرته الشريفة مدفون بها وضجيعَيْه مضاجيعَيْه ابو بكر وعمر رضى الله عنهما وبه منبر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لم يبق من آثاره غيره وقيل كان من خشب الطرفة تحت المنبر الموجود الآن الذى هو من بعلبكىّ انشاء الملك المؤيّد وكان منبر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ثلاث درجات ٭ وروى ان النبى صلّى الله عليه وسلّم بنا مسجده سبعين ذراعا فى ستّين ذراعا ثم زادت فيه الصحابة الى ما صار على ما هو عليه الآن حتى ان يأتيه الوفود من اقطار الارض فيسعهم وبه الروضة ٭ وروى ان النبى صلّى الله عليه وسلّم قال ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنّة وسئل بعض العلماء اىّ البقاع افضل فقال مكان ضمّ اعضاء النبى وقيل فى ذلك شعر[1]

يا خير من دفنت فى القاع اعظمه فطاب من طيبهن القاع والاكم

[1] Mètre بسيط.

وبالحرم الشريف رواقات وفيه سبيل [1] وحول الحجرة قناديل من فضّة وعليها كسوة من ديباج منقوش ✧ وبالمدينة المشرّفة اماكن مشهورة بالفضل منها مسجد الفتح ومسجد القبلتين ومسجد بنى حارثة ومسجد بنى ظفر ومسجد بنى الحارث وغيرها وكثير من دور الصحابة المشهورة بالفضل مما يطول شرح وصفها وبظاهرها البقيع وهو من الجهة الشرقيّة به قبر العبّاس عمّ النبى عليه السلام وقبر الامام الحسن بن على بن ابى طالب والامام على بن الحسين بن زين العابدين والامام محمّد الباقر والامام جعفر الصادق وعبد الله بن العبّاس وصفيّة عمّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وعثمان بن عفّان ومالك بن انس والارقم بن معرور وجابر بن عبد الله الانصارىّ وجرير بن مطعم وحكم بن حزام وخاطب بن ابى بلتعة وزيد بن ثابت وزيد بن خالد الجهنىّ والمغيرة بن الاخنس وشريق وعروة بن الزبير وصهيب ابن الروم والمقداد بن الاسود ومحمّد بن ابى سلمة وابى الهيثم بن الهيتان وعبد الرحمن بن الحارث وعبد الرحمن بن عوف الزهرىّ وصعد بن ابى وقّاص وسعيد بن زيد من العشرات ومعاوية بن معاوية الليثى وسلمة بن الاكوع وعمر بن سعد ومحمّد بن المنذر وابن ام مكثوم وعتّاب بن اسيد وجابر بن عبد الله ونوفل بن معاوية وجعفر بن محمّد بن الحنفيّة وعبد الله بن ابى اوفى وعبد الله بن مسعود وسعيد ابن المسيّب وقيس بن سعد وعبد الله بن سلام وصفوان بن سلم وعبد الله بن عبد العزيز العمرىّ وسعيد بن ابرهم بن عوف وعبد الله بن عبد الله بن مسعود وابى طلحة وابى سفيان بن الحارث وعمر بن امّ مكرم وابى قتادة بن ربعى وخلق كثير من الصحابة رضى

[1] B وقبة سبيل.

الله عنهم والتابعين وتابعيهم مما خفى قبره ۰ وبقُبَا مسجد شريف به قبّة ومنارة وبئر التى تفل رسول الله فيها فعادت حلوة وجبل أُحُد وبه قبر حمزة عمّ النبى وعبد الرحمن بن جحش وكثير من الشهداء ومساجد كثيرة من المدينة الى تبوك ۰ وبالمدينة المشرّفة سور وقلعة ومدارس ومساجد واسواق وشوارع وبساتين ونخل كثير وفنادق وحمّامات وهى مدينة حسنة ۞

فصل فى وصف مدينة الينبوع

وهى مدينة حسنة تشتمل على سور وقلعة وقد امر بهدم القلعة الملك الاشرف لمّا خرج اميرها عن طاعته وجهّز له جيشًا فاقتلعوها منه وهدموا القلعة المذكورة ومدينة الينبوع كثيرة العمائر والاسواق والنخل وهى من جملة ارض الحجاز لكنّها سلطنة بمفردها واما القاعدة ان ما يذكر هؤلاء الملوك وهم صاحب مكّة والمدينة والينبوع فى ديوان الانشاء الا امراء وللينبوع بندر ترد اليه المراكب بالغلال من سواحل الطور يؤخذ عليها المكوس لصاحب الينبوع فى كل سنة تقدير ثلاثين الف دينار وببلاد الحجاز الشريف اماكن مشهورة ومراكز عديدة واخيان كثيرة وللخيف عبارة عن قرية تحمل منها شىء معيّن لاصحابها ولو اردنا ذكر ما بالحجاز الشريف من اشياء كثيرة لطال الشرح ۞

فصل فى ذكر بيت المقدس والارض المقدّسة التى ذكرها الله تعالى فى القرءان العظيم فى اماكن كثيرة

فقال تعالى واذ قلنا ادخلوا هذه القرية الآية [1] قيل هى البيت المقدّس ۰ وقوله تعالى وادخلوا الباب سجّدًا وقولوا حطّة الآية [2]

[1] *Qorân*, II, 55. — [2] *Qorân*, *ibid.* et VII, 161.

والباب الآن مشهور بحطّة ، وقوله تعالى ومن اظلم ممّن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه الآية [1] قيل هو بخت نصر وأصحابه لمّا خربوا بيت المقدس ، وقوله تعالى واذ قال موسى لقومه يا قوم ادخلوا الارض المقدّسة التى كتب الله لكم [2] ، وقوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها [3] قيل هى من ارض فلسطين الى الأردن وهى الآن من جملة الارض المقدّسة ، وقوله تعالى ولقد بوّأنا بنى اسرائل مبوّأ صدق [4] قال معمر بوّأهم الشأم وبيت المقدس ، وقوله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده ليلًا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله ، [5] وقوله تعالى فاخلع نعليك انّك بالواد المقدّس طوًى [6] ومعنى طوى اى طهر ، وقوله تعالى ونجّيناهُ ولوطًا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين [7] هى الارض المقدّسة ، وقوله تعالى يرثها عبادى الصالحون [8] هى الارض المقدّسة ، وقوله تعالى عن ابرهيم عليه السلام انّى ذاهب الى ربّى [9] فى بعض الاقوال اى الارض المقدّسة ، وقوله تعالى واستمع يوم ينادى المنادى من مكان قريب [10] المنادى هو اسرافيل عليه السلام ينادى من تحت صخرة بيت المقدس بالحشر وهى فى وسط الارض ، وقوله تعالى فى بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه [11] يعنى به بيت المقدس ، وقوله تعالى وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها [12] روى عن ابن عبّاس انّها بيت المقدس ، وقوله تعالى والطور وكتاب مسطور [13] أراد به الجبل الذى كلّم عليه موسى بالارض

(1) *Qorân*, II, 108.
(2) *Qorân*, V, 23-24.
(3) *Qorân*, VII, 133.
(4) *Qorân*, X, 93.
(5) *Qorân*, XVII, 1.
(6) *Qorân*, XX, 12.
(7) *Qorân*, XXI, 71.
(8) *Qorân*, XXI, 105.
(9) *Qorân*, XXXVII, 97.
(10) *Qorân*, L, 40.
(11) *Qorân*, XXIV, 36.
(12) *Qorân*, XXXIV, 17.
(13) *Qorân*, LII, 2.

IMPRIMERIE NATIONALE.

المقدسة ، وقوله تعالى فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب [1] يعنى به المؤمنين والمنافقين وقيل بباطنه المسجد وبظاهره وادى جهنّم ، وقوله تعالى هو الذى اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاوّل الحشر [2] قال عكرمة الحشر المراد به بيت المقدس ، وقوله تعالى فانّما هى زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة [3] وهو بقيع بجانب الطور ، وقوله تعالى والتين والزيتون الآية [4] روى عن ابن هريرة رضى الله عنه انه قال الزيتون طور زيتا مسجد بيت المقدس ✧ وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لا تزال طائفة من امّتى على الدين ظاهرين لعدوّهم قاهرين لا يضرّهم من خلفهم ولا ما اصابهم وهم كذلك ✧ وروى ان اوّل من بنا مسجد بيت المقدس يعقوب بن اسحق ✧ وروى عن كعب انه قال ان الله تعالى اوحى الى سليمان عليه السلام ان يبنى بيت المقدس فجمع حكماء الانس والجنّ وعفاريته وعظماء الشياطين فجعل فريقًا يبنون وفريقًا يقطعون الصخرة والعمدة من معادن الرخام وفريقًا يغوصون فى البحر فيخرجون منه الدرّ والمرجان كل درّة قدر بيض النعامة واسّس البناء على الماء ولمّا فرغ من بنائه اطعم فيه بنى اسرائيل اثنى عشر الف ثور ✧ وروى عن كعب بن اميّة ان داود عليه السلام اعدّ لبناء بيت المقدس مائة الف بدرة ذهب والف الف بدرة ورقًا وثلاث مائة الف دينار لطلى البيت ✧ وروى ان الكلبىّ قال لمّا فرغ سليمان عليه السلام من بناء بيت المقدس انبت الله له شجرتين عند باب الرحمة ينبتان الذهب والفضّة فكان فى كل يوم ينزع من كل واحدة مائتى رطل ذهبًا وفضّة الى ان فرش المسجد بلاطة ذهبًا وبلاطة فضّة واستمرّ على ذلك الى ان أتى

[1] *Qorân*, LVII, 13. — [2] *Qorân*, LIX, 2. — [3] *Qorân*, LXXIX, 13, 14. — [4] *Qorân*, XCV, 1.

بخت نصر خربه واحتمل منه ثمانين عجلة ذهبًا وكانت مدّة العمارة
من الابتداء الى حين نهايتها ثمان سنين [1] وكان فوق قبّة الصخرة
غزال من ذهب فى عينيه درّتان حمر [2] يقعدن نساء البلقاء يغزلن على
ضوءها بالليل ومسيرة البلقاء عن بيت المقدس قريب من ثلاثة ايّام
وكان اهل عمواس يستظلّون بظلّ القبّة اذا طلعت الشمس من الشرق
واذا مالت الى الغرب استظلّ بظلّها اهل الرامة وغيرهم وكان ارتفاع
القبّة ثمانية عشر ميلاً ◦ وروى عن ابن المسيّب انه قال ان سليمان
عليه السلام قرّر بمسجد بيت المقدس عشرة آلاف نفسًا من قرّاء بنى
اسرائل يقرءون خمسة آلاف بالليل وخمسة آلاف بالنهار وذكر عمارته وكم
عمّر مرّة يطول شرحه اختصرته خوف الاطالة ◦ وروى ان عمر بن
الخطّاب رضى الله عنه فتح بيت المقدس فى سنة ستّة عشر من الهجرة
ولم يزل بايدى المسلمين الى سنة احد وثمانين واربع مائة وفى سنة
اثنين وثمانين اقام عليه الفرنج نيفًا واربعين يومًا فملكوه ضحى نهار يوم
الجمعة من السنة وقتل فيه من المسلمين خلق كثير فى مدّة اسبوع
وقتل فى المسجد الاقصى ما يزيد على سبعين الفًا وانزعج بسبب ذلك
المسلمون فى سائر البلاد ولم يزل فى ايدى الفرنج نيفًا وتسعين سنة
الى ان فتحه الله على يد الملك صلاح الدين يوسف بن ايّوب فى سنة
ثلاث وثمانين وخمس مائة وسبب فتح ذلك انه فتح كثيرًا من
السواحل وكان لا يتعرّض الى بيت المقدس لكونه كرسىّ دين النصرانيّة

[1] B ثمانين سنة.

[2] Il faut sans doute corriger de la sorte le texte de ce passage fautif dans l'un et l'autre manuscrit, A فى فيه عنيه (sic) درّة, B عيناه درّتين حمر حمراء, pour بين عينيه لخ. Cette dernière leçon se rapproche de celle donnée par Moudjir ed-Dîn dans son *Histoire de Jérusalem et d'Hébron* (1er vol., p. ١٠٨, p. 29 de la trad. de H. Sauvaire) : بين عينيه درة او ياقوتة حمراء.

وكان فى بيت المقدس شابّ مأسور من اهل دمشق كتب هذا الابيات وارسل بها الى الملك صلاح الدين على لسان القدس شعر[1]

يا ايّها الملك الذى لمعالم الصلبان نكّس
جاءت اليك ظلامة تسعى من البيت المقدّس
كلّ المساجد طهرت وانا على شرفى مدنّس

فكانت الابيات المذكورة الداعية له الى فتح بيت المقدس ويقال ان السلطان وجد من ذلك الشابّ اهليّة فولّاه خطابة المسجد الاقصى، وكانت وفاة الملك صلاح الدين فى سنة تسع وثمانين وخمس مائة رحمه الله وجزاه عن الاسلام خيرًا ﴿ روى ان بيت المقدس اعلى من جميع الارض باربعين ذراعًا وان جميع المياه التى فى الدنيا ينبوعها تحت صخرة بيت المقدس ثم تقسم بقدرة الله الى جميع البلاد والاقاليم ﴿ وروى انه كان كل يوم خميس واثنين تلطخ الصخرة بالزعفران والمسك والماورد وتبخّر وتفتح للزوّار وعليها ستور من الديباج ﴿ وروى انه كان فى السلسلة التى فى وسط القبّة درّة يتيمة وقرنا كبش ابرهيم وتاج كسري معلّقات فيها فى ايّام عبد الملك بن مروان ثم لمّا صارت الخلافة الى بنى هاشم حوّلوها ﴿ وروى انه كان فى المسجد الاقصى من الخشب المسقّف ستّة آلاف خشبة وفيه من الابواب خمسون بابًا ومن العمد الرخام ستّمائة عمود وفيه من المحاريب سبعة ومن سلاسل القناديل اربعمائة سلسلة الا خمسة عشر ومن القناديل خمسة آلاف قنديل وفيه من الاشياء العجيبة ما يطول شرحه ﴿ وروى ان فى بيت المقدس يعنى مسجده خمس قبّة خلا قبّة الصخرة واربعة وعشرون صهريجًا وفيه من المنابر اربعة ﴿ وروى عن الحافظ بن عساكر انه قال طول مسجد الاقصى سبعمائة ذراع وخمسة وخمسون ذراعًا بذراع الملك

[1] Mètre كامل.

وعرضه اربعمائة ذراع وخمسة وخمسون ذراعًا ❊ وروى ان الضحّاك بن قيس صنع به عجائب من اشياء متفرّقة منها نار من لم يطع الله فى تلك الليلة احرقته حين يقدم اليها ومنها من رمى حجر الى بيت المقدس رجع اليه ومنها كلب من خشب من كان عنده شىء من السحر نبح عليه ومنها مكان من دخله وهو مذنب حزق عليه ❊ وروى ان سليمان بن داود وضع ببيت المقدس سلسلةً من حلف ومسكها وكان حانثًا ارتفعت به ومن كان صادقًا ارتخت عليه ثم ان رجلًا استودع آخر مائة دينار فلمّا طلبها منه جحده ذلك فتوجّها الى السلسلة وجعل المائة دينار بعكّاز وسلّمه اليه وكانت الدنانير مسبوكة فى وسط العكّاز فلم ترتفع السلسلة لمّا مسّها فتعجّب هو والناس من ذلك فارتفعت من ذلك اليوم وهى الى الآن مرفوعة وقال بعضهم فى ذلك شعر[1]

مضى مع الوق زمان العلى وارتفع الجود مع السلسلَة

وروى ان ذا النون المصرىّ قال وجدت على صخرة بيت المقدس اسطورًا مكتوبةً لا تُفهم قرأتها فجئت لمن ترجمها فاذا عليها مكتوب ، كل عاص مستوحش ، وكل مطيع مستأنس ، وكل خائف هارب ، وكل راج طالب ، وكل قانع غنىّ ، وكل محبّ ذليل ❊ وروى عن عطيّة بن قيس ان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال ليدخلنّ الجنّة رجل من امّتى يمشى على رجليه وهو حىّ ، فلما كان فى خلافة عمر بن الخطّاب رضى الله عنه جاء رجل من بنى تميم يقال له شرك بن حباسة يسقى اصحابه وكان فى بيت المقدس فوقع دلوه فى الجبّ فنزل ليأخذه فوجد بابًا فى الجبّ يفتح الى الجنّة فدخل منه ومشى فيها وأُخذ ورقةً من شجرها فجعلها خلف اذنه ثم خرج الى الجبّ فارتقى وأتى صاحب بيت

[1] Mètre : سريع.

المقدس واخبره بالذى رأى فلم يصدّقه وارسل معه من ينزل الى الجبّ وينظر ذلك فأتوه ونزلوا فيه فلم يجدوا شيئًا فكتب للامام عمر رضى الله عنه يعلمه بالقضيّة فعاد عليه الجواب يصدّق فى حديثه لما تقدّم من الحديث الشريف والكلام فى ذلك كثير، وروى ان الورقة جهّزت الى الامام عمر ولم تُبلى واستمرّت عنده مدّة حياته الى ان توفّى فاوصى ان توضع على صدره ففعل ذلك ٭ وروى عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم انه قال من زار بيت المقدس محتسبًا اعطاه الله ثواب الف شهيد ، وفى رواية حرّم الله لحمه وجسده على النار ٭ وروى عن النبى صلّى الله عليه وسلّم انه قال فضل الصلاة فى مسجد بيت المقدس بخمسمائة صلاة ٭ وروى عن كعب انه قال لا تقوم الساعة حتى يزور البيت الحرام البيت المقدّس فينقادان الى الجنّة جميعًا وفيهما اهلهما والعرض والحساب ببيت المقدس ٭ وروى عن عبد الله بن مسعود انه قال لا يدخل الدجّال الى بيت المقدس ٭ وروى عن خالد ابى معدان انه قال زمزم وعين سلوان من عيون الجنّة ٭ وروى عن ابن عبّاس انه قال سيّد البقاع بيت المقدس وصخرته من الجنّة ٭ وروى عن ابن عمر الشيبانىّ انه قال لا تقوم الساعة حتى يُضرب على بيت المقدس سبعة احياط حائط من ذهب وحائط من فضّة وحائط من ياقوت وحائط من زمرّد وحائط من لؤلوء وحائط من نور وحائط من غمامة ٭ وروى عن مقاتل بن سليمان ان كل ليلة ينزل سبعون الف ملك من السماء الى مسجد بيت المقدس لا يعدون اليه الا ان تقوم الساعة وهكذا فى كل ليلة ٭ وعن الامام ابى بكر بن العرب انه قال فى شرح الموطّأ للامام مالك فى تفسير قوله تعلى وانزلنا من السماء ماء [1] فذكر اقوال الاربعة وان

[1] *Qorân*, xxiii, 18; xxv, 50; xxxi, 9.

مياه الارض كلها تخرج من تحت صخرة البيت المقدّس ولم تختلف
احد من اهل السنّة ان النبى صلّى الله عليه وسلّم عرج الى السماء
من بيت المقدس وذكر فى ورود بيت المقدس ما ورد اليه من الانبياء
وعدّتهم اربعة وعشرون الف نبىّ ✧ وروى ان دار ملك سليمان بن
داود عليهما السلام كانت ببيت المقدس ✧ وروى ان جماعةً من العلماء
اثبتوا ان الخضر عليه السلام نبىّ وانه حىّ ومسكنه ببيت المقدس
من بين باب الرحمة وباب الاسباط ✧ واما ما ورد من الصحابة والتابعين
وتابعيهم والخلفاء والصالحين والعلماء فخلق كثير لا تحصى وقد
اختصرت ذكر كل احد على انفراده خوف الاطالة ✧ وبالقدس الشريف
مصطبة على سطح الصخرة يرى منها قلعة الكرك وهى مسيرة اربعة ايّام
ويُصلّى بمسجد بيت المقدس فى اذن اربع صلوات على المذاهب الاربعة
اوّل ما يبدأ بمذهب الامام مالك بجامع المغاربة ثم بالمسجد الاقصى
على مذهب الامام محمّد بن ادريس الشافعىّ ثم بقبّة الصخرة على
مذهب الامام الاعظم ابى حنيفة ثم بقبّة موسى والرواق الغربىّ على
مذهب الامام احمد بن حنبل ولهذا الحرم اوقاف كثير وخدّام
ومباشرون اختصرت ذكرهم خشية الاطالة ✧ وبالقدس الشريف
اسواق كثيرة من جملتها ثلاث قصبات على صفّ واحد قيل انه لم
يكن بغالب البلاد نظيرها وبها مدارس كثيرة وخانات وحمّامات
وعمائر حسنة ولم يؤخذ بها شىء من المكوس بخلاف جميع المدن وبها
كنيسة قُمامة التى يزورها جميع طوائف النصارى والفرنج والقدس
مدينة شريفة عظيمة يعمل فيها فضّة ميناء تجلب منها الى سائر
البلاد واوصافها كثيرة وفضائلها جمّة وهذا على وجه الاختصار ✧
وبضواحيها عين سِلوان والطور ورابعة العدويّة وقبر السيّدة مريم
وقبور الشهداء وخان الظاهر والزاوية القلندريّة وباواخر كرومها قمر

السيّدة راحيل امّ يوسف الصدّيق عليه السلام واقام والدى المرحوم شاهين الظاهرىّ قبّةً وصهريجًا ومسقاةً للسبيل ٭ وبيمين الطريق بيت لحم بلدة بها كنيسة كبيرة جدًّا بها مولد عيسى عليه السلام وبها اشياء عجيبة يطول شرحها وبها جذع النخلة المذكورة فى القرآن العظيم فى قوله تعالى وهزّى اليك بجذع النخلة الآية [1] ٭ وبالقدس الشريف ومعاملاته ديورة كثيرة ، وقرية حلحول بها قبر يونس عليه السلام ورام بها مقام ابرهيم عليه السلام ، وكفر بريك به قبر لوط عليه السلام ، وياقين بها مقامه ٭ واما مدينة حبرون المدفون بها ابرهيم الخليل عليه السلام ويعرف بمدينته وهى مدينة حسنة عدية وبها المسجد الذى به مقام الخليل وسرداب هو مدفون به يوقد فيه قنديل ليلًا ونهارًا وعن يمين الشبّاك قبره الشريف وعليه ستر من حرير وتجاه ذلك زوجته سارة وهناك مقصورتان باحدها يعقوب وزوجته وبظاهره مكان بشبّاكين باحدها اسحق والآخر زوجته وبآخر المكان من الجهة الغربيّة قبر يوسف عليه السلام وبه مغارتان وهو مكان حسن الى الغاية وله اوقاف كثيرة وخدّام ويمدّ به سماط للخليل عليه السلام فى كل يوم حتى انه لو ورد ذلك المكان اهل الدنيا لفاضت البركة على السماط الى ان يكفيهم ٭ وبهذا الاماكن الشريفة من الفضائل ما تَكِلّ عن ضبطه الاقلام ، وتعجز عن الاحاطة به العقول والافهام ، وبفضلها وشرفها حصل لسلطانها الشرف التامّ ، وبفضل مكله على سائر ملوك الاسلام ، مع ما يضاف الى ذلك من فضائل مصر والشأم ، وما بهما من الزيارات من قبور الانبياء والصحابة والاولياء والعلماء الاعلام ، فكل ملوك الارض ما بلغوا عُشر

[1] *Qorân*, xix, 25.

معشار فضله ، لان الجميع يخافون وقوع سطواته ويأمّلون فائض عدله .
خلّد الله ملكه تخليداً مؤبّداً ، ولا ابقى له على وجه الارض اعداءً
ولا حسّداً ۞

فصل فى ذكر الديار المصريّة عمّرها الله تعالى

وبها دار الملك ولها حدود اربع ٭ اما القبلىّ فمن صفة القلزم
حيث عيذاب على بلاد الحذارب من بلاد النوبة خلف الجنادل التى
عليها مصبّ النيل الى جبال العدن الى صحراء الحبشة ٭ واما الشرقىّ
فينتهى الى بحر القلزم وغالب ما بينه وبين مجرى النيل منقطع رمال
ومحاجر ويسمّى ساحل البحر فى هذا الحدّ ثم يتّسع من حيث
السوَيْس وما اخذ مشرّقًا من بركة الغُرُنْدُل الى تيه بنى اسرائل حتى
يقع على اطراف الشأم ٭ واما حدّ الشأمىّ وتسمّيه اهل مصر البحرىّ
من الزعقة ورفح وامجّ وهى العريش من على الساحل ٭ واما الحدّ الغربىّ
مأخذه فى العمارة معمور الاسكندريّة اخذ على اللّيونة على العميدين
الى العقبة وهو آخر حدّ مصر ثم يعطف الحدّ على الواحات مقتبلاً على
الصعيد حتى يقع على الحدّ القبلىّ ٭ وبلاد مصر من اعجب بقاع الارض
والنيل سائح بوسطه وهو من الانهر العظيمة ومنحدره من الجنادل
المذكورة اجمع اهل العلم انه ليس بالدنيا نهر اطول مدًّا من النيل
فانّه يسير مسيرة شهرين البلدان العامرة وعشرة ايّام فيما يتعلّق
بالاقليم فيها عامر وخراب ومسيرة شهرين فى بلاد النوبة واربعة اشهر
فى الخراب حيث لا عمارة الى ان يخرج من مكانه وان صبابه فى البحر
المحيط من ثغر رشيد وثغر دمياط ۞

ذكر قلعة الجبل وهى دار الملك الشريف

واما دار الملك الشريف التى بها تخت المملكة المعروفة الآن بقلعة الجبل ليس لها نظير فى الاتساع والزخرفة والابّهة والعلوّ تشتمل على سور وخندق وابراج وعدّة ابواب من حديد وهى حصينة جدًّا وبها من القصور والاواوين والمجالس والغرف والطباق والاحواش والميادين والاصطبلات والجوامع والمدارس والاسواق والحمّامات ما يطول شرح ذكره ولكن نأتى بملخّصه مما فيه من العظمة والابّهة والناموس الشريف ◊ اما القصر الابلق به ثلاث قصور شريفة وخرجاه [1] برسم المواكب السلطانيّة لجميع مفروش بالرخام الملوّن والسقوف المدهونة [2] بالذهب واللازورد والنقوش العجميّة [3] انشاء المقام الشريف المرحوم الملك الناصر محمّد بن قلاوون تغمّده الله برحمته ◊ واما الإوان المعظّم فليس له نظير وهو مكان بمفرده بظاهر القصر يعلوه قبّة خضراء عالية جدًّا حسنة المنظرة وبه مرتبة الملك وعمد كثيرة وهو مكان عجيب انشاء المقام الشريف المشار اليه ◊ واما الجامع الكبير الذى بالقلعة ليس له نظير قيل انه يصلّى فيه خمسة آلاف نفر وبه عمد عجيبة فى الغلط وبه منارتان وهو ايضًا انشاء المقام الشريف المشار اليه ◊ واما الدُهَيْشة [4] فهى من العجائب وعمارتها حسنة من خواصّ مجالس السلاطين وهى ايضًا انشاء المقام الشريف المشار اليه ◊ واما القياع المخصوصة بالآدر الشريفة فعديدة منها البيسريّة وهى مكان خدمة

[1] C'est le mot persan خرگاه «tente, pavillon», transcrit suivant la prononciation égyptienne. Il n'est pas question de خَرْجَاهْ dans la description que fait Maqrîzy du Qaṣr el-Ablaq (*Khiṭaṭ*, II, p. 209-210).

[2] B المموهة.

[3] B العجيبة.

[4] A et B الدهيشاة; cf. *Khiṭaṭ*, II, p. 212; Dozy, *op. cit.*

الآدر بها ، ومنها القاعة الكبرى وتعرف بالعواميد برسم خوند الكبرى ، ومنها قاعة رمضان بها خوند الثانية ، ومنها قاعة المظفّريّة بها خوند الثالثة ، ومنها القاعة المعلّقة وبها خوند الرابعة ، ومنها قاعة البربريّة برسم السرارى وغير ذلك من القياع والمعازل والاماكن المتّسعة مما يطول شرحها وهناك سيّدى الرُدينىّ مكان مبارك يزار ✤ واما طباق المماليك الشريفة السلطانيّة اثنا عشر طبقةً كل طبقة منها قدر حارة تشتمل على عدّة مساكن حتى انه يمكن السكنى فى كل طبقة لالف مملوك ✤ واما الحوش الشريف فانّه متّسع جدًّا وبه بستان عظيم وبه بحرة معظّمة والجلوس فى الحوش والبستان يأتى ذكره فى محلّه ✤ واما الاصطبلات الشريفة فانّها متّسعة جدًّا برسم الخيول السلطانيّة يأتى ذكرها فى محلّها ✤ واما الميدان الشريف المعروف بالاسود فمتّسع جدًّا برسم المسايرة ۞

فصل فى ذكر مصر والقاهرة المحروستين

وهى مدينة عجيبة متّسعة جدًّا من اوّلها الى آخرها مسيرة بريد وهو اوّل ابتدائه من التاج والسبع وجوه وهو قصر معظّم انشأه الملك المؤيّد له سبعة وجوه وآخر انتهائه الآثار الشريفة النبويّة يشتمل ذلك على اماكن عديدة ✤ منها بركة الحبش وهو مكان عجيب والرصد انشاء الحاكم بأمر الله ، ومنها القرافة الكبرى فيها عمائر كثيرة قيل انها فى العمائر قدر ثغر الاسكندريّة ، ومنها القرافة الصغرى وهى اعمر منها واحسن هيئة وهى فى القدر تضاهى مدينة حمص ، ومنها كوم الجارح يضاهى مدينة عكّا ✤ ومنها مصر القديمة وهى على جانب بحر النيل ولها سور تضاهى مدينة حلب قيل انه ضبط فى ايّام الفخر الوزير ما بساحلها من المراكب فكانت نيف عن الف وثمانمائة مركب وبها شوَن

الشريفة السلطانيّة التى توضع بها الغلال وهى من اغرب الغرائب لاتّساعها وكثرة ما بها من الغلال وبها ربع يعرف بالمرحوم بكتمر له اربعة وجوه واربعة ابواب حتى ان رجلاً من الثقاة حكى ان رجلاً نقل اليه انه سكن بهذا الربع مدّة ثلاثين سنة فاجتمع بشخص وتعارفا فسأله عن مسكنه وكان سبقه فى السكنى فاخبره انه بالربع المذكور فقال ما علمتُ بذلك وهذه من الغرائب وبها معاصر كثيرة وقصر الشمع وهو كنيسة كبيرة وبها السدّ الذى يقطع كل سنة عند وفاء النيل ، ومنها الكبّارة وهى تضاهى مدينة جعبر ، ومنها الروضة وهى تجاه مصر القديمة بها المقياس وهو مكان شريف بوسطه عامود فى وسط فسقيّة ينزل اليها بسلالم وعليه قبّة معقودة تظهر زيادة النيل ونقصانه من ذلك العمود وهو مقسّم اصابع واذرع وبه مسجد ومحراب والروضة المذكورة تضاهى مدينة البيرة ◊ ومنها بولاق وهو من احسن الاماكن على شاطىء النيل ويرد الى سواحله اكثر مما يرد الى ساحل مصر وبه منظرة المقرّ الاشرف البارزىّ والحجازيّة واماكن عجيبة حسنة المنظر ولو اردنا نصف بولاق وما به لطال الشرح وهو يضاهى مدينة طرابلس وبجانبه جزيرة الفيل سيأتى ما تضاهيه ، ومنها الجزيرة الوسطى وبها عمائر كثيرة وهى تضاهى مدينة بعلبك وتجاه بولاق قصر الملك المؤيّد بارض الورّاق من احسن القصور ، ومنها ارض الطبّالة بظاهر باب الشعريّة والجنينة وبركة الرَطْلىّ وما بحومتها وجسر بُشْبَيْه وحكر الشامّى وغيط الحاجب والخليج الناصرىّ وقناطر الإوَزّ وذلك من اعظم المفترجات بالديار المصريّة وهذه الاماكن تضاهى مدينة بغداد وبها الحسينيّة وهى متّسعة كان يسكنها قديمًا كثير من الامراء حكى بعض الثقاة انّه اخبر من ابيه ان كان يسكون فى الحسينيّة من جملة الامراء ثلاثين اميرًا تدقّ على ابوابهم الطبلخانات فى ايّام

الملك الناصر محمّد بن قلاوون وهي تضاهي مدينة غزّة وبها الجَوْشَن وما
حوله من العمائر الشاهقة مع ما يضاف اليه من الخليج اللؤلؤيّ يضاهي
مدينة قلعة الروم ، ومنها الصحراء مع ما بها من العمائر الحسنة وما
يضاف اليها من خليج الزعفران والمطريّة وتلك البساتين تضاهي مدينة
ملطية ﴿ ومنها القاهرة المحروسة تشتمل على سور معظّم قيل ان
قراقوش امر بعمارته وبه ابواب عديدة محكمة وبالقاهرة من العمارات
الحسنة والاسواق مما يطول شرح ذكره وبها بيمارستان امر بعمارته الملك
المنصور وقرّر وقفه في كل سنة اربعين الف مثقال ذهب افرد من ذلك
لعمارته وخدّامه اربعة آلاف وقرّر مصروفه في كل يوم مائة مثقال ولم
اعلم ما هو عليه الآن ﴿ والقاهرة مع ما يضاف اليها من جزيرة الفيل
المقدّم ذكرها تضاهي مدينة دمشق ، ومنها الناصريّة وما بها من
البركة المعظّمة والميدان الاعظم وما به من القصور والمناظر والبساتين
والخُلجان والمِريس [1] والزربيّة والقناطر وغير ذلك تضاهي مدينة حماة ،
ومنها اماكن متفرّقة من باب الشعريّة الى المقس [2] الى ميدان القمح
الى الدِكّة [3] تضاهي مدينة سمرقند ، ومنها بابّ اللوق وتلك النواحي
تضاهي مدينة سيواس ، ومنها اماكن ايضا من باب زُوَيْلة [4] الى باب
الوزير الى الصليبة الى قناطر السباع بما يحتوى عليه من بركة الفيل
وجامع قوصون وجامع بشتك والشيخونيّة وجامع المارِدانيّ وما بينهما
تضاهي مدينة بُرصابل اعظم ، ومنها اماكن ايضا جامع طولون وهو
جامع كبير وما تشتمل عليه تلك الدائرة مثل حذرة ابن قميْحة

[1] A et B; cf. Ibn Doqmâq, p ١٣١.

[2] B porte المقص par erreur; cf. *Khiṭaṭ*, II, p. 121.

[3] A البِكّة. La leçon donnée par B est la bonne; cf. *Khiṭaṭ*, II, p. 151.

[4] A vocalise ainsi, d'après la prononciation locale qui, d'ailleurs, n'a pas changé depuis. Toutefois. Maqrîzy indique, d'après Yâqoût, la vocalisation زوِيلة (*Khiṭaṭ*, II, p. 4).

والمراغة ودائر السيّدة نفيسة والفقعاء تضاهى مدينة القرم ، ومنها حُلْقوم الجبل وما به من العمائر يضاهى مدينة بَهَسْنا ، ومنها الكبش وما يحتوى عليه بما فى ذلك من قصر يلبُغا الكبير ومنزله والحذرة والقطع الذى فى الجبل يضاهى مدينة كرك الشَوْبَك ، ومنها القبيْبات وما تشتمل عليه فانّها تضاهى مدينة الرملة ، ومنها شقّة الجبل بما يحتوى عليه الى سيّدى عمر بن الفارض واخوة النبى يوسف عليه السلام وجامع محمود وما تحتوى عليه تلك الدائرة تضاهى مدينة حبرون المعروفة بسيّدنا الخليل عليه الصلاة والسلام المقدّم ذكرها ٭ والقلعة المنصورة المقدّم ذكرها تضاهى القدس الشريف فى القدر لا فى الحُرمة ومنها الرميْلة وما تشتمل عليه الى المصنع الى باب القرافة متّسع جداً تضاهى مدينتى توقات واماسى ، ومنها الحُكورة التى هى متفرّقة قيل ان عدّتها اربعة وعشرون الف حكر فقسم ذلك من له خبرة بما سيأتى ذكر من المدن وهى عشرة ، هراة ، وتبريز ، وسلطانيّة ، واصفاهان ، وشيراز ، ويزد ، وكرمان ، وادرنة ، وقصطمانيّة ، وكنية ٭ وفى الحقيقة لو قُسمت مصر والقاهرة وما يشتملان عليه على التحرير لزادت بجملة وسمعت من لفظ من يعتمد على قوله ان لو حرّرت هذه الاماكن لزادت عن مدن كثيرة مما ذكرناه لانه سار البلاد وراءها ۞

فصل فى ذكر ما بهذه الاماكن من الزيارات والاماكن المباركة

والجوامع والمدارس الكبار جامع عمرو بن العاص وجامع طولون وبه منارة حلزون السبب فى عمارتها على هذه الهيئة ان السلطان احمد بن طولون كان جالسًا على تخت ملكه وحوله جماعة الامراء والاعيان وكان بيده مرسوم فولع به وجذبه وهو مطوىّ ثم استدرك نفسه لئلا ينكرون عليه الحاضرون واستدعا بالمهندسين وامرهم بعمارة منارة على

هيئة المرسوم كما فعل به واصرف عليها جملةً وهذا من غاية المعقول والجامع المذكور كبير جدًّا حتى ان كثيرًا من الناس يشبهونه بحرم مكّة ونظيره ، جامع الحاكم وجامع الازهر والملك والظاهر[1] وشرف الدين وقوصون وبشبك والصالح والماردانيّ وشيخو وسنقُر وامثال ذلك مما يطول ذكرهم ، ومن المدارس المؤيّديّة والظاهريّة والصالحيّة والمنصوريّة والاشرفيّة والشيخونيّة والصرغتمشيّة وغير ذلك مما يطول شرحه ❊ قيل ان بمصر والقاهرة داخل السور وخارجه الف خطبة ونيف عن ذلك وبكل مكان فيه خطبة ايضًا منارة وتمّ منارات كثيرة فى مدارس ومساجد ومزارات وترب بغير خطب لا يحصى عددهم ❊ واما مدرسة السلطان حسن تجاه القلعة المنصورة فليس لها نظير فى الدنيا حكى ان الملك الناصر حسن المشار اليه لمّا امر بعمارتها طلب جميع المهندسين من اقاطير الارض وامرهم بعمارة مدرسة يكون ليس عُمّر اعلى منها على وجه الارض وسألهم اىّ الاماكن اعلى فى الدنيا فى العمارة فقيل له ايوان كسرى انوشروان فامر ان يقاس ويحرّر وتعمّر المدرسة اعلى منه بعشرة اذرع فعُمّرت وعُمّر بها اربع منارات وقيل ثلاث فى ارتفاع المدرسة ايضًا ثم هدم بعض المنارات واستمرّت الآن على اثنتين وايوان كسرى كان واحدًا وبهذا اربعة اواوين وهى عجيبة من عجائب الدنيا سمك جدارها ثمانية عشر ذراعًا بالمصرىّ حتى ان المنارات المذكورة ترى من مسيرة يوم واحد وقيل من اكثر من ذلك قيل ان متحصّل وقفها فى كل سنة نيف عن متحصّل مملكة فخمة ❊ واتفقت نكتة احببت ذكرها وهو ان فرنجيًّا اتى الديار المصريّة واسلم ونصب حبلًا من احدى المنارات الى سطح طبقة الاشرفيّة وهى اعلى

[1] A et B, *sic;* exactement والجامع الازهر وجامع الملك الظاهر; cf *Khitat*, II, p. 273 et 299.

طباق القلعة المنصورة المسافة بينهما مقدار ميل ومشى عليه بيديه ورجليه وهو تارةً يطلق نفطًا وتارةً يرمى بقوس جرخ[1] كان بيده فلمّا وصل الى نصف الحبل واهل الديار المصريّة مجتمعون ينظرون اليه القى نفسه فصاح القوم كلهم وكان بيده حبل دقيق مربوط بالحبل المنصوب فتعلّق به وصعد وصاح وصلّى على النبى عليه السلام ٭ وبالديار المصريّة من العمائر العجيبة ما يطول شرحه ۞

فصل فى ذكر بلاد الديار المصريّة

واما بلاد الديار المصريّة فانّها تشتمل على اربعة عشر اقليمًا بالوجه القبلىّ سبعة اقاليم وبالوجه البحرىّ سبعة اقاليم والمستفيض على ألسنة الناس ان بكل اقليم ثلاثمائة وستون بلدًا وعدّة مدن بها وُلاة امور ٭ فاما الوجه القبلىّ ابتداؤه من مصر والجيزة وانتهاؤه الجنادل نحو شهرين فاوّل اقاليمه الجيزة وهى ذات برّين برّ غربىّ وبرّ شرقىّ والنيل جار بينهما فالغربىّ اعرض من الشرقىّ وبقيّة ستّة اقاليم منها اقليم بالشرق وهو اقليم الاطْفِيحيّة وبه اطفيح والاقاليم التى بالبرّ الغربىّ بعد اقليم الجيزة اقليم الفَيّوم وبحره يجرى دائمًا ويقسم الماء منه فى مقاسم مثل دمشق وفيه مدينة كبيرة تعرف بسيّدنا يوسف عليه الصلاة والسلام غالبها خراب جار بوسطها البحر المذكور موضع منبعه مكان يعرف بالمنْشية وانتهاؤه الى بحيرة مالحة وبه تماسيح كثيرة وبه اشجار واثمار كثيرة ، ويلى ذلك اقليم البَهْنَساويّة وبه مدينة البهنسا وهى مدينة كبيرة ، ويلى ذلك اقليم الأُشْمونَيْن وبه مدينتان احداهما الاشمونين المنسوب اليها الاقليم المذكور والاخرى

[1] Passage cité par Quatremère, *Mongols*, p. 285.

منية ابن خَصِيب ، ويلى ذلك اقليم الأُسيوطيّة اعظم مدنه مدينة أسيوط وهى مدينة كبيرة تضاهى مدينة غزّة وبه ايضًا مدينة منفلوط التى تعمل فيها النيدة الموصوفة ومفرود من الاقليم المذكور نيف وثلاثون بلدًا مضافة الى منفلوط ذكر واحد من الثقات انه اطّلع على متحصّل الغلال المستخرجة من البلاد المذكورة الموضوعة فى الشون السلطانيّة بمدينة منفلوط الف الف ومائة وخمسين الف اردبًّا ، ويلى ذلك من الجهة الغربيّة اقليم الواحات وبه مدينة تعرف بالواح وبين اقليم المذكور واقليم اسيوط منقطع رمال ومحاجر مسيرة ثلاثة ايّام وغربىّ الاقليم المذكور بلاد النوبة ولا فائدة فى ذكرها لكونها خارجة عن الديار المصريّة ، ويلى اقليم الاسيوطيّة ايضًا من جهة الجنوب اقليم القوصيّة به مدينة قوص وهى مدينة عظيمة جدًّا وهى اعظم مدن الصعيد يرد اليها التجار من البلاد الجنوبيّة الواصلون فى المراكب من البحر المالح الى القصير تجاه جدّة وبه ايضًا مدينة أُسوان وهى مدينة كبيرة كثيرة الثمر، ويلى ذلك بلاد الكنوز وهى متّسعة واهلها سمران ولم تكن تتضمّن الدواوين الشريفة ، ويلى ذلك الجنادل وهى مكان انحدار النيل من جبال صُمّ وهى آخر الديار المصريّة ❊ وبالصعيد مدن خراب من جملتها انصِنة بها عمد كثيرة جدًّا ويقال ان بالصعيد من الكنايس والديورة قريب الف وغالب اهله نصارى وبالصعيد اهرام وعددها ثمانية عشر هرمًا الهرم مثلّث الوجوه من ذلك ثلاثة اهرام مقابلة مصر المحروسة طول احدها خمسمائة ذراع وعرضه من اسفل كذلك وكل حجر منها طوله ثلاثون ذراعًا وعرضه عشرة اذرع اصطنعه [1] اهل ذلك الزمان لأجل الطوفان

[1] A et B; il serait plus correct d'écrire اصطنعتها, et plus loin وفيها au lieu de وفيه.

IMPRIMERIE NATIONALE.

السيّدة راحيل امّ يوسف الصدّيق عليه السلام واتام والدى المرحوم
شاهين الظاهرىّ قبّةً وصهريجًا ومسقاةً للسبيل ۞ وبيمين الطريق
بيت لحم بلدة بها كنيسة كبيرة جدًّا بها مولد عيسى عليه
السلام وبها اشياء عجيبة يطول شرحها وبها جذع النخلة المذكورة
فى القرآن العظيم فى قوله تعالى وهزّى اليك بجذع النخلة الآية[1] ۞
وبالقدس الشريف ومعاملاته ديورة كثيرة ، وقرية حلحول بها قبر
يونس عليه السلام ورام بها مقام ابرهيم عليه السلام ، وكفر بريك
به قبر لوط عليه السلام ، ويافين بها مقامه ۞ واما مدينة حبرون
المدفون بها ابرهيم الخليل عليه السلام ويعرف بمدينته وهى مدينة
حسنة عدية وبها المسجد الذى به مقام الخليل وسرداب هو مدفون
به يوقد فيه قنديل ليلًا ونهارًا وعن يمين الشبّاك قبره الشريف
وعليه ستر من حرير وتجاه ذلك زوجته سارة وهناك مقصورتان
باحدها يعقوب وزوجته وبظاهره مكان بشبّاكين باحدها اسحق والآخر
زوجته وبآخر المكان من الجهة الغربيّة قبر يوسف عليه السلام وبه
منارتان وهو مكان حسن الى الغاية وله اوقاف كثيرة وخدّام ويمدّ
به سماط الخليل عليه السلام فى كل يوم حتى انه لو ورد ذلك المكان
اهل الدنيا لفاضت البركة على السماط الى ان يكفيهم ۞ وبهذا
الاماكن الشريفة من الفضائل ما تَكِلّ عن ضبطه الاقلام ، وتعجز عن
الاحاطة به العقول والافهام ، وبفضلها وشرفها حصل لسلطانها
الشرف التامّ ، وبفضل مملكه على سائر ملوك الاسلام ، مع ما يضاف الى
ذلك من فضائل مصر والشأم ، وما بهما من الزيارات من قبور الانبياء
والصحابة والاولياء والعلماء الاعلام ، فكل ملوك الارض ما بلغوا عُشر

[1] *Qorân*, XIX, 25.

معشار فضله ، لان الجميع يخافون وقوع سطواته ويأمّلون فائض عدله .
خلّد الله ملكه تخليداً مؤبّداً ، ولا ابقى له على وجه الارض اعداء
ولا حسّداً ۞

فصل فى ذكر الديار المصريّة عمّرها الله تعالى

وبها دار الملك ولها حدود اربع ؞ اما القبلىّ فمن صفة القلزم
حيث عيذاب على بلاد الحذارب من بلاد النوبة خلف الجنادل التى
عليها مصبّ النيل الى جبال العدن الى صحراء الحبشة ؞ واما الشرقىّ
فينتهى الى بحر القلزم وغالب ما بينه وبين مجرى النيل منقطع رمال
ومحاجر ويسمّى ساحل البحر فى هذا الحدّ ثم يتّسع من حيث
السوَيْس وما اخذ مشرّقاً من بركة الغُرُنْدُل الى تيه بنى اسرائل حتى
يقع على اطراف الشأم ؞ واما حدّ الشأمىّ وتسمّيه اهل مصر البحرىّ
من الزعقة ورفح وانجّ وهى العريش من على الساحل ؞ وامّا الحدّ الغربىّ
مأخذه فى العمارة معمور الاسكندريّة اخذ على اللُيونة على العميدين
الى العقبة وهو آخر حدّ مصر ثم يعطف الحدّ على الواحات مقتبلاً على
الصعيد حتى يقع على الحدّ القبلىّ ؞ وبلاد مصر من اعجب بقاع الارض
والنيل سائح بوسطه وهو من الانهر العظيمة ومنحدرة من الجنادل
المذكورة اجمع اهل العلم انه ليس بالدنيا نهر اطول مدّاً من النيل
فانّه يسير مسيرة شهرين البلدان العامرة وعشرة ايّام فيما يتعلّق
بالاقليم فيها عامر وخراب ومسيرة شهرين فى بلاد النوبة واربعة اشهر
فى الخراب حيث لا عمارة الى ان يخرج من مكانه وان صبابه فى البحر
المحيط من ثغر رشيد وثغر دمياط ۞

ذكر قلعة الجبل وهى دار الملك الشريف

واما دار الملك الشريف التى بها تخت المملكة المعروفة الآن بقلعة الجبل ليس لها نظير فى الاتساع والزخرفة والابّهة والعلوّ تشتمل على سور وخندق وابراج وعدّة ابواب من حديد وهى حصينة جدًّا وبها من القصور والاواوين والمجالس والغرف والطباق والاحواش والميادين والاصطبلات والجوامع والمدارس والاسواق والحمّامات ما يطول شرح ذكره ولكن نأتى بملخّصه مما فيه من العظمة والابّهة والناموس الشريف ٭ اما القصر الابلق به ثلاث قصور شريفة وخرجاه [1] برسم المواكب السلطانيّة لجميع مفروش بالرخام الملوّن والسقوف المدهونة [2] بالذهب واللازورد والنقوش العجميّة [3] انشاء المقام الشريف المرحوم الملك الناصر محمّد بن قلاوون تغمّده الله برحمته ٭ واما الإوان المعظّم فليس له نظير وهو مكان بمفرده بظاهر القصر يعلوه قبّة خضراء عالية جدًّا حسنة المنظرة وبه مرتبة الملك ومجد كثيرة وهو مكان عجيب انشاء المقام الشريف المشار اليه ٭ واما الجامع الكبير الذى بالقلعة ليس له نظير قيل انه يصلّى فيه خمسة آلاف نفر وبه مجد عجيبة فى الغلط وبه منارتان وهو ايضًا انشاء المقام الشريف المشار اليه ٭ واما الدُهَيْشة [4] فهى من العجائب وعمارتها حسنة من خواصّ مجالس السلاطين وهى ايضًا انشاء المقام الشريف المشار اليه ٭ واما القياع المخصوصة بالآدر الشريفة فعديدة منها البيسريّة وهى مكان خدمة

[1] C'est le mot persan خرگاه «tente, pavillon», transcrit suivant la prononciation égyptienne. Il n'est pas question de خَرْجَاة dans la description que fait Maqrizy du Qaṣr el-Ablaq (*Khiṭaṭ*, II, p. 209-210).

[2] B المموّهة.

[3] B العجيبة.

[4] A et B الدهيشاة; cf. *Khiṭaṭ*, II, p. 212; Dozy, *op. cit.*

الآدر بها ، ومنها القاعة الكبرى وتعرف بالعواميد برسم خوند الكبرى ، ومنها قاعة رمضان بها خوند الثانية ، ومنها قاعة المظفّريّة بها خوند الثالثة ، ومنها القاعة المعلّقة وبها خوند الرابعة ، ومنها قاعة البربريّة برسم السرارى وغير ذلك من القياع والمعازل والاماكن المتّسعة مما يطول شرحها وهناك سيّدى الرُدينىّ مكان مبارك يزار ۞ واما طباق المماليك الشريفة السلطانيّة اثنا عشر طبقةً كل طبقة منها قدر حارة تشتمل على عدّة مساكن حتى انه يمكن السكنى فى كل طبقة لالف مملوك ۞ واما الحوش الشريف فانّه متّسع جدًّا وبه بستان عظيم وبه محرزة معظّمة والجلوس فى الحوش والبستان يأتى ذكره فى محلّه ۞ واما الاصطبلات الشريفة فانّها متّسعة جدًّا برسم الخيول السلطانيّة يأتى ذكرها فى محلّها ۞ واما الميدان الشريف المعروف بالاسود فمتّسع جدًّا برسم المسايرة ۞

فصل فى ذكر مصر والقاهرة المحروستين

وهى مدينة عجيبة متّسعة جدًّا من اوّلها الى آخرها مسيرة بريد وهو اوّل ابتدائه من التاج والسبع وجوه وهو قصر معظّم انشأه الملك المؤيّد له سبعة وجوه وآخر انتهائه الآثار الشريفة النبويّة يشتمل ذلك على اماكن عديدة ۞ منها بركة الحبش وهو مكان عجيب والرصد انشاء الحاكم بأمر الله ، ومنها القرافة الكبرى فيها عمائر كثيرة قيل انها فى العمائر قدر ثغر الاسكندريّة ، ومنها القرافة الصغرى وهى اعمر منها واحسن هيئة وهى فى القدر تضاهى مدينة حمص ، ومنها كوم الجارح يضاهى مدينة عكّا ۞ ومنها مصر القديمة وهى على جانب بحر النيل ولها سور تضاهى مدينة حلب قيل انه ضبط فى ايّام الفخر الوزير ما بساحلها من المراكب فكانت نيف عن الف وثمانمائة مركب وبها شِوَن

الشريفة السلطانيّة التى توضع بها الغلال وهى من اغرب الغرائب لاتّساعها وكثرة ما بها من الغلال وبها ربع يعرف بالمرحوم نبكتمر له اربعة وجوه واربعة ابواب حتى ان رجلاً من الثقاة حكى ان رجلاً نقل اليه انه سكن بهذا الربع مدّة ثلاثين سنة فاجتمع بشخص وتعارفا فسأله عن مسكنه وكان سبقه فى السكنى فاخبره انه بالربع المذكور فقال ما علمتُ بذلك وهذه من الغرائب وبها معاصر كثيرة وقصر الشمع وهو كنيسة كبيرة وبها السدّ الذى يقطع كل سنة عند وفاء النيل ، ومنها الكبّارة وهى تضاهى مدينة جعبر ، ومنها الروضة وهى تجاه مصر القديمة بها المقياس وهو مكان شريف بوسطه عامود فى وسط فسقيّة ينزل اليها بسلالم وعليه قبّة معقودة تظهر زيادة النيل ونقصانه من ذلك العمود وهو مقسّم اصابع واذرع وبه مسجد ومحراب والروضة المذكورة تضاهى مدينة البيرة ✧ ومنها بولاق وهو من احسن الاماكن على شاطىء النيل ويرد الى سواحله اكثر مما يرد الى ساحل مصر وبه منظرة المقرّ الاشرف البارزىّ والحجازيّة واماكن عجيبة حسنة المنظر ولو اردنا نصف بولاق وما به لطال الشرح وهو يضاهى مدينة طرابلس وبجانبه جزيرة الفيل سيأتى ما تضاهيه ، ومنها الجزيرة الوسطى وبها عمائر كثيرة وهى تضاهى مدينة بعلبك وتجاه بولاق قصر الملك المؤيّد بارض الورّاق من احسن القصور ، ومنها ارض الطبّالة بظاهر باب الشعريّة والجنينة وبركة الرَطْلى وما بحومتها وجسر بُشْبَيْه وحكر الشاميّ وغيط الحاجب والخليج الناصرىّ وقناطر الاوزّ وذلك من اعظم المفترجات بالديار المصريّة وهذه الاماكن تضاهى مدينة بغداد وبها الحسينيّة وهى متّسعة كان يسكنها قديمًا كثير من الامراء حكى بعض الثقاة انّه اخبر من ابيه ان كان يسكنون فى الحسينيّة من جملة الامراء ثلاثين اميرًا تدقّ على ابوابهم الطبلخانات فى ايّام

الملك الناصر محمّد بن قلاوون وهي تضاهي مدينة غزّة وبها الجَوْشَن وما حوله من العمائر الشاهقة مع ما يضاف اليه من الخليج اللؤلؤيّ يضاهي مدينة قلعة الروم ، ومنها الحمراء مع ما بها من العمائر الحسنة وما يضاف اليها من خليج الزعفران والمطريّة وتلك البساتين تضاهي مدينة ملطية ٭ ومنها القاهرة المحروسة تشتمل على سور معظّم قبل ان قراقوش امر بعمارته وبه ابواب عديدة محكمة وبالقاهرة من العمارات الحسنة والاسواق مما يطول شرح ذكره وبها بيمارستان امر بعمارته الملك المنصور وقرّر وقفه في كل سنة اربعين الف مثقال ذهب افرد من ذلك لعمارته وخدّامه اربعة آلاف وقرّر مصروفه في كل يوم مائة مثقال ولم اعلم ما هو عليه الآن ٭ والقاهرة مع ما يضاف اليها من جزيرة الفيل المقدّم ذكرها تضاهي مدينة دمشق ، ومنها الناصريّة وما بها من البركة المعظّمة والميدان الاعظم وما به من القصور والمناظر والبساتين والخُلجان والمِريس [1] والزربيّة والقناطر وغير ذلك تضاهي مدينة حماة ، ومنها اماكن متفرّقة من باب الشعريّة الى المقس [2] الى ميدان القمح الى الدِكّة [3] تضاهي مدينة سمرقند ، ومنها بابّ اللوق وتلك النواحي تضاهي مدينة سيواس ، ومنها اماكن ايضًا من باب زُوَيْلة [4] الى باب الوزير الى الصليبة الى قناطر السباع بما يحتوى عليه من بركة الفيل وجامع قوصون وجامع بشتك والشيخونيّة وجامع المارِدانيّ وما بينهما تضاهي مدينة بُرصابل اعظم ، ومنها اماكن ايضًا جامع طولون وهو جامع كبير وما تشتمل عليه تلك الدائرة مثل حذرة ابن قميحة

[1] A et B; cf. Ibn Doqmâq, p ١٣١.

[2] B porte المقص par erreur; cf. *Khiṭaṭ*, II, p. 121.

[3] A البِكّة. La leçon donnée par B est la bonne; cf. *Khiṭaṭ*, II, p. 151.

[4] A vocalise ainsi, d'après la prononciation locale qui, d'ailleurs, n'a pas changé depuis. Toutefois, Maqrîzy indique, d'après Yâqoût, la vocalisation زوِيلة (*Khiṭaṭ*, II, p. 4).

والمراغة ودائر السيّدة نفيسة والنقعاء تضاهى مدينة القرَم ، ومنها حُلْقوم الجبل وما به من العمائر يضاهى مدينة بَهَسْنا ، ومنها الكبش وما يحتوى عليه بما فى ذلك من قصر يلبُغا الكبير ومنزله والحذرة والقطع الذى فى الجبل يضاهى مدينة كرك الشَوْبَك ، ومنها القبيْبات وما تشتمل عليه فانّها تضاهى مدينة الرملة ، ومنها شقّة الجبل بما يحتوى عليه الى سيّدى عمر بن الفارض واخوة النبى يوسف عليه السلام وجامع محمود وما تحتوى عليه تلك الدائرة تضاهى مدينة حبرون المعروفة بسيّدنا الخليل عليه الصلاة والسلام المقدّم ذكرها ٭ والقلعة المنصورة المقدّم ذكرها تضاهى القدس الشريف فى القدر لا فى الحُرمة ومنها الرميْلة وما تشتمل عليه الى المصنع الى باب القرافة متّسع جدًّا تضاهى مدينتى توقات واماسى ، ومنها الحُكورة التى هى متفرّقة قيل ان عدّتها اربعة وعشرون الف حكر فنقسم ذلك من له خبرة بما سيأتى ذكر من المدن وهى عشرة ، هراة ، وتبريز ، وسلطانيّة ، واصفاهان ، وشيراز ، ويزد ، وكرمان ، وادرنة ، وقسطنطانيّة ، وكنية ٭ وفى الحقيقة لو قُسمت مصر والقاهرة وما يشتملان عليه على التحرير لزادت بجملة وسمعت من لفظ من يعتمد على قوله ان لو حرّرت هذه الاماكن لزادت عن مدن كثيرة مما ذكرناه لانه سار البلاد وراءها ۞

فصل فى ذكر ما بهذه الاماكن من الزيارات والاماكن المباركة

والجوامع والمدارس الكبار جامع عمرو بن العاص وجامع طولون وبه منارة حلزون السبب فى عمارتها على هذه الهيئة ان السلطان احمد بن طولون كان جالسًا على تخت ملكه وحوله جماعة الامراء والاعيان وكان بيده مرسوم فولع به وجذبه وهو مطوىّ ثم استدرك نفسه لئلا ينكرون عليه الحاضرون واستدعا بالمهندسين وامرهم بعمارة منارة على

هيئة المرسوم كما فعل به واصرف عليها جملة وهذا من غاية المعقول والجامع المذكور كبير جدًّا حتى ان كثيرًا من الناس يشبّهونه بحرم مكّة ونظيره ، جامع الحاكم وجامع الازهر والملك والظاهر[1] وشرف الدين وقوصون وبشبك والصالح والماردانى وشيخو وسنقُر وامثال ذلك مما يطول ذكرهم ، ومن المدارس المؤيّديّة والظاهريّة والصالحيّة والمنصوريّة والاشرفيّة والشيخونيّة والصرغتمشيّة وغير ذلك مما يطول شرحه ٭ قيل ان بمصر والقاهرة داخل السور وخارجه الف خطبة ونيف عن ذلك وبكل مكان فيه خطبة ايضًا منارة وثمّ منارات كثيرة فى مدارس ومساجد ومزارات وترب بغير خطب لا يحصى عددهم ٭ واما مدرسة السلطان حسن تجاه القلعة المنصورة فليس لها نظير فى الدنيا حتى ان الملك الناصر حسن المشار اليه لمّا امر بعمارتها طلب جميع المهندسين من اقاطير الارض وامرهم بعمارة مدرسة يكون ليس عُمّر اعلى منها على وجه الارض وسألهم اىّ الاماكن اعلى فى الدنيا فى العمارة فقيل له ايوان كسرى انوشروان فامر ان يقاس ويحرّر وتعمّر المدرسة اعلى منه بعشرة اذرع فعُمّرت وعُمّر بها اربع منارات وقيل ثلاث فى ارتفاع المدرسة ايضًا ثم هدم بعض المنارات واستمرّت الآن على اثنتين وايوان كسرى كان واحدًا وبهذا اربعة اواوين وهى عجيبة من عجائب الدنيا سمك جدارها ثمانية عشر ذراعًا بالمصرىّ حتى ان المنارات المذكورة ترى من مسيرة يوم واحد وقيل من اكثر من ذلك قيل ان متحصّل وقفها فى كل سنة نيف عن متحصّل مملكة مخمة ٭ واتفقت نكتة احببت ذكرها وهو ان فرنجيًّا اتى الديار المصريّة واسلم ونصب حبلًا من احدى المنارات الى سطح طبقة الاشرفيّة وهى اعلى

[1] A et B, *sic;* exactement والجامع الازهر وجامع الملك الظاهر; cf *Khiṭaṭ*, II, p. 273 et 299.

طباق القلعة المنصورة المسافة بينهما مقدار ميل ومشى عليه بيديه ورجليه وهو تارةً يطلق نفطًا وتارةً يرمى بقوس جرخ[1] كان بيده فلمّا وصل الى نصف الحبل واهل الديار المصرّية مجتمعون ينظرون اليه التى نفسه فصاح القوم كلهم وكان بيده حبل دقيق مربوط بالحبل المنصوب فتعلّق به وصعد وصاح وصلّى على النبى عليه السلام ٭ وبالديار المصرّية من العمائر العجيبة ما يطول شرحه ۞

فصل فى ذكر بلاد الديار المصرّية

واما بلاد الديار المصرّية فانّها تشتمل على اربعة عشر اقليمًا بالوجه القبلىّ سبعة اقاليم وبالوجه البحرىّ سبعة اقاليم والمستفيض على ألسنة الناس ان بكل اقليم ثلاثمائة وستون بلدًا وعدّة مدن بها وُلاة امور ٭ فاما الوجه القبلىّ ابتداؤه من مصر والجيزة وانتهاؤه الجنادل نحو شهرين فاوّل اقاليمه الجيزة وهى ذات برّين برّ غربىّ وبرّ شرقىّ والنيل جار بينهما فالغربىّ اعرض من الشرقىّ وبقيّة ستّة اقاليم منها اقليم بالشرق وهو اقليم الاطْفِيحيّة وبه اطفيح والاقاليم التى بالبرّ الغربىّ بعد اقليم الجيزة اقليم الفَيّوم وبحره يجرى دائمًا ويقسم الماء منه فى مقاسم مثل دمشق وفيه مدينة كبيرة تعرف بسيّدنا يوسف عليه الصلاة والسلام غالبها خراب جار بوسطها البحر المذكور موضع منبعه مكان يعرف بالمنْشية وانتهاؤه الى بحيرة مالحة وبه تماسيح كثيرة وبه اشجار واثمار كثيرة ، ويلى ذلك اقليم البَهْنَساويّة وبه مدينة البهنسا وهى مدينة كبيرة ، ويلى ذلك اقليم الأُشْمونَيْن وبه مدينتان احداهما الاشمونين المنسوب اليها الاقليم المذكور والاخرى

[1] Passage cité par Quatremère, *Mongols*, p. 285.

منية ابن خَصِيب ، ويلى ذلك اقليم الأُسيوطيّة اعظم مدنه مدينة أسيوط وهى مدينة كبيرة تضاهى مدينة غزّة وبه ايضًا مدينة منفلوط التى تعمل فيها النيدة الموصوفة ومفرود من الاقليم المذكور نيف وثلاثون بلدًا مضافة الى منفلوط ذكر واحد من الثقات انه اطّلع على متحصّل الغلال المستخرجة من البلاد المذكورة الموضوعة فى الشون السلطانيّة بمدينة منفلوط الف الف ومائة وخمسين الف اردبًّا ، ويلى ذلك من الجهة الغربيّة اقليم الواحات وبه مدينة تعرف بالواح وبين اقليم المذكور واقليم اسيوط منقطع رمال ومحاجر مسيرة ثلاثة ايّام وغربىّ الاقليم المذكور بلاد النوبة ولا فائدة فى ذكرها لكونها خارجة عن الديار المصريّة ، ويلى اقليم الاسيوطيّة ايضًا من جهة الجنوب اقليم القوصيّة به مدينة قوص وهى مدينة عظيمة جدًّا وهى اعظم مدن الصعيد يرد اليها التجار من البلاد الجنوبيّة الواصلون فى المراكب من البحر المالح الى القصير تجاه جدّة وبه ايضًا مدينة أُسوان وهى مدينة كبيرة كثيرة التمر، ويلى ذلك بلاد الكنوز وهى متّسعة واهلها سمران ولم تكن تتضمّن الدواوين الشريفة ، ويلى ذلك الجنادل وهى مكان انحدار النيل من جبال صُمّ وهى آخر الديار المصريّة ❊ وبالصعيد مدن خراب من جملتها انصِنة بها عمد كثيرة جدًّا ويقال ان بالصعيد من الكنايس والديورة قريب الف وغالب اهله نصارى وبالصعيد اهرام وعددها ثمانية عشر هرمًا الهرم مثلّث الوجوه من ذلك ثلاثة اهرام مقابلة مصر المحروسة طول احدها خمسمائة ذراع وعرضه من اسفل كذلك وكل حجر منها طوله ثلاثون ذراعًا وعرضه عشرة اذرع اصطنعه [1] اهل ذلك الزمان لأجل الطوفان

[1] A et B; il serait plus correct d'écrire اصطنعتها, et plus loin وفيها au lieu de وفيه.

IMPRIMERIE NATIONALE.

وفيه من العجائب ما يطول شرحه ٭ واما الوجه البحرى فكلما كان من الديار المصريّة الى سواحل البحر المحيط فاوّل ذلك اقليم القليوبيّة وبه مدينة قليوب وهى مدينة كبيرة غالبها خراب ، ويلى ذلك اقليم الشرقيّة وبه ثلاث مدن الخانكة وبلبيس والصالحيّة ، واما مدينة قطيا فليست من الاقاليم وانما هى بمفردها وهى مزمّ الدرب حتى لا يمكن التوصّل الى الديار المصريّة الا منها وبها حرسيّة وبها نخيل كثيرة ولها مينا وهى الطينة على شطّ البحر المحيط وعمّر هناك الملك الاشرف تغمّده الله برحمته برجين يصبّ من هناك فرقة من بحر النيل تعرف ببنى مُنَجّة وباقليم الشرقيّة المذكور بلدان كثيرة ليس لها اسماء فى الديوان الشريف وانما عمّرها العربان فى ارض سبخة لا ينتفع بها فى الزرع وانما استوطنوها لكونها بادية ، ويلى ذلك من الجهة الشماليّة اقليم الدقهليّة والمرتاحيّة وغالب الناس يظنّون انهما اقليمان لاجتماع الاسمين وبينهما بحر حلو يعرف بالمنزلة فرقة من النيل وبهذا الاقليم اربع مدن مدينة المنصورة ومدينة اشمون الرمّان ومدينة فارسكور ومدينة المنزلة فاما المنزلة وفارسكور فمتحصّلهما فى كل سنة نيف عن سبعين الف دينار لديوان المفرد الشريف وهو اقليم حسن حتى ان العارفين فضّلوه على جميع اقاليم الديار المصريّة وبها طيور حسنة الهيئة شهب الالوان مطوّقة بالسواد حمر المناقير والرجلين تسمّى بالدرّاج ولها اصوات شجيّة تقول فى تصويتها مفسّرًا يفهمه اهل ذلك الاقاليم طاب دقيق السبل سبحان القديم الازل حتى انه من سلك تلك الارض ولم يكن سلكها قطّ ظنّ انه صوت انسان ومن جملة خواصّ هذا الاقليم ان غالب اهل بلاده يزرعون القصب والقلقاس والارز على الماء الساج لان البحر المقدّم ذكره اعلى من الارض وبالقرب من مدينة المنزلة ملّاحة عظيمة يجلب منها الى الديار المصريّة ويجلب

من هذا الاقليم رمّان كثير جدًّا ، ويلى ذلك من جهة الشمال ثغر دمياط المحروس وهو ثغر جليل يمشى فى بساتينه من اوّلها الى ان يصل المدينة بريد والثغر المذكور على جانب بحر النيل بالقرب من البحر المحيط وهو من اعظم المين يرد اليه كثير من المراكب وبه من الاسماك والطيور ما لا يوجد فى غيره قطّ حتى انه مضمّن ويباع صيفًا وشتاءً ويجلب منه الى سائر الاقاليم بالديار المصريّة طريًّا وقديدًا وهناك برجان احدها بالثغر المذكور والآخر تجاه ذلك بالبرّ الغربىّ على بحر النيل والمراكب الواردة تدخل من بين البرجين وهناك سلسلة موضوعة لئلا يدخل مركب الا باذن صاحب الثغر ويعمل فيه سكر كثير يجلب منه الى سائر الاقاليم واوصاف هذا الثغر يطول شرحها واختصرته خوفًا من الاطالة ، ويلى ذلك من جهة الغرب قاطع النيل اقليم الغربيّة وبه اربع مدن المحَلّة والنِحْراريّة وفُوّهْ وسمنُّود وبها من البلدان الكبار التى تضاهى المدن ثلاثون بلدًا كل واحدة منها خراجها فى السنة اثنا عشر الف دينار وبهذا الاقليم ما ينيف عن خمسمائة واربعين قرية من جملتها بلاد السخاويّة كثير من الناس يظنّ انها اقليم بمفردها وهى من جملة ذلك وبلاد المُزاحِميّتين عديدة يظنّ انها اقليم بمفردها وهى ايضًا من الغربيّة وهذا الاقليم هو اجلّ اقاليم الديار المصريّة ، ويلى ذلك اقليم المُنوفيّة وهو فى المقام الثانى من الغربيّة ومدينة منوف وهى مدينة كبيرة جدًّا غالبها خراب يقال ان ملك فرعون كان اوّلاً بها ومن جملتها جزيرة بنى نصر يفترق عليها بحر النيل وبها مدينة أبيار ، ويلى ذلك وبقيّة الغربيّة قاطع البحر اقليم البحِيرة وهو اقليم متّسع جدًّا وبه مدينة دمنهور وهى مدينة كبيرة وبالبحيرة مكان يعرف بالطرّانة وبها مكان الاطرون وهو الذى تستعمله الحيّاك فى القماش لا يوجد معدن ثمانية ايّام بسير

الابل[1] وبه عربان كثيرة لا يضبط عددهم حكى شخص من المطعنين في السنّ ان وقعت مقتلة بين عربان ذلك الاقليم فقتل فيها نيف عن ثلاثة آلاف نفر ۞

فصل في ذكر ما بالديار المصريّة من المزارات والاماكن المباركة

وبالديار المصريّة من المزارات والمشاهد وقبور الصحابة والعلماء والاولياء والصالحين ما يعسر عن ضبطه فمن ذلك مشهد زنبور ومشهد التبر ومشهد القصر يقال ان بهؤلاء رأس الحسن والحسين ومشهد به صخرة موسى ومشهد سيّدة نفيسة ومشهد فاطمة ابنة محمّد بن اسمعيل بن جعفر الصادق ومشهد امينة ابنة الامام محمّد الباقر ومشهد رقيّة ابنة على بن ابى طالب ومشهد الامام الاعظم محمّد بن ادريس ومشهد على بن حسين بن على بن زين العابدين ومشهد الشيخ ابن عبد الله الكيزانيّ ومشهد اهل البيت ومشهد على بن عبد الله بن القاسم ومشهد ابنة موسى الكاظم ومشهد يحيى بن الحسين بن زيد[2] بن الحسن بن على بن ابى طالب ومشهد امّ عبد الله بن القاسم بن محمّد ابن جعفر الصادق وبه يحيى بن القاسم وعيسى بن عبد الله بن القاسم والقاسم بن محمّد بن جعفر الصادق وابنته كلثوم ومسجد يعرف بيوسف الصدّيق وقبر عبد الله بن اليمان وقبر عبد الله مولى عائشة وقبر عروة واولاده وقبر دحية الكلبيّ وقبر روبيل بن يعقوب ويهودا اخيه وقبر اليسع وقبر ذى النون المصريّ وقبر خال النبى صلّى الله عليه وسلّم اخ حليمة السعديّة وقبر عبد الله بن عبد الرحمن بن

[1] Ce dernier membre de phrase لا يوجد ... في est omis dans le ms. A. —
[2] B بن يزيد .

عوف وقبر عبد الرحمن بن القاسم وورش صاحب مالك والفقيه ابى الثريّا وقبر شقران شيخ ذى النون المصرىّ وقبر الكنزىّ وقبر احمد الرودبانىّ وقبر الزيدىّ وقبر على السقطىّ وقبر الناطق والصامت وعبد الرحمن بن الزغارة والوارد وقبر الشيخ البكّار والاثار والشيخ ابى الحسن الدينورىّ وابن طباطبا وقبر الانبارىّ ومشهد محمّد بن ابى بكر الصدّيق ومشهد عفّان وليس ابا عثمان وكان من الصالحين ، وله حكاية مطوّلة مع عبد له زنجىّ الجنس فأسا العبد فى حقّه واحرق ثيابه فلم يؤاخذه بل اعتقه واطلقه فكان عن [1] قليل الّا وقد توجّه سائحًا فى مركب فتوجّه المركب من غير اختيار الى بلاد الزنج فطلع اهل المركب الى المدينة وهو بصحبتهم فوجد عبده المعتق صار ملك تلك المدينة فاراد الاختفاء منه فعرفه واستدعى به وقام واجلسه فى مكانه وصار يقبّل رجليه وانعم عليه بمركب موسوق من المال وهذا ثمرة فعل الخير تغمّده الله برحمته ، ومشهد عمرو بن العاص وقبر نصرة الغفارىّ وقبر عبد الله بن الحارث وقبر كعب الاخبار وابن ابى هريرة وقبر زليخا والبيت الاخضر فيه قبور الصالحين ⁘ ومن الاماكن المباركة القبّة التى ذبحت فيها البقرة المذكورة فى القرأن [2] ومقام موسى ومعبده ومقام ابرهيم ومكان يعرف بصالح العزير والمطريّة مكان مبارك يستخرج من بئر فيه دهن البلسم وهناك عين شمس وبالصعيد جبل الطير ويقال الطيلمون تزوره فى كل سنة جميع الطيور والجبل الساحرة وهو جبل مبارك ينذر له وفى غربىّ المنية قرية تعرف ببهدال به مشهد ينزل عليه النور وهناك مساجد كثيرة تعرف بيوسف الصدّيق والمسيح بن مريم ويقال ان بالصعيد قبر ارسطاطاليس

[1] A فعن. — [2] Qorân, II. 63-66.

ومسجد الردينىّ على طريق النوبة ويقال ايضًا ان بالغربيّة مسجد
الخضر عليه السلام وكثير من الصلحاء المشهورين وبالديار المصريّة
وجميع اقاليمها من الاماكن المباركة وقبور الصالحين ما لو اردنا
ذكره لطال الشرح وهذا على حسب الاختصار ٭ وما احسن ما وصفها
عمرو بن العاص رضى الله عنه فى كتابه الذى كتبه الى عمر بن الخطّاب
رضى الله عنه وذلك ان عمر رضى الله عنه كتب الى عمرو بن العاص
وكان عامله على مصر يقول له ، اما بعد يا عمرو بن العاص اذا اتاك
كتابى هذا فانفذ الىّ جوابه تصف الىّ فيه صفة مصر وضياعها وما
هى عليه حتى كانّى حاضرها ٭ فاعاد اليه كتاب جواب كتابه يقول
فيه ، بسم الله الرحمن الرحيم ، اما بعد يا امير المؤمنين فانّها بريّة
غبراء ، وشجرة خضراء ، بين جبلين جبل رمل وجبل كانّه بطن
اقب ، او ظهر اجب ، مكسبها ورزقها ، ما بين اسوان الى منشا ، من
البرّ ونتج من البحر يخطّ فى وسطها ، نهر مبارك الغدوات ، ميمون
الراحات ، يجرى بالزيادة والنقصان كجارى ، الشمس والقمر ، له
اوان تظهر اليه عيون الارض وينابيعها مسخّرة له ، بذلك ومأمورة له ،
حتى اذا اظلم[1] عجاجه ، وتغمطمت[2] امواجه ، واعولت لجمه ،
ولم يبق لخلاص من القرى بعضها الى بعض فى خفاف القوارب ، او
صغار المراكب ، التى كانّها فى الحبائل ، ورق الابابل ، ثم عاد بعد
انتهاء اجله ، نكص على عقبه ، كاوّل ما بدأ فى دربه ، وخيمًا فى
سربه ، ثم استبان مكفونها ، ومخزونها ، انتشر بعد ذلك امّة
مخفورة ، وذمّة مغفورة ، لغيرهم ما سعوا به من كدّهم ، ولا ينالون
بجهدهم ، شعثوا بطون الارض وروابيها ، ورموا فيها ، ما يرجون به من

[1] A اظم ; B اظلم même sens. — [2] B تغمطمطت.

الربّ النما ، حتى اذا احدق وابسق واسبل قنواته سقاه الله من فوقه الندى ، وربّاه من تحته بالثرى ، وربّما كان سحاب ، مكفهرّ الاوابل وربّما لم يكن ، وفى ذلك زمانًا يا امير المؤمنين ما يغنى ذبابة ، ويدرّ جلابة ، فبينا هى بريّة غبراء ، اذ هى لجّة زرقاء ، اذ هى مدرة سوداء ، اذ هى سندسة خضراء ، اذ هى ديباجة رقشاء ، اذ هى درّة بيضاء ، فتبارك الله احسن الخالقين ، وفيها ما يصلح احوال اهلها ثلاثة اشياء ، اوّلها لا يقبل قول رئيسها على خسيسها ، والثانى يؤخذ ثلث ارتفاعها ويصرف فى ترعها وجسورها ، والثالث لا يستأدى خراج كل صنف الا منه عند استهلاله ، والسلام ۞ وقال بعض اهل الفضل رأيت بها فى اوان واحد مجتمعًا وردًا ثلاثة الوان وياسمينًا لونين ونيلوفر لونين واسًا ونسرينًا وريحانًا لونين وبنفسجًا ومنثورًا لونين وزنبقًا وترنجًا وليمونًا وطلعًا ورطبًا وموزًا وجمّيزًا وحصرمًا وعنبًا وتينًا اخضر ولوزًا وقثاءً وفقوصًا وبطّيخًا الوان متعدّدة وبادنجانًا والباقلاء الاخضر ويقطينًا وحمّصًا اخضر ورمّانًا وهليونًا وجبنًا[1] عدّة اصناف وجوزًا اخضر وقصب سكّر ومن البقول والخضراوات ما يعسر ضبطه وهذا ما رأيته فى غيرها قطّ ۞

فصل فى ذكر ثغر الاسكندريّة

وهو اجلّ ثغور الاسلام واعظمه يشتمل على سورين محكمين بها عدّة ابراج يحيط بها خندق يطلق فيه الماء من البحر المحيط عند وقت الضرورة وللثغر عدّة ابواب محكمة حتى ان على كل الباب منها ثلاثة ابواب من حديد وباعلى الابراج مناجنيق ومكاحل وفى وقت الضرورة

[1] A sic; B وجنبًا.

يعلّق على كل شرّافة قنديل وهذا الثغر فى غاية التحصين وعلى كل برج منه اعلام وطبلخاناه وابواق وحرسيّة يشهر ذلك وقت الضرورة وهى مدينة مركّبة على العمد وشبّهها بعضهم لرقعة الشطرنج لان جميع شوارعها وازقّتها نافذة بعضها الى بعض وبالثغر قصر السلاح مملوء بالعدد المتنوّعة حتى ان لو جاء اليه اهل الديار المصريّة لكفّاهم فى اللبوس وحكى بعض الثقاة انّه اطّلع على تأريخ الهروىّ فرأى فيه ان بالثغر المذكور اثنى عشر الف قبلة وبه من الجوامع الحسنة والمدارس المرخّمة والمنقوشة ما يطول شرح وصفهم وبالثغر مكان يعرف بدار السلطان بها دور متّسعة وهى عجيبة من عجائب الدنيا وبها دار عظيمة وبها تخت الملك قيل انه لم تعمّر دار وسعها انشأها فى الاصل المقوقس ثم بعده جوهر الموتفكىّ[1] ثم بعده صلاح الدين بن ايّوب ثم بعده الملك الناصر فرج بن برقوق وبها من الاعمدة الرخام الملوّنة والقياع المفروشة بالرخام الملوّن والاماكن المزخرفة والبساتين الحسنة ما يطول شرح وصفه وهى مشرفة على البحر المحيط لا يسكنها الا السلاطين خاصّةً ولم تزل الى الآن مقفولة وقد استأذنت المقام الشريف الملك الاشرف على السكنة فيها حين كنت نائب السلطانة الشريفة بالثغر فأمر لى بذلك وزوّجنى بأخت زوجته خوند الخوندات جلبان تغمّدهم الله برحمته ولم يكن سبق لاحد ذلك من نوّاب الثغر ونصب بالقاعة العظمى من الحلل ما لا يوصف ومن جملة ذلك سبعة بشاخين مختلفة الالوان واشياء عجيبة مما يطول شرحه وبوسط الثغر خليج ممتدّ يأتى من بحر النيل يصبّ فى البحر المحيط يروى جميع الثغر وبساتينه ومسافة بساتينه من اوّلها الى آخرها مسيرة يوم

[1] A et B *sic.*

للخيّال المجدّ ويعمل بهذا الثغر من الاقمشة العجيبة التى لا توجد فى غيره والاشياء المفردة مما لو اردنا ان نشرح ذلك لاحتجنا الى عدّة مجلّدات ٭ واتّفقت نكتة احببتُ ذكرها وهى انه حكى انه كان بالثغر تاجر يقال له الكويك عمّر به مدرسة مشهورة الآن صرف عليه جملة من متحصّل فائدة يوم واحد فقط والمشاع بين الناس انه كان متحصّل الثغر للديوان الشريف خاصّة فى كل يوم الف دينار من جهات متفرّقة ٭ وبه قناصلة وهم كبار الفرنج من كل طائفة رهينة كلما حدث من طائفة احدهم ما يشين فى الاسلام يطلب منه ٭ وبظاهر الثغر عمود يعرف بالصوارى عجيب من عجائب الدنيا فى طوله حتى انه يرى لمسافرى البحر من مسيرة يومين واما غلظه قيل يدور عليه ستّة عشر نفرًا بالباع وحكى ان شخصًا صعد على هذا العمود واطلع جمله امر هذا فى غاية العجب ٭ وبالثغر من المزارات والاماكن المباركة ما يطول شرحها منها مشهد دانيال عليه السلام وجابر الانصارىّ وابن الحاجب المالكىّ وابى بكر الطرطوشىّ وابى العباس المرسىّ وياقوت العرشىّ وعبد الله الراسىّ وقاسم القبارىّ وابى فتح الواسطىّ وغير ذلك من الصلحاء والاماكن المباركة ٭ واما ترتيب الثغر وطرائقه وحرّاسه وما يناسب ذلك فعجيب من العجائب وغالب اهل الدنيا يردون اليه برًّا وبحرًا يجلبون اليه البضائع وكذا يجلبون منه وكان به المنارة التى بناها اسكندر ذو القرنين وهى احدى من عجائب الدنيا يرى فيها المراكب اذا سارت من بلاد الفرنج وهى الآن مهدومة ۞

فصل فى ذكر الشأم

ومعنى الشأم الطيّب وقيل فى قوله انما سمّيت شأمًا لانّها عن شمال الكعبة كما سمّى باليمن ما كان عن يمين الكعبة وقيل غير ذلك ٭ وقيل

فى قوله تعالى الذى باركنا حوله [1] قال السهيلىّ هى الشأم ❊ وقال تعالى
واويناها الى ربوة ذات قرار ومعين [2] قيل انها دمشق ❊ وقسم الاوائل
الشأم خمسة اقسام ، الاوّل فلسطين واوّل حدودها من طريق مصر
امجّ وهى العريش ثم يليها غزّة ثم رملة فلسطين ومن مدنها أيليا وهى
بيت المقدس وعسقلان ولُدّ ونابلس ومدينة حبرون المعروفة بالخليل
عليه الصلاة والسلام ومسيرة فلسطين طولاً اربعة ايّام من امجّ الى
اللجّون وعرضها من يافا الى أريحا ، والثانى حوران ومدينتها العظمى
طبريّة ومن مدنها الغور واليرموك وبيسان ، والثالث الغوطة
ومدينتها العظمى دمشق وطرابلس وقيل انها من الارض المقدّسة
وصفد وبعلبك وما يشتمل عليه تلك الاماكن من المدن ، والرابع
حمص ولا تدخلها حيّة ولا عقرب وقيل نزل فيها من اصحاب رسول
الله صلّى الله عليه وسلّم خمسمائة ومن اعمالها مدينة سلميّة وفيها
مزار على بن ابى طالب رضى الله عنه ، والخامس قنّسرين ومدينتها
العظمى حلب وحماة وسربين وانطاكية يقال انها قرية حبيب النجّار .
اما المملكة الغزّاويّة بها مدينة غزّة وهى مدينة حسنة بارض مستوية
وهى كثيرة الفواكه وفيها من الجوامع والمدارس والعمارات الحسنة ما
يورث العجب وتسمّى دهليز الملك ولها معاملات وقرًى وهى مملكة متّسعة ،
واما مدينة الرملة فليست هى مملكة وانّما هى اقليم [3] تشتمل على قرًى
عديدة وهى مدينة حسنة بها جوامع ومدارس ومزارات من جملتها
الجامع الابيض عجيب من العجائب قيل ان بمغارته من قبور الصحابة
اربعون قبرًا وبها من الاماكن المباركة ما يطول شرحه وقبران من اخوة
يوسف عليه الاسلام وقبر ابى هريرة وقبر سلمان الفارسىّ والقدس

[1] *Qorân*, XVII, 1. — [2] *Qorân*, XXIII, 52. — [3] Tout ce qui suit, jusqu'à والقدس الشريف, est omis dans le ms B.

الشريف وبلد الخليل تقدّم وصفها فى محلّها ٭ واما المملكة الكركيّة فليست هى من الشأم وهى مملكة بمفردها وتسمّى مآب وهى مدينة حصينة معقل من معاقل الاسلام بها قلعة ليس لها نظير فى الاسلام ولا فى الكفر تسمّى حصن الغراب لم تكن فتحت عنوةً قطّ وانّما فتحها المرحوم صلاح الدين يوسف بن ايّوب بعد فتح القدس فى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وكانت بيد البرنس ارناط وكان يتعرّض الى حجّاج بيت الله الحرام والحكاية فى ذلك يطول وملخّص القضيّة انه نزل بعسكره نجدة الى الكفّار على وقعة حطّين فنصر الله اولياءه وخذل اعداءه واظهر دينه وامكن السلطان صلاح الدين من جميع ملوك الكفّار وكان من جملتهم البرنس ارناط صاحب الكرك فحصل الفتوح فى واسطة ذلك واستمرّت الشوبك مدّةً بيد الكفّار الى ان قدّر الله بفتحها بسبب عجيب وذلك ان والدة ارناط تسبّبت فى فتح ذلك لخلاص ولدها ففتح الحصنان وقتل ارناط والشوبك مضافة الى الكرك وهى حصينة ايضًا ومسيرة معاملة الكرك من العلى الى زيزة مقدار عشرين يومًا بسير الابل وهى بلاد عذية بها قرًى كثيرة ومعاملات والمسلك اليها صعب فى منقطعات قليلة الماء حتى انه اذا وقف احد على درب من دروبها يمنع مائة فارس واوصافها كثيرة اختصرتها خوف الاطالة وبها من المزارات والاماكن الشريفة مشهد داود عليه السلام ومكان جعفر الطيّار وهو مكان مبارك ينذر وقبر زيد بن حارثة وقبر عبد الله بن رواحة وقبر زيد بن ارقم ومكان يقال ان الامام على زاره وقبر حارث بن النعمان وقبر زيد بن الخطّاب وعبد الله بن سهل وجماعة من الصحابة رضى الله عنهم استشهدوا فى غزوة موتة وهناك مغارة يظهر منها فى كل حين نور ومشهد يوشع بن نون عليه السلام وقبر اسكندر ولم يعلم انه اىّ اسكندر هو وقبر عبد الله بن المبارك وغير

ذلك من المشاهد ٭ واما المملكة الصفدية فانّها مملكة متّسعة قيل انها تشتمل على الف ومائتى قرية ولها عدّة معاملات واعظم مدنها صفد وهى مدينة متفرّقة ثلاث قطع وهى عدية وبها جوامع ومدارس ومزارات واماكن حسنة وحمّامات واسواق وبها قلعة حصينة يقال انها لا يوجد نظيرها عشر قلاع وفتحت من قريب ، ومدينة عكّا كانت حصينة جدًّا فلمّا فتحها الملك صلاح الدين بن ايّوب هدم اسوارها وهى الآن مينا المملكة الصفدية ولمّا هدمها جهّز قفلها بمفتاحه وهو حمل فرس الى سجن قلعة الكرك وهو بها الآن عجيب من العجائب ، ومدينة صور وهى الآن خراب ، ومدينة المعشوقة خربت الى ان صارت قدر قرية وهى قريبة من البحر ، وبالمملكة الصفدية قرى كبار نظير المدن كالمنية والناصرة وكفركنّة وما اشبه ذلك وقيل ان بالمملكة الصفدية بالشقيف وكابول وغيرها سبع قلاع غالبها خراب الآن وبها من المزارات والاماكن المباركة بقرية حطّين مشهد شعيب النبى عليه السلام وغير ذلك من الاماكن المباركة ٭ واما المملكة الشامية فانّها مملكة متّسعة جدًّا وهى عدّة اقلم ومدن وقلاع وقد تقدّم ان مدينتها العظمى دمشق وهى مدينة حسنة الى الغاية تشتمل على سور محكم وقلعة محكمة وبها طارمة مشرّفة على المدينة بها تخت المملكة مغطّى لا يكشف الا اذا جلس السلطان عليه وفضائل الشأم كثيرة وبها جوامع حسنة ومدارس واماكن مباركة وشوارع واسواق وحمّامات وبساتين وانهر ومآثر تحيّر الواصف فيها ، قال بعض المفسّرين فى قوله تعالى ارم ذات العماد التى لم تخلق مثلها فى البلاد [1] وهى دمشق ، وبها بيمارستان لم ير مثله فى الدنيا قطّ واتفقت نكتة احببت ذكرها وهى انّى

[1] Qorân, LXXXIX. 6-7.

دخلت دمشق فى سنة احدى وثلاثين وثمانمائة وكان بصحبتى شخص عجمىّ من اهل الفضل والذوق واللطافة وكان قاصد الحجّ فى تلك السنة والّف مناسك الحجّ على اربعة مذاهب فلمّا دخل البيمارستان المذكور ونظر ما فيه من المآكل والتحف واللطائف التى لا تحصر قصد اختبار حال البيمارستان المذكور فتضاعف واقام به ثلاثة ايّام ورئيس الطبّ يتردّد اليه ليختبر ضعفه فلمّا جسّ نبضه وعلم حاله وصف له ما يناسبه من الاطعمة الحسنة والدجاج المسمّنة والحلوا والاشربة والفواكه المتنوّعة ثم بعد ثلاثة ايّام كتب له ورقةً من معناها ان الضيف لا يقيم فوق ثلاثة ايّام وهذا فى غاية الحذاقة والظرافة ، وقيل ان البيمارستان المذكور منذ عمّر لم تنطفى فيه النار، واما جامع بنى اميّة فهو احد العجائب الثلاث ولقد رأيت فى بعض التواريخ ان عجائب الدنيا ثلاث منارة الاسكندريّة وجامع بنى اميّة وحمّام طبريّة واما الميدان الاخضر وما به من القصور الحسنة فعجيبة من العجائب واما مفترجات دمشق فيعجز الواصف عن حصرها من جملتها الجبهة والربوة والعاشق والمعشوق وبين النهرين وتحت الطارمة والتخوت والمقاسم والوادى الفوقانىّ والتحتانىّ والصالحيّة والسبعة والعقّابة ، واما ما بها من الاماكن المباركة والمزارات مشهد الحسين رضى الله عنه ومشهد الخضر عليه السلام وقبر محمّد بن عبد الله بن الحسين بن احمد بن اسمعيل بن جعفر الصادق وزاوية الخضر ومصحف بخطّ عثمان رضى الله عنه وبها المنارة التى اقام بها الامام الغزالىّ ويومرة [1] الذى ملك بلاد العرب وقيل ان عيسى بن مريم عليهما السلام ينزل عليها وقبر نور الدين محمود بن زنكى وقبر صلاح الدين يوسف بن ايّوب

[1] A et B *sic*.

وقبر بلال بن حمامة وقبور ثلاث من ازواج النبى عليه السلام وقبر فضّة وقبر ابى الدرداء وامّه. وقبر فضالة بن عبيد وقبر سهل بن الحنظلة وقبر واثلة بن الاشقع وقبر اوس الثقفىّ وقبر امّ الحسن ابنة حمزة وقبر على بن عبد الله بن العبّاس وقبر اخيه وقبر خديجة ابنة زين العابدين وقبر اسكندر بن الحسن وقبر أويس القرنىّ وقيل انه فى الرقّة وقبر عبد الله بن مسعود وابى بن كعب وقبر دحية الكلبىّ وقيل ان بها هابيل ومغارة الجوع وقيل ان بها اربعون بيتًا ومائة وستّ وثلاثون مغارة ، وبدمشق المحروسة سبعة انهر اذا جمعت صارت مثل النيل واما ما بها من الفواكه الرطبة واليابسة والرياحين والاشياء المفردة واللطائف والاقمشة ما يطول شرحه وبها الثلج لا يزال على الجبال شتاء وصيفًا وجميع اهلها يشربون منه وينقل منه الى السلطان واركان الدولة الشريفة ، وتقدّم ان من جملة اقاليمها الرملة ، واما مدينة بيسان فهى من معاملة دمشق ، واما مدينة السلط فهى لطيفة وبها قلعة ولها اقاليم وهى من معاملة دمشق ايضًا ، واما مدينة نابلس فانّها مدينة حسنة وكان بها قلعة هدمت ولها اقليم يشتمل على ثلثمائة قرية وهى ايضًا من معاملة دمشق ، واما مدينة عجلون فلها قلعة واقليم يشتمل على عدّة قرًى وهى جبال واودية وهى ايضًا من معاملة دمشق ، واما مدينة حسبان فلها قلعة خربة واقليمها البلقاء تشتمل على نيف ثلثمائة قرية بأرض مستوية وهى ايضًا من معاملة دمشق ، واما مدينة صرخد فانّها مدينة عجيبة لصعوبتها وبها قلعة حصينة من الصوّان الاسود ولها اقليم به ما ينوّف عن مائة قرية وهى ايضًا من معاملة دمشق ، واما مدينة الصبيْبة وتعرف ببانياس بها قلعة حصينة وهى مدينة لطيفة يزرع بها الأرز يجلب منها الى دمشق وغيرها ولها اقليم بعضه يعرف بالحولة يشتمل على مائتى قرية وهى ايضًا

من معاملة دمشق ، واما الحوران قيل ان به عدّة اقاليم والمستفيض بين الناس انه نيف عن الف قرية وبها مدينة الحاة ومدن صغار متفرّقة وهى ايضًا من معاملة دمشق ، واما اقليم الغوطة قيل انه نيف عن ثلثمائة قرية وبه مدن صغار وبلدان تشابه المدن وهى ايضًا من معاملة دمشق ، واما اقليم نُعران فهو عجيب لكثيرة اوعارة واكبر بلدانه نعران قيل انه نيف عن مائة وستّين قرية وهى ايضًا من معاملة دمشق ، واما الزبدانى فهو مقارب مدنه وله اقليم نيف وخمسون قرية وبه انهر كثيرة وهو ايضًا من معاملة دمشق ، واما كرك نوح فهى مدينة لطيفة ومن معاملتها وادى التيم وله اقليم مع ما يضاف الى الوادى المذكور ثلثمائة وستّون قرية وهى ايضًا من معاملة دمشق ، واما السويديّة فأصلها مدينة كثيرة وهى الآن غالبها خراب ولها اقليم يشتمل على ما ينوّف عن مائتى قرية وهى ايضًا من معاملة دمشق ، واما مدينة بعلبك فانّها مدينة حسنة الى الغاية وبها قلعة حصينة بها محد قيل ان سليمان عليه السلام امر بعمارتها وببعلبك جوامع ومدارس واماكن مباركة واسواق وحمّامات وبساتين وانهار ما يطول شرحها ولها اقليم حسن يشتمل على ثلثمائة وستّين قرية وهى ايضًا من معاملة دمشق ، واما حمص فانّها مدينة حسنة وهى تشتمل على سور وقلعة وقيل انها مدينة فوق مدينة وهى عجيبة من العجائب وبها قبر خالد بن الوليد رضى الله عنه وبها جوامع ومدارس واسواق وحمّامات ، واما بُصرَى فلها اقليم يشتمل على عدّة قرًى وهى ايضًا من معاملة دمشق ، واما البقاع العزيز فانّه اقليم به عدّة قرًى واماكن متّسعة وهى ايضًا من معاملة دمشق ، واما مدينة صيدا فهى مينا دمشق وهى مدينة لطيفة على شاطىء البحر المحيط ترد اليها المراكب ولها اقليم به ما ينوّن عن مائتى قرية وهى ايضًا من

معاملة دمشق ، واما مدينة بيروت فهى مينا ايضًا وهى نظيرها ولها اقليم به عدّة قرى وهى ايضًا من معاملة دمشق ٭ واما المملكة الطرابلسيّة فانّها مملكة جيّدة اعظم مدنها طرابلس وهى مدينة حسنة بها جوامع ومدارس واسواق وحمّامات وعمائر حسنة وهى على شاطىء البحر المحيط يقال انها شاميّة مصريّة لحسن هيئتها وهى تشتمل على عدّة مدن واقاليم وقلاع وقرى على ما يأتى تفصيله ، اما مدينة صهيون فهى مدينة لطيفة وبها قلعة صهيون وهى قلعة حصينة ولها اقليم بمفردها به عدّة قرى وهى من معاملة طرابلس ، واما قلعة المرقب فهى حصينة ولها معاملة بها عدّة قرى وهى ايضًا من معاملة طرابلس ، واما حصن الاكراد فهو حصن منيع وله معاملة به عدّة قرى وهو ايضًا من معاملة طرابلس ، واما قلعة قدموس فهى حصينة ولها معاملة بها بعض قرى وهى من معاملة طرابلس ، واما لاذقيّة فانّها مدينة متّسعة جدًّا وغالبها خراب وهى قريبة من البحر المحيط ولها معاملة بها قرى كثيرة وهى ايضًا من معاملة طرابلس ، واما جبلة فانّها مدينة لطيفة وبها قبر ابرهيم بن ادهم ولها معاملة وهى ايضًا من معاملة طرابلس ، واما عرقا فهى ايضًا مينا وهى من توابع طرابلس ، واما حصن عكّار فهو منيع وله معاملة بها قرى وهو من معاملة طرابلس ، واما حصن جليل فهو منيع وليس له معاملة وهو من توابع طرابلس ، واما الكهف فهو منيع ايضًا وهو من توابع طرابلس ، واما الروافة فكذلك ، وقيل ان المملكة الطرابلسيّة وتوابعها تشتمل على قريب من ثلاثة آلاف قرية ٭ واما المملكة الحماويّة فانّها مملكة متّسعة تشتمل على مدن وقلاع واقاليم وقرى واعظم مدنها حماة وهى مدينة حسنة الى الغاية تشتمل على سور محكم وابراج عديدة ولها قلعة اخربها تمرلنك وبها النهر العاصى محيط بها وبها نواعير كثيرة وبها

مفترجات كثيرة وبها جوامع ومدارس ومساجد واماكن ومزارات مما يطول شرحه ، واما سلمية فلها معاملة بها عدّة قرًى وهي من معاملة حماة وبها المحاريب السبعة يقال تحتها قبور التابعين وبها قبر النعمان ابن بشير الصحابيّ رضى الله عنه وكان جوادًا سخيًّا كريمًا ومن جملة سخائه ان شخصًا من همذان كان ذا مال ثم افتقر فغشيه واعلمه بحاله فلمّا صعد المنبر قال ان فلانًا من ذوى البيوت وهو الآن فقير كل منكم يساعده فقالوا كل منّا يعطيه شيئًا فقال كل اثنين دينار فرضوا بذلك فقال انا أُعجّلها من بيت المال وانتم تُعوّضوها بحسبها ودفع اليه من بيت المال عشرة آلاف دينار فانشأ يقول شعر[1]

ولم أر للحاجات عند التماسها ... كنعمان نعمان الندى بن بشير
اذا قال أوفى بالمقال ولم يكن ... لكاذبة الاقوام حبل غرور
فلولا اخو الانصار كنت كنازل ... ثوى ما ثوى لم ينقلب بنقير
متى اكفر النعمان لم أكُ شاكرًا ... ولا خير فيمن لم يكن بشكير

واما مدينة المعرّة كان اسمها ذات القصور وهي الآن لطيفة ولها معاملة وقرًى عديدة وهي من معاملة حماة وبها قبر محمّد بن عبد الله الصحابيّ وبدير مرّان قبر عمر بن عبد العزيز الامويّ رضى الله عنه[2] ، واما حصن الفداويّة فهو منيع وله معاملة بها عدّة قرًى وهو ايضًا من معاملة حماة ، واما مدينة مصياة فانّها لطيفة ولها معاملة وهي من جملة معاملة حماة ❊ واما المملكة الحلبيّة فانّها مملكة متّسعة الى الغاية تشتمل على مدن وقلاع ومعاملات وقرًى عديدة واعظم مدنها حلب وهي مدينة تشتمل على سور محكم وقلعة محكمة وبها من جوامع ومدارس ومساجد ومزارات وعمائر حسنة واسواق وحمّامات ما يطول وصفها وهي

[1] Mètre طويل. — [2] Les deux mss. portent : وبدير وعمر وعبد العزيز.

IMPRIMERIE NATIONALE.

باب الملك ، واما مدينة انطاكية متّسعة جدًّا بها قبر الحبيب النجّار ولها اقليم به عدّة قرًى وهي من معاملة حلب ، واما مدينة جعبر فهى مدينة لطيفة ولها قلعة حصينة واقليم به عدّة قرًى وهي ايضًا من معاملة حلب ، واما مدينة الرحبة فهى مدينة لطيفة ولها قلعة واقليم به عدّة قرًى وهي ايضًا من معاملة حلب ، واما مدينة سيجر[1] فهى مدينة لطيفة وبها قلعة حصينة واقليم به عدّة قرًى وهي ايضًا من معاملة حلب ، واما مدينة سرمين فانّها لطيفة ولها اقليم به عدّة قرًى وهي ايضًا من معاملة حلب ، واما اقليم الباب والبزاعة فهو اقليم متّسع وبه عدّة قرًى وهو ايضًا من معاملة حلب ، واما اقليم كلّيس وعزاز فهو متّسع وبه هذه المدينتان ويسمّونها الآن قرًى وهو من معاملة حلب ، واما العمق فليس باقليم وانّما هو مكان متّسع به بعض قرًى ، واما اقليم الجزيرة[2] فيه قرًى عديدة وغالب اهلها عربان وهي ايضًا من معاملة حلب ، واما مدينة الحديدة فانّها لطيفة وبها قلعة ولها اقليم به عدّة قرًى وهي ايضًا من معاملة حلب ، واما مدينة اياس فانّها لطيفة وكان بها قلعة هدمت وقيل انها عمّرت ولها اقليم به عدّة قرًى وهي من معاملة حلب ، واما مدينة سِيس فهى لطيفة وبها قلعة حصينة ولها اقليم به قرًى عديدة غالبها نصارى وهي من توابع حلب ، واما مدينة طرسوس فهى مدينة محكمة عليها سور وبها قلعة لطيفة وبها اقليم يشتمل على عدّة قرًى بالغرب من البحر المحيط وهي ايضًا من توابع حلب ، واما مدينة مسين فهى لطيفة ولها اقليم به بعض قرًى وهي ايضًا من توابع حلب ، واما مدينة آدنة فهى لطيفة ولها اقليم به بعض بلدان وهي ايضًا من

(1) *Alias* شيزر. — (2) A الجَزيرة, B الجزيه.

توابع حلب ، واما اقليم الرمضانيّة والاوزاريّة فمتّسع وبه بلدان وهو ايضًا من توابع حلب ، واما مدينة قيسارية فهى مدينة لطيفة لها سور وقلعة لطيفة ولها اقليم به قرى وهى ايضًا من توابع حلب ، واما مدينة عين تاب فهى مدينة حسنة عامرة ولها قلعة حصينة وهى من احسن المدن ولها اقليم يشتمل على قرًى كثيرة وهى ايضًا من توابع حلب ، واما مدينة شيح ففيها اختلان وهى من معاملة حلب ، واما مدينة قلعة المسلمين فهى لطيفة وبها قلعة حصينة الى الغاية ولها اقليم يشتمل على عدّة قرًى وهى على شطّ الفرات وهى ايضًا من معاملة حلب ، واما مدينة البيرة فهى مدينة حسنة ولها قلعة محكمة لطيفة وهى ايضًا على شطّ الفرات وهناك جسر موضوع على مراكب تجوز به الركبان على ظهر الفرات ولها قرًى عديدة وهى ايضًا من توابع حلب ، واما مدينة الرهاء فهى مدينة كبيرة تشتمل على سور وغالبها الآن خراب وبها قلعة حصينة واصلها من ديار بكر وبها العين التى نبعت لخليل عليه السلام حين رمى بالمنجنيق وبها عدّة قرًى وهى الآن من توابع حلب ، واما مدينة كركر فانّها مدينة لطيفة وبها قلعة حصينة جدًّا قليلة المثل وهى على شطّ الفرات ولها قرًى عديدة وبمعاملتها قلعة خروس وقلعة اخرى لطيفة لم احرز اسمها وهى ايضًا من توابع حلب ، واما مدينة كختا فهى لطيفة ولها قلعة حصينة واقليم به عدّة قرًى وهى ايضًا من توابع حلب ، واما حصن منصور فكان حصينًا منيعًا وهو الآن خراب وله قرًى وهو ايضًا من توابع حلب ، واما مدينة بهسنا فهى مدينة لطيفة وعرة ولها قلعة حصينة جدًّا واقليم متّسع يشتمل على قرًى عديدة وهى ايضًا من توابع حلب ، واما مدينة درندة فهى لطيفة وعرة وبها قلعة حصينة ولها اقليم به قرًى عديدة وهى ايضًا من توابع حلب ، واما مدينة دورِكى فهى لطيفة وعرة ولها

قلعة متّسعة حصينة واقليم به قرًى عديدة وهى ايضًا من توابع حلب، واما مدينة عربْكير فهى لطيفة وعرة ولها قلعة حصينة ولها اقليم وبه عشر قلاع صغار وقرًى عديدة وهى ايضًا من توابع حلب، واما مدينة جمشكراك فهى لطيفة ولها سور وقلعة حصينة وبمعاملتها اربع وعشرون قلعة ولها اقليم به قرًى عديدة وهى ايضًا من توابع حلب، واما مدينة خربيرت فهى لطيفة ولها قلعة حصينة جدًّا ولها اقليم به اربع قلاع وعدّة قرًى غالبها الآن خراب وهذه المدينة وعربكير وجمشكراك وقلاعهم ومعاملتهم كانت من جملة ديار بكر فتحت فى ايّام الاشرفيّة واضيفت الآن الى المملكة الحلبيّة ❊ واما مملكة ملطية فانّها مدينة حسنة كثيرة المياه والفواكه فى ارض مستوية تشتمل على سور محكم وسبع قلاع موشار وكومى وقراحصار وكدربيرت وقلعة الجبه وقلعة نوجام وقلعة الاكراد وتشتمل على سبعة اقاليم تشتمل على قرًى كثيرة واصلها من الروم كانت تخت السلطان علاء الدين فتحت فى ايّام الملك الناصر محمّد بن قلاون وجعلها مملكة بمفردها وكثير من الناس يظنّ انها من جملة المملكة الحلبيّة ❊ ولو اردنا وصف جميع ما يتعلّق بملك مصر من المدن والقلاع والاقاليم والقرى على التفصيل والتحرير لطال المقال وحصل الملال ۞

الباب الثانى

في وصف السلطنة الشريفة وما يتحلّى به السلطان من الصفات وما يعتمده لاقامة لوازمها الموظفات ووصف المواكب الشريفة والملبوس لكل من ينسب الى الملك من الخاصّ والعامّ ۞

اعلم ان السلطنة سرّ من اسرار الربوبيّة فيها ينال المراد، ويدفع الفساد، ويحفظ بها البلاد والعباد، ويقطع بها دابر كل من قصد العناد، لانّ من جيد مزاياها، شرف سجاياها، للرعايا الحراسة، وللرياسة السياسة، وللسلطان ايّده الله حماية بلاده، وحراسة دينه وتثبّت اوتاده، وحفظ ما افترض الله من الاحكام، لانّه ارتضاه من بين الانام، لاقامة الحدود وفعل الواجب واجتناب الحرام، واوجب على الرعايا طاعته فيما امر به والاستسلام، وجعل امورهم معقودة به فى النقض والابرام، فهو ايّده الله فى الارض، به تقام شعار السنّة والفرض، ومن اراد ادراك شرفها وفضلها، وان يكون احقّ بمعرفتها واهلها، فلينظر الى آثارها، وليتحقّق خطر اقدارها، فيرى من ثمراتها، للبلاد الحراسة، وللنفوس السلامة والسياسة، وللاموال الحفظ وللارزاق الإدرار، وللعلم النشر وللدين الاظهار، بردع الظلمة وقمع البغاة والمتمرّدين، والانتقام من جميع المعتدين المفسدين، واقامة مصالح الدين والدنيا، وينتظم قوام امر الآخرة والاولى، فيكتب له ايّده

الله تعالى ، مثل اجور تلك الطاعات ، وفضائل جميع تلك العبادات ، فليلازم شكر الله تعالى الذى خصّه بهذا الاكرام ، واعلى قدمه على رؤس جميع الانام ، واذ قد تحقّق بأنّ السلطنة بهذا المحلّ الاسنى ، والشرف الذى فاق جميع الاحوال حسًّا ومعنى ، فسلطنة مصر والشأم التى ثبت فضلها على سائر الدنيا ، ورقى سلطانها ذروة الدرجة العليا ، وتجلّى بجميل الاوصاف ، كانّ سائر ملوك الارض له تدين ومنه تخاف ، وكان النبى صلّى الله عليه وسلّم مالك زمام الدنيا على التحقيق ، ثم انتقلت الخلافة الى الامام ابى بكر الصدّيق ، ثم توارثها الصحابة والخلفاء رضى الله عنهم اجمعين ، واحد بعد واحد الى ان صارت الآن بالمبايعة من امير المومنين ، باتّفاق اهل الحلّ والعقد والعلماء ، واركان الدولة الشريفة ورضى السادة الامراء ، والجيوش المنصورة . . . . [1] واخراج الاموال من بيت المال والنفقة على الجند وطاعة المدن والقلاع ، وما كان ناقصًا عن ذلك كان نقصًا فيها والسلطان ايّده الله تعالى تجب عليه امور وتجب له امور اما الواجب عليه فطاعة الله تعالى والتقوى ان يأخذ نفسه برعاية احوالها ، ويروّضها فى افعالها ، ويعلم انه متى قدر على سياسة نفسه كان على سياسة العباد اقدر وقد قيل قديمًا لا ينبغى لذى لبّ ان يطمع لطاعة غيره وطاعة نفسه ممتنعة عليه شعر[2]

اتطمع انّ يطيعك قلب سُعدى ... وتعلم ان قلبك قد عصاكا

وقد تزيّن للانسان نفسه حسن الظنّ بها فيبقى وهو لا يعلم انه فى امرها مرتهنا فيكون ممّن زيّن له سوء عمله فرآه حسنًا واجتناب

[1] Il y a ici une lacune que les copistes ne semblent même pas avoir remarquée. — [2] Mètre وافر.

اشياء منها الكبر والتجبّر فهما جالبان سخط الله تعالى ❊ قال عزّ وجلّ كذلك يطبع الله على كل قلب متكبّر جبّار[1] ❊ وقال عليه السلام لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرّة من كبر ومنها العجب وهو من المهلكات ❊ قال الله تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئًا الآية[2] ❊ وقال عليه السلام ثلاث مهلكات شحّ مطاع وهوًى متّبع واعجاب المرء بنفسه ومنها الغرور وهو مضلّ بصاحبه على العطب سائق له الى ورطات هلاك ذات شعب وهو ان يرى الاحوال فى مباديها منتظمة فى سلك السداد ، فيظنّ هذه الحالة واجبة الاطّراد ، فيغترّ بذلك ويهمل التأهّب ويغفل عن الاستعداد ، ومنها الشحّ وهو من الاسباب التى صرّح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ❊ وقال تعالى ومن يوق شحّ نفسه فاولائك هم المفلحون[3] ومنها الكذب ويكفى فى ذمّه انه يجانب الايمان ، ويستلب خصيصة الانسان ، فهذه الاشياء يتعيّن على كل ذى فطنة ولبّ ودراية ان يصون شرف نفسه وعزّ سلطانه وحسن سمعته عن ذلك ويجب عليه ايضًا ايّده الله ان لا يسارع الى اتباع الشهوات ، وان يجانب سرعة الحركات ، وخفّة الاشارات ، فانّ انفاس السلطان محفوظة ، والفاظه منقولة ❊ ولقد قيل تكلّم اربعة من حكماء الملوك باربع كلمات كانّها مقتبسة من جذوة نور مجموع ، او منتخبة من قرارة ينبوع ، فقال ملك الروم افضل علم العلماء الصمت ، وقال ملك الفرس اذا تكلّمت بالكلمة ملكتنى ولم املكها ، وقال ملك الهند انا على ردّ ما لم اقل اقدر منّى على ردّ ما قلت ، وقال ملك الصين ندمت على الكلام ولم اندم على السكوت ، وقال بعض الحكماء اذا دعت الحاجة الى الكلام فليعتبر الانسان قبل ان ينطق به فانّ كلام الانسان ترجمان

[1] *Qorân*, XL, 37. — [2] *Qorân*, IX, 25. — [3] *Qorân*, LIX, 9; LXIV, 16.

عقله وبرهان فضله وقد اختار حكماء الملوك جهارة الصوت فى كلامهم ليكونوا ذا هيبة لسامعهم ويجعل وعيده بالتأديب على قدر الذنوب٭ فقد روى عن ابى بكر الصدّيق رضى الله عنه انه كتب الى عكرمة وهو عامله بعمان يقول ايّاك ان توعد فى معصية باكثر من عقوبتها فانّك ان فعلت اثمت وان لم تفعل كذبت وكلا الامرين ذميم ويجب عليه ايضًا ايدّه الله الاجتهاد فى منع نفسه من الغضب فانّه شرّ قاهر فإن قدر عليه وغلب عليه فلا يمضى فى تلك الحالة فعلاً ولا ينفّذ حكمًا٭ وقيل ان ملك الفرس كتب كتابًا ودفعه الى وزيره وقال له اذا رأيتنى قد غضبت فادفع الىّ هذا الكتاب ولا تؤخّره وكان فيه مكتوب ما لك وللغضب لست بإله معبود انّما انت بشر مخلوق ارحم من فى الارض يرحمك من فى السماء ، وكذلك يجب عليه الاحتراز من اللجاج فانّه اليف الغضب وحليف العطب ولا يستعمل فى الناس كلّهم حالةً واحدةً بل يعتمد من الحالات فى قضيّة ما يليق بحال صاحبها من لين وشدّة واقبال واعراض واحسان واساءة وعفو وعقوبة وانتقام واقدام واحجام واجابة ومنع وزيادة ونقصان وبشر وقطوب وظهور واحتجاب فانّ استعمال كل حالة فى محلّها مع مستحقّها اكمل تدبيرًا واتمّ رأيًا فانّ طباع العالم مختلفة واخلاقهم متفاوتة فمنهم من يصلحه الاقبال عليه والاحسان اليه ومنهم من يصلحه الاعراض عنه والانتقام منه ويتعيّن على الملك ايّده الله استمالة الاعداء من ذوى المقدرة ويجتهد فى اصلاحهم فان لم ينجع فيهم اصلاح واستمالة يعدل بهم الى طريق المدارة اللائقة بهم الى ان يلوح له وجه الفرصة ويمكنه المواخذة بالانتقام فينتهز لذلك بالمبادرة ولا يؤخّره عن وقته فانّ تأخيره مضرّ واهماله مفسد وليعلم الملك ان من اعمّ الاشياء نفعًا واعظمها فى مصالح الملك وقعًا كتمان سرّه واخفاء امره ولا يطلع احدًا على ما قد عزم

على فعله قبل تمامه ولا يتحدّث بما يريده من المهمّات قبل ابرامه فانّ ذلك اقوى اسباب الظفر ❊ وقد ندب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم اليه فقال استعينوا على الحاجات بالكتمان ❊ ونقل عن على كرّمه الله وجهه انه قال سرّك اسيرك فان اظهرته صرتَ اسيره ❊ وقال بعض الحكماء لسانك فرسك ان حفظته حرسك وان اطلقته افترسك ، وقال بعضهم فى ذلك شعر[1]

احفظ لسانك واحترس من لفظه ... فالمرء يحفظ باللسان ويعطب
واذا كسيت[2] ثوب مذلّة ... ولقد كسى ثوب المذلّة اشعب

لكن من الاسرار والامور ما لا يستغنى فيه عن اطلاع نصيح شفيق فيستعين الملك برأيه فى المهمّات وينتفع بفكره فى الحوادث ولا يثق بكل متملّق ومتى حدث امر من الامور الجليلة يكثر الاستشارة فيها من يراه اهلاً لذلك ويسمع رأى كل واحد منهم على انفراده وينظر فى جميع ما يسمعه ويعمل بما هو الاقرب الى نيل المطلوب والاصوب فى وقع المرهوب ولا يهمل الاحتراس والحذر فى عواقب الامورّ ويجتهد أن لا يفتح بابًا يتعب فى سدّه ولا يرى حجرًا يعجز عن ردّه ، وقد قيل فى ذلك شعر[3]

واياك والامر الذى ان توسعت ... موارده[4] ضاقت عليك المصادر
فما حسن ان يعذر المرء نفسه ... وليس له من سائر الناس عاذر

ولا يجعل الملك اوقاته كلّها مصروفة الى نوع واحد فانّ ذلك ان كان جدًّا واجتهادًا فى مصالح الملك والنظر فى تدبيره ضجرت النفس منه وسئمت الفكرة فيه وربّما يؤدّى الى خلل ❊ وروى عن عمر بن عبد

[1] Mètre كامل. — [2] Il manque, avant ou après ce mot, trois syllabes pour remplir la mesure ∪ – ∪ . — [3] Mètre طويل. — [4] A et B مرادة.

العزيز رضى الله عنه انه قال نفسى مطيّتى ان اجهدتها كبتْ بى وان كان لهوًا او قضاء شهوة ادّى الى تضييع الملك وفساد اموره بل عليه ان يقسم اوقاته ، فيجعل منها قسمًا الى التضرّع الى الله تعالى والقيام بشكر نعمته واداء عبادته بخشوع ، وقسمًا الى النظر فى مصالح مملكته ورعيّته ، وقسمًا الى الاختلاء بنفسه لراحته ، وقسمًا لركوبه على جارى عادته ، وقسمًا لجلوسه لكشف قضايا رعيّته ، وقسمًا لدخول الجند عليه لإداء وظيفة خدمته ، وقسمًا لاحضار من يحضر من الرسل لاداء رسالته ، وقسمًا لاستئناسه بمن يحضر لمحادثته من اخصّائه ، وقسم لسكونه ومنامه وقيلولته ، وكذلك يتعيّن على الملك ان يستعين فى الاعمال بكفاءة العُمّال ويعتمد فى المهمّات الثقال باجلال الرجال فقد قيل من استعان فى عمله بغير كفوٍّ ضاع ومن فوّض امره الى من هو عاجز عنه فقد افسد واضاع وليحذر كل الحذر من توليته احد امرًا من امور المملكة الدينيّة او الدنيويّة بشفاعة شفيع او رعاية لحرمة او قضاء حقّ اذا لم يكن اهلاً لذلك فان اراد مكافاة احد من هؤلاء فليكافيه بالمال والصِلاة ويقطع طمعه عمّا لا يصلح له من الولايات ❊

وكان على باب كسرى خشبة من ساج منقوش عليها بالذهب الاعمال للكفاءة والحقوق على بيوت الاعمال ويتعيّن على الملك ايّده الله ايضًا عشرة امور ، الاوّل حفظ بيضة الاسلام من ناحيته لئلا تقوى عليه شوكة كافر ولا يصل اليه فاجر باقامة الامراء والاجناد واعداد الأُهب والاستعداد واقامة الحرسيّة والبطائقيّة وارباب الادراك ، والثانى تفقّد الاعمال والحصون والثغور باعتبار احوال وُلاتها والتبادر فى اصلاح عمارتها ومهمّاتها وذخائرها ، الثالث السياسات لدفع المفسدين وردع المعتدين ، الرابع إقامة حدود الله المانعة من ارتكاب المحارم فقد جعلها الله تعالى حراسة لحفظ النفوس والاموال وامر باقامتها فلا يحلّ اسقاطها بشفاعة

ولا سؤال ، الخامس دوام تمسّكه بحبل الشريعة والتزامها واعتماده فى امره على نقضها وابرامها واعتباره امور القائمين باحكامها ، السادس النظر الى اقامة ما يلزمه من كسوه بيت الله الحرام وعمارة الجسور ليحصل بها النفع للانام والنظر فى اقطاع الامراء والاجناد والارزاق ذوى الحقوق من العباد ، والسابع تيقّظه على جهات الاموال لاجتلاب انواعها ومواطن الغلال التى بها تقوية البلاد باعتبار مزارع ضياعها ، الثامن استخدام الكفاة [1] والامناء واستعمال النصحاء والاقوياء ، التاسع اجتهاده فى كل وقت لكشف المظالم واقامة فريضة العدل لازالة المظالم ، العاشر التطلّع الى متجدّدات الاحوال وحوادث الامور واستعلام ما يتجدّد منها فى الاطراف مخافة طريان مكروه ومحذور ، وكذلك كل مكان قريب وبعيد فتصير حركاته محمودةً وهو سعيد وان يجعل عليها عيونًا بصددها وتقيّةً يعتمدهم لرصدها ويتعيّن على الملك ايّده الله تعالى تعظيم اهل العلم الذين هم هداة الاسلام والاخذ بخواطر الامراء والجند وتفقّد احوال الرعيّة ويكون حكمه موافق الشرع الشريف على ايّ مذهب كان من الاربع وان يكون حليمًا ولا يعجل بعقوبة ولا يعطّل الحدود ويصون عقله من العجب وعطاؤه من السرف وامساكه من البخل وذهنه من البلادة ولفظه من السفاهة ووقاره من الكبر ويجتهد ان لا يلفظ لسانه الا خيرًا وان لا يكون متوانيًا فى امور المملكة ومصالح الرعيّة ولا متغفّلاً عمّا ينقل من اخبار رعاياه وان يفحص عن حقيقة ما ينقل اليه فيعتمد الصدق ويردع الكاذب لئلا يحدث الفساد فإن عدل ساعة من الملك بعبادة سبعين سنة ويعرض الجيوش فى كل حين ويتفقّد احوالهم ليصيروا محتفظين

[1] A et B. La lecture الاكفاء est préférable.

على اسلحتهم وامتعتهم ولا يتركهم مهملين يضيعون غالب ذلك ،
واذا بدأ له امران احدها اظهار ابّهة وصرف مال من غير ضرر لاحد
والآخر اجمال وتحصيل مال فيفعل الاوّل واذا بدا له امران ايضًا احدها
مصلحة نفسه وتغيير خواطر جنده والآخر ضدّ ذلك فيقدم[1]
فعل الثانى الى ان يتوصّل الى فعل الاوّل باستجلاب خواطر الجند
ويُبدى لهم امورًا توطّن نفسهم على الرضى بذلك واذا لم يكن رضى
فيكون عدم تغيّرهم ويكون فى ظاهر الامر موافقًا لعقولهم وفى باطن الامر
موافقًا لمصلحته واذا اراد البطش بمن يتعيّن عليه البطش يتوصّل الى
ذلك باسباب يقيم بها الحجة عليه ويظهر للناس ان الذى فعله الملك به
معذور وان لا يشغل فكرته باسباب المتجر فيحصل من ذلك مفاسد
كثيرة منها اشتغال ذاته عن مصالح المملكة ومنها تعطيل احوال
التجار وقطع رزق غالب المسترزقين من ارباب كل الة فانّهم لا بدّ
يستعملون فى المهمّات الشريفة بالاجرة الناقصة وان يكون سمحًا رطب
القلم ولا يكون سريع الانفعال ولا يكون كثير التخيّل وان يكون حذورًا
ولا يثق بقول من ظهرت منه خيانة لملك غيره الا أن تكون تلك
الخيانة صادرة منه لعدم انصافه وهو اهل للانصاف او رجع عن ذلك
وتاب وحسنت سيرته ودام على ذلك ولا يقرّب من أتاه هاربًا من عند
ملك نظيره ولا يغشى له سرّه بل يكرمه ويبعده عنه فان كان هاربًا
ممن بينه وبين الملك عداوة فلا يشك إمّا ان يكون قليل الخير ما
حفظ خير مخدومه او لمكر مّا ليطّلع على احوال الملك فيراسل من هو
هارب منه وربّما ينفّر خواطر الجند بكلامه وان كان هاربًا من صاحب
الملك فيكون عدم تقربّه له امساكًا لخاطر صاحبه فان كان قد وجب

[1] A et B فيتقدّ.

على الهارب القتل من المهروب منه واستجار بالملك المهروب اليه فقد
تقدّم الكلام عن ذلك في قول امير المؤمنين ايّاك وتعطيل حدود الله
وان كان قد اذنب ذنبًا واستغفر منه فينبغي التشفّع فيه واعادته الى
مخدومه واذا امّن احدًا فلا يُبدى له سوءً واذا قدر عفى ويقبل توبة
من تاب او يُجزيه في الاقوال والافعال فان صحّ له ذلك اعادة الى ما كان
عليه قبل وقوعه في الذنب وفي الحقيقة لا يصير الى ما كان عليه اوّلاً
وقد يمكن انه يتوصّل الى اسباب تزيده رفعةً ممّا كان عليه ولا يحكّم
في طائفة اقلّهم الا ان يكون اقلّ من طائفة غيرها ويظهر منه اشياء
تقتضى السيادة ، وقد قيل موت العلماء والعقلاء وان كان عظيمًا فهو
اهون من تقدّم السفل على رقاب الاحرار وان لا يهزل ولا يمازح ولا يقول
ما لا يفعل الا ان يكون امرًا يريد به التوصّل الى اغراض ولا يشكر
نفسه الا اذا ذكرت بعض اوصافه عند من له ذوق وعقل ويتحقّق
محبّته له واطّلع على بعضها ولا يكفر النعمة ولا يشكر زمانًا مضى
ويستحسنه على ما هو فيه الا ان يكون صالحًا لدينه ولا يظهر لاصحابه
قلّة قدرته على اعدائه ولا يأمر بما لا يستطاع لما قيل في المعنى اذا
اردت ان تطاع فأْمُر بما يستطاع ولا ينقل ما لا يتحقّقه فيروى عنه
فيبحث السامع عن ذلك فيجده غير صدق فيصير منسوبًا اليه لا
الى ذلك ويحفظ المودّة واذا بدا له من صديقه زلّة لا يقاصصه في الحال
بها بل ينظر ما يصدر منه بعد ذلك فإن وجده قد رجع فلا يظهره
انه اطّلع على ذلك وان علم المبدى انه اطّلع عليه فلا يظهره الملك على
انه تأثّر ويبدى له اشياء يوطّن بها نفسه وان لم يجهل تلك الامور
قلّت اصحابه وبقى فريدًا ، ومن الامثلة الجارية على ألسنة الناس نحس
تعرفه خير من جيد لا تعرفه والظاهر ان الذى اراد بذلك ان
النحس الذى تعرفه تحترز مما يصدر منه والجيد الذى لا تعرفه ربّما

تركن اليه فيصدر منه ما لا حسبته وان وجده مصرًّا على ذلك ولم يرجع عما هو عليه فيتركه ويحفظ له المودّة فى الباطن ويعزّره بحسب ما يليق به فيكون تعزيره فيه ردع لغيره واشتفاء منه لكن يكون اخفّ من تعزير غيره لانه سبقت له مودّة وبعده الا انه يحتاج الى قوت يقرّره له بحسب ما سبقت له من الخدمة واذا ذكره احد فى مجلسه بسوء لا يمكّنه من ذلك ولا يلتفت الى قوله فانّه قد حصل له التعزير واذا ذكره احد بخير فيفحص عن حقيقة ذلك فى الباطن وهذا على سبيل الاختصار من مكارم الاخلاق واذا تزوّج او تسرّى فالاولى ان تكون بكرًا ويمنع العجائز من الدخول الى آدره ولو كنّ صالحات وان لا يسلك مسلكًا يتّهم فيه ولا ينكر عليه غيره ولو كان فى الباطن على الحقيقة فانّ للناس ما ظهر ولا يتقرّب الى شىء مما لا يوافقه فى دينه ودنياه ويقول فى نفسه هذا لغرض مّا وما انا بواقع فيه فانّه ليس بمحمود له فانّ من حام حول الحمى يوشك ان يوقع فيه وان لا يضرب مثلاً يقصد به اصلاح شخص لا يفهم ذلك المثل فياخذه بالعكس فيحصل منه مفسدة واذا علم ان شخصًا مذنب وهو خائف من ذنبه فلا يذكر حكايةً فيها عقوبة وهو قاصد معنًى مّا فيظنّ الخائف انّه المراد بذلك فيحصل منه مفسدةً ايضًا واذا اراد التوصّل من احد الى شىء من اغراضه وكان مستحيًا ان يواجهه به فيسرّه اليه مع احد من جهته وان اراد اخفى ذلك بحيث لا يفهم احد ضميره فيضرب له مثلاً بمعقول من ذاته يدلّ على وصول الغرض الى ذهن المخاطب مثاله انه اذا كان يأكل من صحن وبجانبه اخر يأكل من ذلك الصحن ومدّ يده الى قدّامه فيضرب له مثلاً عند المائدة مرّةً اخرى فيقل كان زيد يأكل مع عمرو وكان يسأل عن كيفية الادب فى الأكل فكان يوصيه اشياء من جملتها يقول كل مما يليك ويستدلّ له على ذلك بالحديث الشريف

النبويّ فيفهم العاقل معنى ذلك وانه اذا اراد عزل من هو مولّيه شيئًا من اموره ولم يظهر عيبه للناس فيشرع فى مذمّة بعض افعاله حتى يليق بعقول الناس عزله وان يستعمل الرفق والسياسة فى جميع اموره وان لا يكون حليمًا قطعًا فيهدر وان لا يكون بالضدّ فيفرّ منه ويقهر بل يكون امره وسطًا كما قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خير الامور اوسطها وقد انشد بين يديه صلّى الله عليه وسلّم شعر[1]

ولا خير فى حلم اذا لم يكن له ... بوادر تحمى صفوه ان تكدّرا
ولا خير فى جهل اذا لم يكن له ... اريب اذا ما اورد الراى اصدرا

وان يكون مجتهدًا فى امور يكتسبها تقرّبه الى الله تعالى ويصير فى ذاته ذا ابّهه وعند الناس مميّزًا فانّه ليس خاف عن ذوى الالباب ما مدح الله به المتّقين خصوصًا اصحاب الاعمال الصالحات لا سيّما ان كان ملكًا ونفعه عامّ فيحبّه الله باكرام له فانّه من لا يحبّ لا يكرم ولا شكّ انه يكون محبوبًا لله لقوله ان اكرمكم عند الله اتقاكم[2] ٭ وروى فى الحديث ان الله تعالى اذا احبّ العبد امر جبريل عليه السلام ان ينادى فى السماء الدنيا ان الله احبّ فلانًا فاحبّوه واذا كان متّقيًا كان محبوبًا واذا كان محبوبًا نودى له بذلك ٭ وقد تقدّم الدليل على ذلك فيحيى فى هذه الدنيا حياةً طيّبةً ويتمتّع ويحصل له مقصوده فى جميع الاحوال فيكون محبوبًا لله وللمخلوقين وظافرًا بامور الدنيا متمتّعًا بها وفائزًا بالدار الآخرة لقوله تعالى ان المتّقين فى جنّات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر[3] ٭ ومدح الله تعالى المتّقين فى آيات كثيرة فى القرآن العظيم ويتعيّن عليه ايّده الله انه اذا ورد اليه

[1] Mètre طويل. — [2] *Qorân*, XLIX, 13. — [3] *Qorân*, LIV, 54-55.

قاصد من ملك من الملوك ممن هو نظيره او دونه ممن لا ولاية له عليه
وما تمّ احد اعلى منه فلا يخلو إمّا ان يكون المرسل عدوًّا او صاحبًا
او مداهنًا فإن كان عدوًّا فينبغي اوّلاً اظهار الابّهة والشهامة وما يرهبه
وقيام الناموس عليه وان ينزله بمكان ويجعل من يحترص عليه لعدم
اجتماعه بغيره بحيث ان تكون جواسيس الملك لا ينقطع عن من
ارسله ويطالعون الملك بحقيقة الامور فان كانت الكتب الواردة على يد
القاصد يتضمّن خشونة الكلام فينظر الى المرسل ان كان جاهلاً فلا
يلتفت الى كلامه وتكون قرأة الكتاب بخفية وتكون كتابة الجواب بالالغاء
عن الفضل المشوّش وان كان ذا عقل يدّعي قوّة فيتعيّن جوابه فانّه لا
يتصوّر ان يحدث ممن هو ذو عقل ضعيف القوّة خشونة الكلام فيكون
ذلك حمق منه مع علمه به وهذا من غاية المعرفة لا من الجهل فان
الجاهل يعتقد ان الحمق منه حسن والعاقل يراه على حقيقته لكن
يكون صدوره منه على سبيل النقص بالمرسل اليه وغاية العظمة لنفسه
فيكون ترك جوابه ابلغ واعظم مما فعله وما يعتقده لنفسه وفي غاية
الاهبة كقول اهل الفضل جواب الاحمق ترك جوابه وان كان تتضمّن
سؤال شيء لا يمكن فيتعيّن الاعتذار عنه بما يقبله عقل السائل مع
اظهاره ان القصد اجابة سؤاله وان كان مما يمكن اجابته فينبغي ذلك
ولا يلتفت الى عداوته فيكون من باب السياسة ويكون كما قال بعضهم
من اصطلح مع الاضداد بلغ المراد ويكرم القصّاد وينعم عليهم ويرسل
اليه نظير ما ارسل وزيادة واما ما كان مُحالاً فيتعيّن مطالعة المرسل بأن
ذلك محالاً ليتحقّقه ولا يصير له عليه عتب ويخاطبه بما يقتضيه عقله
وان كان صاحبًا فيتعيّن اكرامه واجابة سؤاله وان كان في ذلك
مشقّة الا ان يكون امرًا يؤدّي الى خلل فيتعيّن اعلامه بذلك بعد
الاعتذارات وان كان الصاحب جاهلاً فيتعيّن مداراته بكل ما تصل

القدرة اليه فانّه من عدم المداراة عدم التوفيق وليس مصاحبته محمودةً لكن لاجل الضرورة وقد قيل فى المعنى معاداة العاقل ولا مصاحبة الجاهل والشرح فى ذلك يطول ٭ واتفقت نكتة فى المعنى احببت ذكرها وهى حكى انه كان رجل حطّاب وكان يسرح لجمع الحطب فوجد هناك دبّة فخاف منها حين اقبلت عليه فصارت تتملّق له وكان معه رغيف اطعمها ايّاه فصارت تعاونه على جمع الحطب وحمله وصارت مستمرّة على ذلك مدّة طويلة فجاء يومًا ومعه بعض اصحابه ورقد تحت شجرة وصاحبه ينظر اليه ويخاف يقربه من الدبّة وهى راقدة بجنبه تحرسه فطارت ذبابة ونزلت على وجهه فجعلت تنشّها فتطير ثم تعود فحصل للدبّة بذلك غبن وقصدت الشفقة على صديقها فحملت حجرًا ثقيلاً وارادت قتل الذبابة لتحصل الراحة لصاحبها فجاءت من اعلى الشقيف وسقّطت الحجر على الذبابة وهى على وجهه فكسرت رأسه فمات من ساعته فهرب رفيقه واعلم اهله ٭ فهذه عاقبة الجاهل وان كان المرسل مداهنًا فينبغى للملك ان لا يلتفت الى كلامه على اىّ صفة كانت بل يعامله بمعاملته للناس وما يضرّ الضحك على لحيته والحذر منه ، ويتعيّن عليه ايّده الله عدم المبادرة الى الامور الا ان يكون امر يحصل بتأخيره مفسدة ، ويتعيّن عليه ايّده الله انه يلبس الفخر القماش ويركب احسن المراكب بحيث ان يكون اعلى من جيشه فانّه من كال الابّهة وكثير من الملوك يفعل بضدّ ذلك ويقول فى نفسه انا معروف وليس ذلك بمحمود ، ويتعيّن عليه انه اذا ارسل جيشًا الى جهة من الجهات واقام على الجيش مقدّمًا يكتب له تذكرة بالمقصود وكذلك كل من يرسل الى مهمّ من المهمّات فيصير الاعتماد على التذكرة ، ويتعيّن عليه ايّده الله كشف امور نوّابه وارباب وظائفه ويتحقّق ما هم عليه فمن تحقّق منه سلوك الطرق الحميدة ابقاه وان

IMPRIMERIE NATIONALE.

راد على ذلك بمبالغة الخدمة والتقرّب الى خاطر الملك والنصح فيرقّيه الى ما هو اعظم مما هو فيه ومن تحقّق منه ضدّ ذلك فيكون الامور بضدّ ما ذُكر، ويتعيّن عليه ايّده الله انه اذا حضر جماعة لشكوى احد من المشار اليه فلا يسمع شكواهم لئلا تتجاسر الرعيّة على الحكّام وينتهكون حرمتهم فيفسد النظام وان يكون جوابه للشكاة لا بدّ من الكشف عن هذه القضيّة وتحقيقها ويأمرهم بسلوك طاعته وعدم الخروج عن اوامره ويرسل فى الباطن يعرّف المشكو عليه بسلوك الطرق الحميدة وارضاء الخصومة ومسايسة الاحوال فان امتثل ذلك فلا كلام وان تكرّرت الشكوى من الاخصام بعينهم فيحرّر القضيّة ويعزّر بحسب ما يراه فان لم ينصلح بذلك والا عزله، ويتعيّن عليه ايّده الله انه اذا عزل احدًا عن وظيفته يفكّر فى امره ان كان ممن سبقت له خدمة فيولّيه مكانًا غيره والا [1] فيرتّب له ما يكفيه وان كان له ذنوب سالفة فالملك باختياره ان شاء عفى وان شاء انتقم منه، ويتعيّن عليه ايّده الله انه اذا كان له قصد فى ابقاء صاحب وظيفة على وظيفته ورأى الناس مجتمعون على عزله ونفوسهم نافرة منه فلا بدّ من نقلته لغيرها ثم يولّى من هو دونه فلا بدّ نفوسهم تسأمه ثم بعد ذلك يعزله ويولّى الاوّل، ويتعيّن عليه ايّده الله ان يكون جيشه فرقًا ولا يكون فرقة واحدة، ويتعيّن عليه ايّده الله تعيين جيش فى كل سنة فى فصل الربيع يتوجّهون الى آخر مملكه ويعودون ليحصل بذلك الرهبة فان كان ثمّ مفسدون قمعوهم وان لم يكن فيخشى احد من المفسدين ان يُظهر نفسه وكذلك تجهيز اغربة مشحونة بالرجل والسلاح فى البحر المحيط يتفقّدون السواحل لمن وجده من قطّاع الطريق قمعوه وان لم

[1] B وان تسبق.

يجدوا احدًا فيكون ارهاب للكفّار من تقرّبهم الى المبين ٭ والمتعيّن على الملك ايّده الله فكثير ليس له غاية فتدرك ، ولا نهاية فيتطرّق الافهام اليها فتسلك ، فان الله سبحانه قد افترض عليه امورًا لا بدّ من القيام بوظائفها فيحلّى نفسه الشريفة مهما استطاع بصفات عوارفها ، من عقيدة صالحة سويّة ، وطريقة هادية مهديّة ، وسريرة جيدة مرضيّة ، واخلاق ظاهرة رضيّة ، واعمال صالحة زكيّة ، وهمّة موفّقة عليّة ، فاذا اتّصف بهذه الصفات كان الله له عونًا وعضدًا ، واقام له من ملائكته المقرّبين مددًا ، وسلك به الى بلوغ كل سعادة وزيادة لا تنقطع ابدًا ، وفضل الملك الذى هو بهذه المثابة لا يخفى عن ذوى الباب وبصائر ، وشأن كل احد رعيّته حسن التوسّل الى الله تعالى بتأييده ودوام ملكه بقلب راض ولسان شاكر ، وقد جُمعت غالب هذه الاوصاف فى المقام الشريف الاعظم ، مالك رقاب الامم ، سيّد ملوك العرب والعجم ، صاحب السكّة والخطبة والسيف والقلم ، حاكم الارض ، فى الطول والعرض ، القائم بما اوجب الله عليه من السنّة والفرض ، سلطان الاسلام والمسلمين ، قامع الطغاة والمتمرّدين ، خاذل الكفرة والمشركين ، منصف المظلومين من الظالمين ، كهف الارامل والمنقطعين ، ملجاء الفقراء والمساكين ، ولىّ امير المؤمنين ، صاحب الديار المصريّة ، والجزائر القبرصيّة ، والثغور الاسكندريّة ، والارض الحجازيّة ، والحصون الروميّة ، والمملكة اليونانيّة ، والمملكة الشاميّة ، والروم والارمن ، والجزائر والعدن ، وتعزّ واليمن ، حاكم البرّين والبحرين ، خادم الحرمين الشريفين ، حافظ الثغور الاسلاميّة وما احاط ، وثغرى الاسكندريّة ودمياط ، المجاهد المرابط المغازى فى سبيل الله مولانا السلطان المالك الملك الظاهر ، ابو سعيد جقمق المدعوّ له على المنابر ، اعزّ الله انصاره وادام ايّامه وابقى آثاره ،

وختم بالصالحات اعماله وامدّ في مدّته ونصره وجميع جيوشه ،

فقلت فيه شعر [1]

يا من تصرّف في الممالك عادلاً   بتلطّف منه وحسن تصرّفِ
سبحان من ولّاك ملك بلاده   بالنصر والتوفيق وسرّ الخفى
اطفأت نيران الحروب عن الورى   كانوا يظنّون انّها لا تنطفى
وعلى ملوك الارض انت مفضّل   والحقّ عندك ظاهر لا يختفى
يا ظاهرًا بأبي سعيد قد سما   لا تختشى كيد الاعادى واكتفى
فكفى الاعادى والحواسد موتهم   في ذلّة وتحسّر وتلهّف
فاحكُم وسُد في الارض مهما تشتهى   إمّا بعفو منك او بالمرهَف
يا من عليه جلالة ومهابة   ووقاية مشهورة لا تختفى
وله بتدبير الممالك خبرة   بفراسة وسياسة وتلطّف
يا مالكى تدرى بفرط محبّتى   وسواك مولانا بها لم يعرفِ
وانا خليل بالدعاء مواظب   لك بالبقا وبه لَعمرك اكتفى
والله والله العظيم حقيقة   متيقّن والله انّك منصِفى
يا سائلى عن ظاهر في عدله   خذْ بعض ما فيه بنظم واقتفى
وحياته وحياته وحياته   قسمًا بغير حياته لم احلفِ
ان البلاد بعدله في نعمة   ولأحلفنّ كذا بحقّ المصحف
ما في الملوك نظيره في حكمه   والناس في امن بغير تخوُّفِ
والشرع منصور على ايّامه   جهرًا بتدبير وحسن تصرّفِ
ويؤيّد المظلوم في حكمه   من ظالم بالحقّ حتى يشتفى
وعلى القرآة لا يزال مواظبًا   ومن البخارى يستفيد ويقتفى
ادنى لاهل العلم قرب منازل   بديانة منه ولين تعطّف
عطفت له كل القلوب محبّة   بالعدل والاحسان والعهد الوفى
متوكّل بهداية من ربه   بالله من كيد الحوادث يكتفى
متنزّهٌ عن بدعة وحوادث   والى الظلالة في الهوى لم يحرفِ
متكامل الاوصاف طود مهابة   وشجاعة وصيانة وتعفّفِ
الله ينصره على طول المدا   ويمدّه بعناية في الموقف

(1) Mètre كامل.

فصل فى اقامة ادلّة بعض ما شرط وما ورد فيه من الكتاب العزيز بالفاظه السنيّة [1] النبويّة ثم صرّحت به العلماء فى وقائعهم العليّة ثم ما رسمته الحكماء فى حكمهم المرضيّة

وقيل فى ذلك من النكت المرويّة ، على وجه الاختصار بالالفاظ الجليّة ، لما اوجبه من طاعة الله تعالى فتضمّنه العقل والعدل لانّ من لم يطع الله ليس بعاقل ومن ظلم ليس بمطيع ٭ قال الله تعالى ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون [2] ٭ وروى عن النبى صلّى الله عليه وسلّم انه قال اوّل ما خلق الله العقل فقال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر فقال عزّ من قائل عزّتى وجلالى ما خلقت خلقًا اعزّ علىّ منك بك آخذ وبك اعطى وبك احاسب وبك اعاقب ٭ ويُستدلّ على عقل الرجل بامور منها ميله الى محاسن الاخلاق واعراضه عن رذائل الاعمال فى اسداء صنائع المعروف وتجنّبه مما يكسب عارًا ويورث سوء سمعة خسارًا ٭ قيل لبعض الحكماء بمَ يعرف عقل الرجل قال بقلّة سقطه فى كلامه وكثرة اصابته فيه فقيل له فان كان غائبًا فقال بأحد ثلاثة اسباب ، اما برسوله ، واما بكتابه ، واما بهديّته ، فان رسوله قائم مقام نفسه ، وكتابه يصف نطق لسانه ، وهديّته عنوان همّته ٭ وقيل من اكبر الاشياء شهادة على عقل الرجل مداراته الناس ولا يستدلّ على عقل الرجل بحسن ملبسه وملاحة سمته وتسرج لحيته وكثرة صلافته ونظافة بزّه اذا لم تكن فيه فضيلة اذ كم من كنيف مبيّض ٭ قال الاصمعىّ رأيت بالبصرة شيخًا وهو منظر حسن وعليه ثياب فاخرة وحوله حاشية وهرج وعنده دخل وخرج فأردت ان اختبر عقله فسلّمت

[1] Après ces mots, B ajoute وما نطقت به السنّة. — [2] *Qorân*, XIII, 4; XVI, 12, 69; XXX, 23.

عليه وقلت له ما كنية سيّدنا فقال ابو عبد الرحمن الرحيم مالك يوم الدين قال الاصمعيّ فضحكت وعلمت قلّة عقله وكثرة جهله ❊ وقيل ان كسرى كان من عقلاء الناس وكان يقدّم يونان الوزير على جميع وزرائه واصحابه ويعظّم امره ولا يعتمد مع بقيّة الوزراء مثل ما يعتمد معه فقالوا ما السبب فى ان الملك يرجّح علينا يونان ويقدّمه فقال لهم ما معناه ان من خصّه الله بكمال عقله وزيادة معرفته يقدم على نظرائه وابناء جنسه وهذا يونان لمّا فوّضت اليه امر الملك [1] تشاغلنا ايّامًا بالصيد فكتب الينا يقول يعلم الملك ان خمسة اشياء ضائعة ، المطر فى الارض السبخة ، والسراج المشتعل فى ضوء الشمس ، والمرأة الحسنة عند الرجل الاعمى ، والطعام الطيّب عند المريض ، والرجل العاقل عند من لا يعرف قدره ، فعلمت انه قصد بهذه الحكمة ان يوقظنى لتدبير المملكة فلمّا جئت من الصيد احضرته وقلت له صف لى ملوك الدنيا فى سيرتهم مع رعيّتهم لاختار ما اعمل به منها فقال لى الملوك ثلاثة ، واحد ينتصف لرعيّته من نفسه ويتجاوز عنهم فلا ينتصف منهم لنفسه وذلك اعلاهم درجةً واكملهم سيرةً واقومهم عقلاً وادومهم ملكًا واطوعهم رعيّةً واعمرهم بلادًا وامكنهم لقلوب رعاياه ، وواحد منهم ينتصف منهم له وينتصف لهم من نفسه فهو اوسطهم درجةً فانّه عمل بالعدل ولم يصل الى درجة الفضل ، وواحد ينتصف منهم لنفسه ولا ينتصف لهم فهو انزلهم درجةً واقبحهم سيرةً واخربهم بلادًا لا تقرّ قلوب رعاياه عن الاضطراب والسنتهم من التضرّع الى قيّم العالم لازالة ملكه وتعجيل هلكته ، فهذه سيرة الملوك فى رعاياهم فانظر ايّها الملك الى هذه الثلاثة واختر لنفسك ما اردت منها وانا اعلم ان

[1] B لما افضت اليه نوبة الملك.

الملك لا يختار لنفسه الا سيرة الاوّل لان نفس الملك شريفة وهمّته عالية فهو يرغب فى ارتقاء اعلى الدرجات ويميل الى اقتناء جيد الذكر وجميل السيرة ويؤثر عمارة نواحى بلاده واقطار مملكته ويُحِبّ ما ينمو به موادّ امواله وجهات عمّاله ويودّ ان يتملّك احرار القلوب ويجعل[1] بعده سيرةً تُضرب بحسنها الامثال ، فلمّا سمعت كلامه علمت انه رُزق عقلاً وفضلاً فعملت بقوله واهتديت بحكمه ولم اجد عند غيره ما وجدته عنده فلذلك خصّصته بالتقديم وانزلته بالمنزلة التى يستحقها ، ومن كلام بعض الحكماء من قام من الملوك بالعدل والحقّ ملك قلوب رعاياه ومن قام بالجور والقهر لم يملك منهم الا التصنّع وكانت قلوبهم تطلب من يملكها ، وقال لينظر الملك فى المتنقّح له فان دخل من حيث العدل والصلاح فليقبل نصحه وليستشره وان دخل من حيث مضارّ الناس فليحذره وليحترز منه ❊ وقيل زمان الجائر من الملك اقصر من زمان العادل لان الجائر يفسد والعادل يصلح والافساد اسرع من الصلاح ❊ ومما قيل فى مدح الصبر والتثبّت قال الله تعالى يا ايّها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنباء فتبيّنوا[2] والصبر محمود العاقبة يثمر النجح ويورث المقصود ويكبت العدوّ ويغيض الحسود ويفضى لصاحبه بالسيادة ويكسوه فضيلة الحزم ويدفع عنه نقيصة الحرمان ❊ وقد قيل من صبر على ما يكره ولم يجزع كبت عدوّه وسرّ صديقه ❊ وقيل من صبر على عدوّه الى ان تلوح له الفرصة عليه امكن نفسه من الانتقام منه وقطع دابره ❊ وقيل من استعجل فى امر يحاوله كان جديرًا ان ناله ان لا يدوم له فانّ الخلل يلازم العجل ❊ وقيل يجب على الملك ان لا يعجل بالانتقام سعى به اليه حتّى يكشف عن اعراض السعادة وما حملهم

[1] B ويخلد. — [2] *Qorân*, XLIX, 6.

على ذلك ربّ عدوّ يضع زورًا ويلقيه الى من يوقعه بمسامع الملك ويسلّطه المكذوب عليه ٭ وقيل الصبر والتثبّت حسن وهو فى الملوك حسن والسرعة والاستعجال فى الانتقام قبيح وهو فى الملوك اقبح لا سيّما إن كان فى امر لا يمكن تداركه ٭ وقيل كم من صبر افضى بصاحبه الى سرور وكم استعجال اشرف بصاحبه الى همّ وندامة وعنوان ذلك ان الصابر يتوقّع خيرًا والمستعجل يتوقّع زللاً ٭ ومما ورد فى الشكر قوله تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم [1] وقال تعالى وسنجزى الشاكرين [2] ٭ وروى عن النبى صلّى الله عليه وسلّم انه لمّا تورّمت قدماه من القيام فى الصلاة قيل له قد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر قال افلا اكون عبدًا شكورًا ولقد انصف بعض من بنى [[3]] حين زال ملكهم وانقضت دولتهم ما كان سبب هذا الحادث الواقع بكم والبلاء النازل عليكم فقال بقلّة شكرنا لله تعالى على ما انعم به علينا واشتغالنا بلذّاتنا عن النظر فى مصالحنا وتفويضنا امرنا الى من لا دين له ولا امانة وظلم نوّابنا لرعايانا لغفلتنا عنهم ففسدت علينا النيّات واختلف علينا الجند لقلّة عطايانا لهم فاستدعاهم اعداؤنا فاجابوهم واعانوهم علينا الاجناد لقلّة الانصار فآل الينا الى ما آل وجدير بمن شكر ان يشمله المزيد وبمن رعى الاحسان ان يبلغ فوق ما يريد فانّ ربّ العزّة جلّت قدرته وتعالت عظمته مع استغنائه عن العالمين لا ينتفع بكثرة شكرهم ولا يضرّه زيادة كفرهم قد بذل المزيد لمن شكر واوعد بالعذاب الشديد لمن كفر فقال سبحانه وتعالى لئن شكرتم لازيدنّكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد [4] ، ومما نقل من الحكم ان

[1] *Qorân*, IV, 146.

[2] *Qorân*, III, 139.

[3] A laisse un blanc après بنى. La version de B est : بعض من بنى حين بعد زوال ملكهم وانقضاء دولتهم.

[4] *Qorân*, XIV, 7.

من قابل النعمة عليه بكفرانها وجازى المحسن بالاساءة فقد استفتح باب سخط العزيز ذى الانتقام ومما ورد فى المشورة ، قال الله تعالى وشاورهم فى الأمر[1] ، وقال صلّى الله عليه وسلّم ما خاب من استخار ولا ندم من استشار ❊ وروى عنه صلّى الله عليه وسلّم انه قال ما شقى عبد بمشورة ولا سعد من استغناء برأيه وفى التوراة من لم يستشر فى امره يندم ❊ وقال ابو هريرة رضى الله عنه ما رأيت احدًا اكثر استشارة لاصحابه من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وسئل ما بال العاقل ذو لبّ مشورته على نفسه يقتصر بها عن اصحابه لصوابه وادراك المطلوب ومشورة غيره له تظفيره بذلك فقال ان مشورة الانسان نفسه ممزوجة بالهوى ومشورة غيره سالمة من ذلك ولا اصابة مع الهوى ❊ وقيل سبعة لا ينبغى لذى لبّ ان يشاورهم جاهل وعدوّ وحسود ومراء وجبان وبخيل وذو هوًى فانّ الجاهل يضلّ والعدوّ يريد الهلاك والحسود يتمنّى زوال النعمة والمراء واقف مع رضاء الناس والجبان من رأيه الهرب والبخيل حريص على جميع المال فلا رأى له فى غيره وذو الهوى اسير هواه فهو لا يقدر على مخالفته ❊ ومن بركة المشورة ما حكى ان الخليفة المنصور كان قد صدر من عمّه عبد الله بن على بن عبد الله بن العبّاس رضى الله عنه امور مؤلّة لا تحملها حراسة الخلافة ولا تجاوز عنها سياسة الملك فحبسه عنده ثم بلغه عن ابن عمّه عيسى بن موسى وكان عاملاً على الكوفة ما افسد عقيدته فيه واوحشه منه وصرف وجه ميله عنه فتألّم المنصور من ذلك وساء ظنّه وقلّ امنه وترادف خوفه وحزنه فأدّت المنصور الى امر دبّره وكتمه عن جامع حاشيته وستره استحضر ابن عمّه عيسى واجراه على عادة اكرامه واخرج من كان

[1] *Qorân*, III, 153.

بحضرته ثم قال له يا ابن عمّى انّى مطلعك على امر ولا اجد غيرك اهله ولا ارى سواك مساعد لى على حمل ثقله فهل انت فى موضع ظنّى بك وعلى ما فيه من بقاء نعمتك التى هى منوطة ببقاء ملكى فقال عيسى انا عبد امير المؤمنين ونفسى طوع امره ونهيه فقال ان عمّى وعمّك عبد الله قد فسدت بطانته واعتمد ما فى بعضه ما يبيح دمه وفى قتله اصلاح ملكنا فخذه اليك واقتله سرًّا ثم سلّمه اليه وعزم المنصور على الحجّ مضمرًا ان ابن عمّه عيسى اذا قتل عمّه عبد الله لزمه القصاص وسلّمه الى اعمامه اخوة عبد الله ليقيّدوه ويقتلوه قصاصًا فيكون قد استراح من الاثنين عبد الله وعيسى قال عيسى فلمّا اخذت عمّى افكرت فى قتله ورأيت من الرأى ان أُشاور فى قضيّته من له رأى يصيب الصواب فاحضرت يونس بن ابى فروة الكاتب وكان لى حسن الظنّ فى رأيه وعقيدة صالحة فى معرفته فأنسته بالحديث وقلت له ان امير المؤمنين امرنى بقتل عمّى واخفى امره فما رأيك فى ذلك وما تشير به فقال لى يونس ايّها الامير احفظ نفسك بحفظ عمّك وعمّ امير المؤمنين فانّى ارى لك ان تدخله فى مكان داخل دارك وتكتم امره عن كل من عندك وتتولّى بنفسك طعامه وشرابه وتجعل دونه مغالق وابوابًا واظهر لامير المؤمنين انّك قد انفذت امره وانتهيت الى العمل بطاعته فكأنّى به اذا تحقّق انّك فعلت ما امرك به وقتلت عمّه امر باحضارك على رؤس الاشهاد فان اعترفت انك قتلته بامره انكر امره لك واخذك بقتله وقتلك به قال عيسى فقبلت مشورة يونس وعملت بها فلمّا قدم المنصور من الحجّ سألنى سرًّا عن عبد الله ما فعلتَ فى امره فقلت اراح الله امير المؤمنين منه فلمّا استقرّ فى نفسه انّنى قتلته دبّر الى اعمامه وحثّهم ان يسألوه فى عبد الله ويستوهبوه منه فاطمعهم فى ذلك فجاءوا اليه والناس سائلون فى ذلك فى الملاء فاجابهم وامر باحضار

عيسى فقال له كنت دفعت اليك قبل خروجى الى الحجّ عبد الله عمّى وعمّك ليكون عندك فى منزلك الى حين رجوعى فقال عيسى فعدت ذلك فقال احضره فقلت أليس امرتنى بقتله قال كذبت ثم قال لاعمامه قد اقرّ بقتل اخيكم مدّعيًا انّى امرته بذلك وقد كذب قالوا يا امير المؤمنين فادفعه الينا لنقتله ونقتصّ منه فقال شأنكم به قال عيسى فاخذونى وارادوا قتلى فقلت لهم لا تعجلوا ردّونى الى امير المؤمنين فعدت اليه فقلت له يا امير المؤمنين انما اردت قتلى بقتله والذى دبّرته علىّ عصمنى الله من فعله هذا عمّك باقٍ حىّ سوىّ وان امرتنى بدفعه اليهم دفعته فاطرق المنصور وعلم ان ربح فكرة صادفت اعصارًا وان انفراده بتدبيره قارن خسارة وامر باحضار عبد الله فلمّا رآه قال مَهْ اتركوه عندى وانصرفوا حتى ارى فيه رأيًا ثم انه اسكنه فى بيت اساسه ملح ثم ارسل الماء حوله ليلاً وذاب الملح وسقط البيت عليه فمات ✧ وقيل فى المعنى شعر[1]

تمسّك باهداب المشورة واستعن ... بحزم نصيح او نصاحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة ... فريش الخوافى قوّة للقوادم

وقيل لرجل من بنى عبس ما اكثر صوابكم فى مباشرة ما تأتونه ومجانبة ما تعرضون عنه فقال نحن الف رجل فينا رجل حازم ذو رأى ومعرفة فنحن نشاوره فى الجليل والحقير من الامر ونعمل برأيه فكأنّما اذا صدرنا عن رأيه ومعرفته فى الف حازم وجدير بالف حازم ان يصيبوا ✧ وقيل فى المعنى ايضًا شعر[2]

اذا ما غدا خطب ورمت وروده ... فشاورْ فكم نجح هدته المشاورةْ
وانفع من شاورت من كان ناصحًا ... شقيقًا فاصبر بعده من تشاوره

(1) Mètre طويل. — (2) Mètre طويل.

وقيل يظهر بالمشورة من الانسان عدله وجوره وخيره وشرّه ٭ وممّا جاء فى الانصاف والعدل قال الله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية [1] ، قال قتادة ان الله تعالى امر عبادة فى هذه الآية بمكارم الاخلاق ومعاليها ونهاهم عن سفاتها ومدانيها ٭ وروى عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال عدل السلطان يومًا يعدل عند الله تعالى عبادة سبعين سنة وقال صلّى الله عليه وسلّم احبّ الناس الى الله واقربهم السلطان العادل وابغضهم الى الله وابعدهم السلطان الجائر ٭ وروى انه قال والذى نفس محمّد بيده ليرفع عمل السلطان العادل الى الله مثل عمل جميع الرعيّة وقال صلّى الله عليه وسلّم حدّ يقام فى الارض خير من ان تمطر اربعين صباحًا ٭ وروى انه صلّى الله عليه وسلّم قال ما من عبد ولّاه الله امر رعيّته فغشيَهم ولم يُشفِق عليهم الا حرّم الله عليه الجنّة ، وقال صلّى الله عليه وسلّم رجلان من امّتى يحرمان شفاعتى ملك ظالم ومبتدع غال يتعدّى الحدود ٭ وقيل الملك يدوم مع العدل وان كان صاحبه كافرًا ولا يدوم مع الظلم وان كان صاحبه مؤمنًا ، وقيل من سعادة الملك محبّته للعدل ومن علامة محبّته للعدل مخالطته لاهل العلم ذوى الدين ورغبته فى محادثتهم ليذكر ما يجب عليه من العدل الذى به سعادته فى الآخرة ودوام ملكه فى الدنيا وحسن سمعته فى العالم وميل القلوب اليه وجريان الالسن بالدعاء له ٭ حكى ان قيصر ملك الروم سيّر رسولاً الى عمر بن الخطّاب رضى الله عنه ليشاهد احواله ويكشف افعاله ويسمع اقواله فلمّا وصل الرسول المدينة قال لاهلها اين ملككم قالوا ليس لنا ملك وانما لنا امير قد خرج الى ظاهر المدينة فخرج الرسول فى طلبه فرآه نائمًا فى الشمس

[1] *Qorân*, XVI, 92.

على الارض وقد وضع دِرّته كالمخدّة تحت رأسه والعرق ينحدر من جبينه فلمّا رآه الرسول على هذه الحالة وقع الخشوع فى قلبه وقال رجل تكون جميع ملوك الارض لا يقرّ لهم قرار من هيبته وتكون هذه حالته ولكنّك يا عمر عدلت فأمنت فنمت وملكنا يجور فلا جرم لا يزال خائفًا ساهرًا اشهد ان دينكم دين الحقّ ولو لا انّنى رسول لاسلمت ولكنّنى سأعود واسلم ❊ وحكى ان يهوديًّا وقف لعبد الملك بن مروان فقال يا امير المؤمنين ان ابن هرمز قد ظلمنى فانصفنى منه واذقنى حلاوة العدل فلم يقض حاجته ثم عاد ثانيًا فلم يلتفت اليه فقال اليهودىّ يا امير المؤمنين إنّا نجد فى التوراة المنزّلة على موسى ان الامام لا يكون شريكًا فى ظلم احد ولا جورة حتى يرفع اليه فاذا رُفع اليه ولم يغيّر ذلك شاركه فى الظلم والجور فلمّا سمع عبد الملك قوله فزع منه وانفذ فى الحال الى هرمز فعزله واخذ حقّ اليهودىّ منه ودفعه اليه ❊ وروى ان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال ان الله سبحانه وتعالى لا يقدّس امّةً لا يؤخذ الحقّ لضعيفها من قويّها ❊ وروى ان عمر بن الخطّاب رضى الله عنه كان قائدًا فجاء رجل من اهل مصر فقال يا امير المؤمنين هذا مقام العائذ بك فقال عمر لقد عذتُ بمجيب فما شأنك قال سابقتُ على فرسى ابنًا لعمرو بن العاص وهو يومئذ امير على مصر فجعل ينقعنى بسوطه ويقول انا ابن الاكرمين وبلغ ذلك عمرو اباه فخشى ان اتيك فحبسنى فى السجن فانفلتُ منه فهذا حين اتيتُك فكتب عمر الى عمرو بن العاص اذا اتاك كتابى فاشهد الموسم انت وولدك فلان وقال للمصرىّ أقِمْ حتى يأتيك فقدم عمرو وولده فشهدا الحجّ فلمّا قضى عمر الحجّ وهو قائد مع الناس وعمرو بن العاص وابنه الى جانبه قام المصرىّ فرمى اليه عمر رضى الله عنه بالدرّة قال انس ولقد ضربه ونحن نشتهى ان يضربه فلم ينزع حتى احببنا ان ينزع من كثرة ما ضربه وعمر يقول

اضرب ابن الاكرمين قال يا امير المؤمنين قد استوفيتُ واستشفيتُ قال
ضعْها على صلعة عمرو قال يا امير المؤمنين قد ضربت الذى ضربنى قال
اما والله لو فعلتَ ما منعك احد حتى تكون انت الذى تنزع ثم
قال يا عمرو متى تعبّدتم الناس وقد ولدتهم امّهاتهم احرارًا فجعل
عمرو يعتذر ويقول لم اشعر بهذا يا امير المؤمنين ٭ ومما نقل فى الآثار
الاسرائيليّة فى زمان موسى عليه السلام ان رجلاً من ضعفائهم كانت
له عائلة وكان صيّادًا يصيد السمك ويبيعه ويقوّت منه عياله وزوجته
فخرج يومًا للصيد ووقع فى شبكته سمكة كبيرة ففرح بها واخذها
ومضى الى السوق ليبيعها ويصرف ثمنها فى مصالحه فلقيه بعض
العوانيّة فرأى السمكة واراد اخذها منه فمنعه الصيّاد فرفع خشبة
كانت معه فضرب بها رأس الصيّاد ضربةً موجعةً واخذ السمكة منه
غصبًا فدعا الصيّاد عليه وقال إلهى خلقتنى ضعيفًا وجعلته عنيفًا
فخذ لى حقّى منه عاجلاً فقد ظلمنى ولا صبر لى الى الاخرة ثم ان
ذلك الغاصب انطلق بالسمكة الى منزله وسلّمها الى زوجته وامرها ان
تشويها فلمّا شوتها ووضعتها على المائدة ليأكل منها فتحت السمكة
فاها ونكزت اصبعه نكزةً طارت منها قراره فقام وشكى الى الطبيب يده
وما نزل به فلمّا رآها قال دواؤها ان يقطع الاصبع لئلا يسرى الى بقيّة
يدك فقطع اصبعه فانتقل الوجع الشديد الى اليد وازداد التألّم
وارتعدت فرائصه فقال له الطبيب ينبغى ان تقطع اليد من المعصم
لئلا يسرى الى الساعد فقطعها فانتقل الألم الى الساعد فما زال هكذا
كلما قطع عضوًا انتقل الألم الى العضو الذى يليه فخرج هائمًا على
وجهه مستغيثًا الى ربّه ليكشف عنه ما نزل به فرأى شجرة فقصدها
فاخذه النوم فنام تحتها فرأى فى منامه قائلاً يقول له يا مسكين الى كم
تقطع اعضاءك امض الى خصمك الذى ظلمته وهو الصيّاد وارضه

فانتبه من النوم وفكّر فى امره وقال هذا من حيث الصيّاد واخذ السمكة غصبًا وظلمًا وهى التى نكزت يدى وصاحبها خصمى فدخل المدينة وسأل عنه فوجده فوقع بين يديه والتمس منه الاقالة مما جناه ودفع اليه شيئًا من ماله وتاب من فعله فرضى عنه خصمه الصيّاد فسكن فى الحال أَلمه وبات تلك الليلة فى فراشه واقلع عن خطيئته ونام على توبة خالصة ففى اليوم الثانى تداركه الله بلطفه ورحمته فردّ يده كما كانت فنزل الوحى على موسى عليه السلام يا موسى وعزّتى وجلالى لو لا ان الرجل ارضى خصمه لعذّبتُه ما امتدّت به حياته ❊ وحكى ان سليمان بن ابى جعفر قال كنت واقفًا على رأْس المنصور ليلةً وعنده جماعة من بنى هاشم فتذاكروا عبد الله بن مروان قد كانت له قصّة عجيبة مع ملك النوبة فابعث اليه واسأَله عنها فقال المنصور يا مسرور[1] علىّ به فاحضره وهو مقيّد فقال السلام عليك يا امير المؤمنين فقال له المنصور يا عبد الله ردّ السلام امن ولم تسمح لك نفسى بذلك بعد ولكن اقعد فجاءوا بوسادة فوضعت فقعد عليها فقال له المنصور بلغنى انه قد كانت لك قصّة عجيبة مع ملك النوبة فما هى قال لمّا قصدنا عبد الله عمّ امير المؤمنين كنت انا المطلوب فخرجت هاربًا الى بلد النوبة فسرت فيها ثلاثة ايّام وارسلت غلامًا يطلب الاذن من ملك النوبة فجاءنى الغلام وقال سيأْتيك غدا بنفسه فبينما انا من الغد اذ جاءنى وقال لترجمانه قل له انّى ملك وحقّ على كل ملك ان يكون متواضعًا لعظمة الله اذ رفعه الله على الناس ثم جعل ينكت باصبعه فى الارض ثم رفع رأْسه الىّ وقال كيف سُلِبتم نعمتكم وزال عنكم الملك وانتم اقرب الى نبيّكم من الناس جميعًا فقلت جاءنا من

[1] B يا مسبب.

هو اقرب اليه منّا فغلبنا وطردنا وجئت اليك مستجيرًا بالله تعالى وبك
قال فلمَ كنتم تشربون الخمر وقد حُرّم عليك فقلت فعل ذلك عبيد
واعاجم فى ملكنا بغير رأينا فقال استحللتم ما حرّم الله عليكم وفعلتم
ما نهاكم عنه فاخرجْ من ارضى بعد ثلاث فانّى ان وجدتك بعدها
اخذت جميع ما معك وقتلتك ٭ ومما جاء فى الاتّفاق والائتلاف ، وذمّ
الشقاق والخلاف ، قال الله تعالى هو الذى ايّدك بنصره وبالمؤمنين
والّف بين قلوبهم الآية [1] ، وقال تعالى واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا
تفرّقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألّف بين قلوبكم
فاصبحتم بنعمته اخوانًا [2] والحبل المعتصَم به هو القرأن الكريم ، وقيل
ما من قوم وان قلّ عددهم وضعف مددهم وكانوا على الائتلاف وطردوا
عنهم الاختلاف الا اظهرهم الله تعالى مع قلّتهم وظفّرهم بعدوّهم وان
كانوا اكثر منهم عددًا او اشدّ قوّةً ومددًا ، وقيل كم من قوم عزّوا
باتّفاقهم فلم يطمع فيهم فلمّا اختلفوا سلبوا عزّهم ووهى ركنهم وكلّوا فى
حدّهم وذاقوا وبال امرهم ، وقيل الاتّفاق ناصر لا يُخذَل والاختلاف خاذل
لا يُنصَر وان طالب الموافقة ابدًا لا يُعدَل وطالب المخالفة لا يُعذَر ٭
ومما جاء فى مدح الوفاء وذمّ الغدر قال الله تعالى يا ايّها الذين امنوا
اوفوا بالعقود [3] ، وقال تعالى وبعهد الله اوفوا [4] ، وقال تعالى واوفوا
بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها [5] ٭ وقال
رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لمّا سُئل عن صفات المنافق فعدّ منها
اذا وعد اخلف ٭ وحكى ان بعض الخلفاء سلّم لشرطيّه رجلاً عليه
جريمة ليقتله فلمّا خلا به قال له لى اليك حاجة قال وما هى قال
تطلقنى لأُودّع اهلى واوصيهم بوصيّة ينفّذها بعدى وعاهده ان يعود

[1] *Qorân*, VIII, 64. — [2] *Qorân*, III, 98. — [3] *Qorân*, V, 1. — [4] *Qorân*, VI, 153. — [5] *Qorân*, XVI, 93.

اليه فاطلق الشرطيّ سبيله وصدّقه فى عهده فلمّا ذهب اهل الروحة اليه وعزم على نقض عهده مع الشرطيّ فسمع الخليفة بذلك فامر بقتل الشرطيّ فسمع الرجل بذلك فشقّ عليه واتى سريعًا الى بين يدى الخليفة وقال يا امير المؤمنين ها أنا قد حضرت فاطلق الشرطيّ ينفّذ فيّ حكمك وانّى عاهدته ان اعود وقد وفّيت بعهدى معه فاعجب الخليفة قوله فاطلق سبيلهما وانعم عليه ❊ وحكى ان المأمون سمع ان عبد الله بن طاهر يميل الى العلويّين وكان ولّاه مصر والشأم فدعا رجلًا ودسّه اليه ليختبر امره فلمّا دخل الرجل عليه عرّض بذكر العلويّين فقال له ابن طاهر أأغدر من انعم علىّ بهذه النعمة والله لو دعوتنى الى الجنّة عيانًا لما غدرت المأمون وما نكثت بيعته وتركت الوفاء له فعاد الرجل واخبر المأمون فسرّه ذلك وزاد فى الاحسان اليه ❊ وممّا جاء فى مدح اليقظة وانتهاز الفرصة وذمّ التوانى والغفلة قال الله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربّكم [1] وقال تعالى واولائك هم الغافلون لا جرم انّهم فى الآخرة هم الخاسرون [2]، وقال ابو سعيد الخدريّ التوانى رأس خسران الدنيا والآخرة ❊ وروى انه لمّا اجتمعت الاحزاب على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عام الخندق وقصدوا المدينة تظاهروا وهم فى جمع كثير من قريش وقبائل العرب ونازلوا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومن معه من المسلمين واشتدّ الامر كما وصفه الله تعالى اذ جاءوكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الآية [3] فجاء نعيم بن مسعود الى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم واسلم ثم قال ان قومى لم يعلموا باسلامى فمُرْنى بما شئت فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم انت فينا رجل واحد فخذل عنا ان استطعت فان

[1] *Qorân*, III, 127. — [2] *Qorân*, XVI, 110. — [3] *Qorân*, XXXIII, 10.

IMPRIMERIE NATIONALE.

الحرب خدعة فخرج نعيم حتّى اتى بنى قريظة وكان نديمًا لهم فى الجاهليّة فقال يا بنى قريظة قد علمتم ودّى لكم وخاصّة ما بينى وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمُتّهم فقال ان قريشًا وغطفان ليسوا كأنتم البلد بلدكم به اموالكم وابناؤكم ونساؤكم لا تقدرون ان تنجوا منه الى غيره وان قريشًا وغطفان قد جاءوا لحرب محمّد صلّى الله عليه وسلّم وبلدهم ونساؤهم واموالهم واولادهم بغيره وليسوا كأنتم فان هم رأوا فرصةً اصابوها وان رأوا غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلّوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنًا من اشرافهم يكونون بأيديكم ثقةً لكم بان يقاتلوا معكم حتى يناجزوه قالوا لقد اشرتَ بالرأى ثم اتى قريشًا فقال لابى سفيان بن حرب وكان قائد المشركين [1] ما قال لبنى قريظة وان بنى قريظة قد ندموا على قتال محمّد ومظاهرتهم لكم وقصدهم ان يأخذوا منكم رهنًا فيعطوها لمحمّد ويصطلحوا معه فانهزموا ولم يتأخّر منهم احد ٭ وممّا ورد فى العفو قال الله تعالى وان تعفوا هو اقرب للتقوى [2]، وقال تعالى وليعفوا وليصفحوا الا تحبّون ان يغفر الله لكم [3]، وقال تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحبّ المحسنين [4] ٭ وروى عن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم رأيت قصورًا مشرفةً على الجنّة فقلت يا جبريل لمن هذه قال للكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ٭ وروى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال بينا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جالس اذ ضحك

[1] B abrège ainsi ce qui suit : فقال .... ما اتّفق ما ظهر له من فعلهم وان قصدهم الهزم فانتهزوا للفرصة ولم يتأخّروا وحصل الخير.

[2] *Qorân*, II, 238.

[3] *Qorân*, XXIV, 22.

[4] *Qorân*, III, 128.

حتى بدت ثناياه فقيل له ممّ تضحك يا رسول الله قال رجلان من امّتى جثيا بين يدى ربّى قال احدهما يا ربّ خذ لى مظلمتى من اخى فقال الله تعالى اعط اخاك مظلمته فقال يا ربّ ما بقى من حسناتى شىء فقال يا ربّ فليحمل من سيّآتى ففاضت عينًا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ثم قال ان ذلك اليوم يوم يحتاج الناس الى ان تحمل عنهم اوزارهم ثم قال قال الله تعالى للطالب بحقّه ارفعْ بصرك الى الجنّة فرفع رأسه فرأى ما اعجبه من الخير والنعمة فقال لمن هذا يا ربّ فقال لمن اعطانى ثمنه قال من يملك ثمنه يا ربّ قال انت قال بما ذا قال تعفو عن اخيك قال يا ربّ قد عفوت عنه قال خذ بيد اخيك وادخلْ به الجنّة • وروى عن معاوية انه قال انّى لآنف ان يكون فى الارض جهل لا يسعه حلمى وذنب لا يسعه عفوى وذو حاجة لا يسعه جودى • ونقل عن المأمون لمّا بويع عمّه ابرهيم وخلع المأمون ثم عاد الى الخلافة بعد وقائع كثيرة واختفى عمّه ابرهيم ثم انه تنكّر وظهر مع نسوة هاربًا فمُسك واحضر به الى المأمون فلمّا وقف بين يديه قال السلام عليك يا امير المؤمنين فقال له المأمون لا سلّم الله عليك ولا قرّب دارك استغواك الشيطان حتى حدّثتْ نفسك بما تنقطع دونه الاوهام فقال له ابرهيم مهلاً يا امير المؤمنين فان ولىّ الثأر محكّم فى القصاص والعفو اقرب للتقوى ولك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم شرف القرابة وقد جعلك الله فوق كل ذى ذنب كما جعل كل ذى عفو دونك فان اخذتَ فبحقّك وان عفوتَ فبفضلك ثم انشد شعر[1]

ذنبى اليك عظيم	وانت اعظم منه
فخذ بحقّك او لا	فاصفح[2] بفضلك عنه
ان لم اكن فى فعالى	من الكرام فكُنْه

(1) Mètre مجتث — (2) A والا فاصفح , B اولى فاصفح .

فلمّا سمع رقّ له قلبه وردّ جميع امواله عليه فقال فيه مخاطبًا شعر[1]

ردت مالى ولم تبخل علىّ به   وقبل ردّك مالى[2] قد حقنتَ دمى
فان جحدتك ما اوليتَ من كرم   انّى لباللوم اولى منك بالكرم

ونقل انه احضرت الى معاوية امرأة تسمّى الزرقاء كانت تحرّض القوم على قتاله فى الوقعة المشهورة وتتكلّم بالفاظ يطول شرحها من المذمّة فى معاوية من جملتها ان الكوكب لا ينير مع القمر والبغل لا يسبق الفرس والرصاص لا يقطع الحديد ومن ذلك وامثاله فسأل منها معاوية ما حملك على ذلك قالت لقد كان ذلك منّى قال لقد شاركتِ عليًّا فى كل يوم سفكه قالت احسن الله بشارتك فقال لها وقد سرّكِ ذلك قالت نعم وانّى صديقة له فقال معاوية والله لوفاؤكم له بعد موته اعجب الىّ من حبّكم له فى حياته فعفى عنها وامر لها بنفقة وارسلها الى وطنها. وقيل كان لعبد الله بن الزبير ارض بمكّة وله فيها عبيد ولمعاوية الى جانبها ارض وله فيها عبيد فدخلت عبيد معاوية فى ارض ابن الزبير فكتب الى معاوية اما بعد فان عبيدك قد دخلوا فى ارضى فانهَهم عن ذلك والا كان لى ولك شأن والسلام فلمّا قرأه معاوية دفعه لولده وقال ما ترى قال ارى ان تبعث اليه جيشًا يكون اوّله عنده وآخره عندنا يأتونك برأسه قال اوَ خير من ذلك يا بُنيّ ثم امر كاتبه ان يكتب جواب عبد الله وقفتُ على كتاب ابن حوارىّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وساءنى ما ساءه والدنيا بأسرها عندى هيّنة فى جنب رضاه وقد كتبت على نفسى صكًّا بالارض والعبيد واشهدت بذلك فاصف ذلك الى ارضك وعبيدك والسلام فلمّا وقف عبد الله

[1] Mètre بسيط. — [2] Ce mot est omis dans les deux mss.

على كتاب معاوية كتب اليه وقفت على كتاب امير المؤمنين اطال الله
بقاه ولا اعدمه الرأى الذى اصله من قريش هذا المحلّ والسلام فلمّا
وقف معاوية عليه رماه الى ابنه يزيد فلمّا قرأه اسفر وجهه فقال
معاوية يا يزيد من عفا ساد ومن حلم عظم ومن تجاوز استمال
القلوب ٭ وقيل ان الرشيد خرج عليه خارجيّ فلمّا ظفر به واحضره
بين يديه قال له ما تريد ان اصنع بك قال اصنع بى ما تريد ان يصنع
الله بك اذا وقفتَ بين يديه وهو اقدر عليك منك عليّ فأمر الرشيد
باطلاقه فلمّا خرج لامه بعض الحاضرين فى اطلاقه فامر الرشيد بردّه
فلمّا مُثّل بين يديه قال يا امير المؤمنين لا تطع فيّ مشيرًا يمنعك عفوًا
تدّخر به عند الله يدًا واقتد بالله فانّه لو قبل فيك مشيرًا لما
استخلفك لحظةً واحدةً واحسنْ كما احسن الله اليك فامر باطلاقه
واحسن اليه ٭ وقيل من احبّ ان يغفر الله سيّآته ويتجوز عنه فليعفو
عن هفوات المذنبين ويتجاوز عن سيّآتهم ما لم يكن فيه اسقاط
حدّ ٭ وقيل الانتقام من المذنب عدل ، والعفو عنه فضل ، ومحلّ
الفضل اعلى ، والتجمّل به اولى ، فهذا مما ينبغى ان يتحلّى به
السلطان ، وما يعتمده لاصلاح الرعيّة والزمان ، وكما تجب عليه اشياء
فكذلك تجب له منها حسن الطاعة له وامتثال اوامره الشريفة
حسبما الطاقة والاستطاعة وصفاء النيّات ، واخلاص السرائر
والطويّات ، والنصيحة التى قال فيها سيّد المرسلين الدين النصيحة ،
ووردت فيها الاخبار الصحيحة ، واجتماع الكلمة فانّه ينبغى لكل من كان
بخدمة السلطان ، ان يكونوا على قلب رجل واحد فى الطاعة له فى
السرّ والاعلان ، وان لا يتعدّى احد طوره لِما ورد فى ذلك رحم الله
امرءًا ، عرف قدره ، ولم يتعدّ طوره ، هذا ملخّص الواجب على
العموم ، واما الواجب المخصّص فسيأتى ملخّص ذلك فى بابه المعلوم ۞

فصل فى وصف المواكب وهى عديدة

اما موكب السلطان عند الاستقرار فكان قديمًا بالصالحيّة والآن بالقصر الابلق باجتماع اهل الحلّ والعقد بحضرة امير المؤمنين واجتماع الامراء واركان الدولة الشريفة والجند وتقبيل الارض امامه بعد جلوسه على تخت المملكة بعد عقد المبايعة ومصالحة امير المؤمنين له ٭ واما موكب عيد الاضحى يجلس السلطان على التخت المقدّم ذكره وبعد خروجه من الصلاة وجميع من ذكر حاضرون ويقبّلون الارض له هذا بعد تفرقة الاضحى على ما يأتى بيانه فى ديوان الخاصّ الشريف ٭ واما موكب ليلة عيد الفطر فيظهر السلطان بعد صلاة العصر ويجتمع من تقدّم ذكرهم ايضًا على الهيئة المذكورة ايضًا ٭ واما موكب يوم عيد الفطر يجلس السلطان بعد خروجه من الصلاة فى القصر المقدّم ذكره للموكب الكامل ويلبّس الامراء والاعيان التشاريف الشريفة على ما يأتى بيانه فى ديوان الخاصّ ٭ واما موكب يوم الجمعة فلا يكون الا فى الجامع خاصّةً بالامراء والاجناد ٭ واما موكب السّرحات وهو ايّام الصيد فى فصل الربيع سبع مرّات ٭ واما موكب الريدانيّة فهو عند لبس السلطان الصوف وهو فى السنة مرةً واحدةً ٭ واما ركوب الميادين فهو موكب عظيم وقد بطل الآن لخراب الميادين المعظّم وسيأتى هيئة ذلك وكيفيّته ٭ واما موكب سرياقوس فهو من جملة الميادين ٭ واما موكب الايوان فهو موكب عظيم كان فى الزمان المتقدّم يعمل فى الخميس والاثنين والآن ما يكون الا عند لحضور القصّاد من الملوك العظام ٭ واما موكب الاصطبل فيكون فى الجمعة مرّتين فى اوقات معيّنة يوم الخميس ويوم الاثنين بالقصر والسبت والثلاثاء بالاصطبل فى اواخر الشتاء واوائل الربيع وصفة الموكب ان السلطان يجلس بصدر المكان

وتجلس الامراء مقدّمى الالوف خاصّةً يمينًا ويسارًا على مقاعد من حرير وناظر الجيش يقرأ ما يتعلّق بالاقطاعات على المسامع الشريفة فيمضى السلطان من ذلك ما يشاء ثم يدخل كاتب السرّ ويقدّم العلامة فيعلّم السلطان ما امضاه وكذلك المباشير والمراسيم والمربّعات والتواقيع الشريفة هذا بعد دخول الجيش طائفة بعد طائفة الى الخدمة الاصغر يقدّم الاكبر فعند نهاية ذلك ينهض السلطان الى القصر الثالث المقدّم ذكره ويجلس فى الشبّاك وينظر فى المحاكات ويفصل امرها ثم يجلس على مرتبة بصدر المكان وتقف الامراء والجند صفّين ويمدّ السماط وعند نهايته ينصرفون وموكب الاصطبل يكون للحكم خاصّةً ولو اردنا تفصيل ترتيب المواكب وبيانها لطال شرح وحصل الملال. واما مواكب لعب الكُرة فهو فى اوقات معيّنة فى الجمعة مرّتين تجتمع الامراء مقدّمى الالوف والطبلخاناه بالحوش المقدّم ذكره ويكونون فرقتين وباشين[1] احدها السلطان ونصف الامراء والآخر اتابك العساكر المنصورة ونصف الامراء ولعب الكرة مشهورة. واما موكب كسر النيل فينزل السلطان اليه والجيش بخدمته وجميع الاعيان ويكون يومًا عظيمًا يجتمع فيه اهل الديار المصريّة ويكسر السدّ وتجرى المياه بالخلجان وتروى الاقاليم المقدّم ذكرها. واما موكب دوران المحمل فهو يوم مشهور تجتمع فيه اهل الديار المصريّة والصادر والوارد وتلعب فيه الرمّاحة[2] وكسوة الكعبة الشريفة مشهورة على رؤس الحمّالين والقضاة والعلماء والمشائخ والصلحاء وطوائف الفقراء يسيرون قدّام المحمل الشريف والاطلاب مزيّنة وكل ما بالديار المصريّة من التحف والغرائب يشهر فى ذلك اليوم ۞

[1] باش «tête, chef», mot emprunté au turc. — [2] B ajoute والتستركية.

فصل فى وصف الملبوس لكل من ينسب الى الملك من الخاصّ والعامّ

وهم طوائف عديدة لكل طائفة قماش لا يوافق طائفة اخرى ولو لا خشية الاطالة لذكرتُ قماش كل طائفة على عُدّته كما وضعته فى مصنّفى الاوّل ولكن يكفى من اظهار الابّهة اعلام ذلك حتى انه اذا لبس احد من طائفة قماش احد من طائفة غيرها خرج عن الهندام وصار منسوبًا الى تلك الطائفة وقد ضُبطت الطوائف فكانت نيف عن مائة طائفة كل طائفة لها شغل بذاتها وهذا فى غاية العظمة، واتّفقت نكتة احببت ذكرها قيل انه ورد فى ايّام الملك الظاهر برقوق قاصد من تمرلنك فأُنزل بدار الضيافة وبها مكان يشرف على المشرع فصار ينظر من هناك فرأى اقوامًا وخلقًا كثيرًا مختلفى الهيآت والملبوس فسأل من المهمندارية ما هؤلاء فسمّوا له كل طائفة فتعجّب من ذلك وقال نحن فى بلادنا ملبوس السلطان والامير والخدم والفلّاحين هيئة واحدة غيران التغالى فى حسن الثياب للمحتشمين وهذا ملك عجيب الذى ملبوس كل طائفة لا تشبه الاخرى ولاق ذلك بخاطره فاعلموا المهمندارية من له قرب من السلطان فاحكى له ذلك فلاق ايضًا بخاطر السلطان لعظمة ملكه وسداد قانونه وحسن طريقته ونظافة حاشيته وقال لمن اخبره ان يُعلم المهمندارية ان يعرّفوا القاصد ان ذلك الذى راه مختصر، واما فى اوقات يقتضى لبس القماش لكل طائفة يكون انواع غير ذلك فان ثياب الخدمة لا تلبس فى غيرها وكذلك ثياب السفر وكذلك ثياب السرحات والصيد وكذلك ثياب التخفيف وكل نوع من هؤلاء يطول شرح تفصيله ۞

الباب الثالث

فى وصف امير المؤمنين وبيان احواله وكان حقّه ان يتقدّم لكن مرادنا تفخيم الملك حيث صار بالمبايعة منه الى السلطان ووصف قضاة القضاة اهل الحلّ والعقد والعلماء ائمّة الدين والقضاة ۞

فصل فى وصف امير المؤمنين وما يتعلّق به

وهو خليفة الله فى ارضه وابن عمّ رسوله سيّد المرسلين ووارث الخلافة عنه وقد جعله الله تعالى حاكمًا على جميع ارض الاسلام ولا يجوز ان يطلق فى حقّ احد لفظ سلطان من ملوك الشرق والغرب الا اذا كان بالمبايعة منه وقد افتت بعض الائمّة انه من اقام نفسه سلطانًا قهرًا بالسيف من غير مبايعة منه فيكون خارجيًّا ولا يجوّز توليته احد من النوّاب والقضاة وان فعل شىء من ذلك كان جميع حكمهم باطلا وعقد الانكحة باطل وفى ذلك اقوال كثيرة وخلاصة القضيّة ان فى الحقيقة لا يطلق لفظ سلطان الا لصاحب مصر نصره الله فانّه الآن اعلى الملوك واشرفهم لرتبة سيّد الاوّلين والآخرين وتشرّفه من امير المؤمنين بتفويض السلطنة له على الوجه الشرعىّ بعقد الاربعة ائمّة ، ورأيت فى بعض الاوقات كتب عهود بتفويض سلطنات لعدّة ملوك من ديوان الخلافة احدهم للملك الكامل خليل صاحب حصن كيفا والآخر لصاحب اليمن وآخر لصاحب الهند وآخر لصاحب مكّة ولم احرّره

ومن شرائط امير المؤمنين وواجباته ما ذكرناه فى حقّ السلطان ولكن يتعيّن اشتغاله بالعلم ويكون عنده خزائن كتب واذا سافر السلطان الى مهمّ يكون صحبته لاجل مصالح المسلمين وله جهات عديدة تقوم بكلفته ومساكن حسنة ويقال ان ببلاد الغرب بعض ذرّيّة الخلفاء الفاطميّين يبايعون ملوك الغرب ولم احرّر ذلك وهل يجوز امّ لا وللعلماء فى ذلك نظر ۞

فصل فى وصف قضاة القضاة اهل الحلّ والعقد والعلماء ائمّة الدين

وقضاة القضاة اعظم الاركان وقعًا واعمّها نفعًا، وعليهم مدار مصالح الامّة عقلاً وشرعًا، والقصد بهم نصب ميزان المعدلة فى الاحكام، وفصل القضاء بين الانام عند الخصام، وبسط بساط التناصف بين الخاصّ والعامّ فى النقض والابرام، ولن يتمّ هذا المقصد من مباشره [1] الا اذا كان كثير من اخلاق النبوّة من صفاته [2] من متانة دين تنزعه عن موارد الهوى ومصادرة وغزارة يهتدى بنوره فى باطن كل امر وظاهره وعفّة نفس تحميه عن مواقف التُهَم، وشرف همّة تحمله على اكتساب مكارم الشيم، ونزاهة تقى عرضه ان يتّهم فى ما حكم، وان يكون متضلّعًا من معرفة آداب القضاء، متحلّيًا بتجربة قد كشفت له حقائق الاشياء، رحيب الصدر ثابت الرأى، لا يتزعزع حصانه اذا طاشت ثوابت الآراء، متردّيًا بجلباب الوقار، متذرّعًا بشعائر النزاهة عن الاكدار، متجنّبًا لفعل كل ما يحوج الى الاعتذار، سالك السُنَن القويمة عسى ان يكون احد القضاة الثلاثة الذى فى الجنّة والاّ فيكون احد الآخرين الذين فى النار، وله شروط وآداب مذكورة محرّرة فى كتب الفقه ليس هذا

[1] A omet من مباشره. — [2] Tout ce qui suit jusqu'à وعفّة نفس تحميه est omis dans le ms. A.

محلّه • والقضاة والعلماء هم العالمون بالشريعة الواضحة التى جاء بها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وشرّعها، والحجّة القاطعة التى دحض بها شبه المبطلين وقطعها، والطريقة المثلى التى بناؤها على قاعدة الوحى والتنزيل ووضعها، والحقيقة العليا التى اعلاها الله على جميع الشرائع والملل ورفعها، فهى سبيل تفضى بسالكيه الى الصراط المستقيم، ودليل يهدى متّبعيه الى الفوز العظيم، لها حُماة وحملة فحماتها الملوك وحملتها العلماء اما الملوك الذين اقامهم الله تعالى لحراسة الدين وحفظ الملّة وحماية الشريعة فقد تقدّم القول فى تفاصيل بعض صفاتهم وفيما يتعيّن اعتماده من صنوف تصرّفاتهم • واما العلماء فهم القائمون بحملها، المعتنون بنقلها، الحاملون عبّ ثقلها، ففى الحقيقة هم باحكامها معتنون، يعدّونها ذخرًا ليوم لا ينفع مال ولا بنون، وقد رفع الله تعالى بعضهم فوق بعض درجات، واختصّ من يشاء من لطفه بمزايا وصفات، فاقدارهم معتبرة بالصفات دون الذوات، ومراتبهم بالعلم متفاوتة بحسب ما رزقوا من الثمرات، فلا جرم منهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات، اما الظالم لنفسه فهو الذى لا يعمل بعلمه، ولا يقف عند واجب الشرع وحتمه، فهو على الحقيقة تابع هواه، نائع هداه، فينبغى ان لا يفوّض له امر دينىّ ليتولّاه، فانّ من لم ينصح نفسه خليق به ان لا ينصح من سواه، واما الآخران فجدير بهما اداء ما تحمّلاه، وحقيق لهما النهوض باعباء ما تقلّداه، فانّ الاعمال الدينيّة هى ابدًا مبتداء الاهتداء الى طريق الحلال والحرام، والاقتفاء بما يعرض من الوقائع والاحكام، والقضاء بين المتنازعين لفصل الخصام، والاعتناء بامور المستضعفين من الايامى والايتام، وفضائل العلماء كثيرة لا تحصى، ومزاياهم عديدة لا يدرك امرها ولا يُستقصى، وانّما هذه نبذة من بعض صفاتهم لا يبلغ عشر معشارها،

ولا يقدر واصف يصف جزءً من الف جزء من مقدارها ، وليس وضعنا هذا المصنّف لهذا المعنى ، وانّما المراد تبيين بعض احوالهم فى منصبهم الاسنى ، واجلّهم قاضى القضاة الشافعىّ ثم يليه قاضى القضاة الحنفىّ ثم يليه قاضى القضاة المالكىّ ثم يليه قاضى القضاة الحنبلىّ ولكل منهم نوّاب يحكمون بالديار المصريّة قيل ان بها نيف عن مائتى قاضى حكم وبالديار المصريّة علماء ومدرّسون وصوفيّون وصلحاء بحيث يعجز الانسان عن ضبطهم ولكل منهم هيئة بذاته ٭ واما مشايخ الفقراء وطوابقهم واهل الزوايا فشىء يحصر ويحضرون الى السلطان فى اوّل كل شهر يهنّئونه لمباركة الشهر عليه [1] وكذلك فى كل يوم من ثلاثة اشهر الذى يقرأ فيها البخارىّ وعند دوران المحمل وفى العيدين ويحضر قاضى القضاة الشافعيّة فى كل يوم جمعة فانّه خطيب الجامع الاعظم بالقلعة المنصورة ولكل من القضاة جهات مخصوصة به ۞

[1] فى كل شهر مرّةً B ,فى اوّل كل شهر يهنئونه A.

الباب الرابع

فى وصف الصاحب الوزير والدولة الشريفة والسادة المباشرين اركانها وما يتعلّق بكل ديوان وكتّابه مثل الانشاء والجيش والمفرد والخاصّ وبقيّة الدواوين والموقّعين على ما يأتى تفصيلها ۞

فصل فى وصف الصاحب الوزير والدولة الشريفة

وما قدّمناه الا لفضيلته ونذكر بعض ما فضّل به على غيره وقد صرّح الكتاب والسنّة باتّخاذ الوزير والاستظهار به فى التدبير ◇ قال الله تعالى فى قصّة موسى عليه السلام واجعل لى وزيرًا من اهلى الآية [1] ◇ وقال تعالى وجعلنا معه اخاه هارون وزيرًا [2] ◇ قال الواحدىّ فى تفسيره اى ملجأً ومُعينًا وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من ولى شيئًا من امور المسلمين واراد الله به خيرًا جعل له وزيرًا صالحًا ان نسى ذكّره وان ذكّر اعانه واذا اراد به غير ذلك جعل له وزير سوء ان نسى لم يذكره وان ذكر لم يعنه ◇ واختُلِف فى اشتقاق هذا الاسم على ثلاثة اوجه ، احدها انه مأخذ من الوزر وهو الثقل فانّ الوزير يحمل عن الملك اثقاله ، وثانيها انه مشتقّ من الوزر وهو الملجأ ومنه قوله تعالى كلّا لا وزر [3] اى لا ملجأ فالملك يرجع الى رأى الوزير ومعرفته وتدبيره ، وثالثها انه مأخوذ من الازر وهو المظهر ومنه قوله تعالى فى قصّة موسى عليه السلام اشدد به ازرى [4] اى قوّى به ظهرى فالملك

(1) *Qorân*, XX, 30. — (2) *Qorân*, XXV, 37. — (3) *Qorân*, LXXV, 11. — (4) *Qorân*, XX, 32.

يقوى بالوزير كقوّة البدن بالظهر ٭ ومن انتصب لهذه الوظيفة لزمه النهوض بمهمّات الدولة وامور المملكة بأن يحمل اثقالها ، ويزيح اختلالها ، ويصلح احوالها ، ويحفظ رجالها ، وينمّي اموالها ، ويستخدم الكفاة الثقاة ويوليهم اعمالهم ويلزمهم محجّة المعدلة واعتدالها ، ويحذّرهم عاقبة الظلم ووبالها ، وينذرهم نكال الظلمة والخونة وما لها ، ثم يتفقّد بفضائل احوالهم ، ويراعي تصرّفهم في اشغالهم ، ويتطلّع سرًّا وجهرًا الى اقوالهم وافعالهم ، فمن وجده منهم قد نسي ذكره ، او غفل عن شيء بصّره ، او اخطأ عن سهو عذره ، ومن احسن منهم في عمله ثمّره ، وقام فيه بواجب حقّه ووفّره ، وخصّه بزيادة رعايته واعلى مكانته وشكره ، ومن خان عهد امانته وفرّط في ولايته عاقبه وعزله وعزّره ، ويعتني بجهات الاموال وحراسة اسبابها ، وفتح ابوابها وضبط حسابها ، وبثّ الاحسان في مظانّ اكتسابها ، واعتماد العدل والانصاف في استخراجها واجتلابها ، فانّ كثرة الاموال وقلّتها بقدر المعرفة باجتلابها ، من شعابها من جرى مقرّرة ، ومتاجر معشّرة واخرجة محضّرة ، وعشور محرّرة ، وقسم مقدّرة ، وغنائم موفّرة ، وفيء من جهات غير منحصرة ، هذا الى زكواة واجبة ، وأُجور لازمة وديات دماء ذاهبة ، ومحرّر مباحات راتبة ، ومستخرج معان غير ناهبة ، وعداد نعم سائمة لا سائبة ، ووظائف على اكرة عاملة ناصبة ، الى غير ذلك من تربيع مزارع ، وتوزيع قطائع ، وتوسيع مراتع ، وتفريع مواضع ، وترجيع طوالع ٭ فهذه جهات اموال جعلها الشرع بيد السلطنة زمام استخراجها ، ومكّن من استيفائها بسلوك طريقها ومنهاجها ، وفوّض فيها حقوقًا تجب رعايتها عند صرفها واخراجها ، فاذا اقام وزير المملكة في جهات الاموال نوّابًا بيّن لهم تفصيل هذا الاجمال ، وحرّضهم على حسن التوصّل الى استخراج الاموال ، وعرّفهم

الطرق المفضية اليها لئلا يشتبه عليهم الحرام بالحلال، وامرهم باتّباع الحقّ واجتناب الباطل على كل حال، ويتفقّد السلطان اعمال الوزير، وما قد اصدره عن الرأى والتدبير، فما وجده على وفق الصواب قرّره وتركه، وما رآه على خلاف ذلك ردّه واستدركه، وفى فضائل الوزير وترجيحه على غيره وما يتعيّن له وعليه امور كثيرة اختصرتها خوف الاطالة. وروى ان سبب تلقّب الوزير بالصاحب انه كان ابو القاسم اسمعيل بن ابى الحسن عبّاد بن العبّاس بن عبّاد الطالقانىّ كان نادرة الدهر واعجوبة العصر فى فضائله ومكارمه وكان يصحب ابا الفضل بن العميد فقيل له صاحب بن العميد ثم اطلق عليه هذا اللقب لمّا تولّى الوزارة وبقى عليه ثم سمّى به كل من ولى الوزارة بعده وكان هذا الصاحب بن عبّاد وزير مؤيّد الدولة ثم وزير اخيه فخر الدولة، ومما قيل فيه شعر(1)

ابعد ابن عبّاد يهشّ الى السرى ... اخو امل او يستماح جواد
أبى الله الا ان يموتا بموته ... فما لهما حتى المعاد معاد

ومما رُثى به رحمه الله شعر(2)

ما مُتَّ وحدك بل كل امرئ ولدت ... حواء طرًّا بل الدنيا بل الدين
تبكى عليك العطايا والصلاة كما ... بكت عليك الرعايا والسلاطين
قام السُعاة وكان الخوف اقعدهم ... واستيقظوا بعد ما مت الملاعين
لا يعجب الناس ان هم فيهم انتشروا ... مضى سليمان وانحلّ الشياطين

وايضًا فيه شعر(3)

وَرِث الوزارة كابرًا عن كابر ... موصولة الاسناد بالاسناد

(1) Mètre طويل. — (2) Mètre بسيط. — (3) Mètre كامل.

وحكى انه كان لبعض الخلفاء وزير وكان ألثغ لا يحسن ان يتلفّظ بالراء وكان يستعمل الالفاظ التى تغنيه عن ذلك باحسن عبارة بحيث لا يظهر لاحد عيبه ولم يشعر به الخليفة مدّة وزارته حتى اجتمعت الحسّاد وعرّفوا الخليفة بذلك واجتهدوا الى ان امره الخليفة بكتابة كتاب من مضمونه ان الامراء بالبصرة يحفرون نهرًا يمرّ به الفارس برمحه فكتب فقال له الخليفة اقرأه فقرأ الوكلاء بالفيحاء يجدّلون جدولًا يخطو به الكميّت بقناته فاستظرف الخليفة منه ذلك وكان اسمه نجمًا وكان للخليفة ولد اسمه يحيى وكانوا اتّهموا الوزير به لمحبّته له وكان مكتوبًا على فصّ خاتم الوزير احرف فاجتهدت الحسّاد ان الخليفة يقرأ ما فى خاتمه فوجد مكتوبًا فيه نجم عشق يحيى فامر بقتله فسأله التمثّل بين يديه فلمّا تمثّل بين يدى الخليفة سأله عن ذنبه فقال له ما هذا المكتوب فى خاتمك فاجابه اسم الله الاعظم من القرأن فقال له اقرأه فقرأ بحم عسق [1] نجّنى فاستحسنه وخلع عليه واعتذر اليه ٭ ولمّا وليتُ الوزارة فى الايّام الاشرفيّة قصدتنى الشعراء وتغالوا فى الاقوال حتى ان جمع بعض اصحابى اوراق اشعارهم وكانت جملةً ونسخ منها كتابًا وسمّاه الدرر السنيّة فى المحاسن الغرسيّة وقد اعجبنى منها ما نظمه الشيخ شمس الدين بن الخرّاط وهى قصيدة مطوّلة من جملتها شعر [2]

يا وزيرًا اختاره الله كفؤًا	وهو للمنصب الجليل خليل
انت للاشرف المليك عديل	ووزير وصاحب وخليل

وحكى ان بعض الخلفاء عزّل وزيرًا له فقال ان الوزير هو قطب الدولة ومدارها، وزند المملكة وسوارها، يستضىء الملك فى ظلمة بهامه بانوار تدبيره ويتحمّل عنه اعباء ما يحدث من قليل الخطب وكثيره،

[1] *Qorân*, XLII, 1. — [2] Mètre خفيف.

وجليله وحقيره، وفتيله ونقيره، فعليه بذل المجهود ليصيب الصواب بسهام همه ويصوّب انواء ارائه فينبجس من التدبير عيون ديمه ولمّا كان هذا المنصب فى نفسه جليلاً، كان المناهل للقيام بوظائفه قليلاً، فانّ المتقدّمين من فضلاء العظماء ذكروا فى صفات مباشرته شرحًا طويلاً، وجعلوا من كال امانة الوزارة من الاوصاف المعتبرة عبأً ثقيلاً، ولخصها ما كتبه المأمون فى اختيار وزير ليرتاد له فقال انى التمست لامورى رجلاً جامعًا لخصال الخير ذا عفّة فى خلائقه واستقامة فى طرائقه قد هذّبته الآداب وحنّكته الوقائع واحكمته التجارب ان أؤتمن على الاسرار قام بها وان قلّد بمهمّات الامور نهض فيها، نطقه العلم، ونسكه الحلم، وتكفيه اللحظة، وتغنيه اللمحة، له صولة الامراء، واناوة الحكماء، وتواضع العلماء، وفهم الفقهاء، ان احسن اليه شكر، وان ابتلى بالاساءة صبر، لا يبيع نصيبًا من يومه بحرمان غد يسترقّ قلوب الرجال بحلاوة لسانه، وحسن بيانه. واما الدولة الشريفة فهى ديوان جليل، بها تجمع الاموال من كثير وقليل، ولها جهات عديدة منها قطيا المعمورة وموجب البضائع الواردة الى مصر والقاهرة برًّا وبحرًا ما لم يكن فيها صنف خاصّ ومتحصّل بيت المال المعمور من جهات المواريث الحشريّة وجهات مصر والقاهرة المضمونة والمحلولة مما يطول شرح تفصيلها وجهات الطرّانة وجهات منفلوط وبلاد اقطاعات وحمايات ومستأجرات ورسوم ولايات ومتحصّل الخفير من عدّة اقاليم ومساحة القصب والقلقاس ودولاب السواقى يزرع عليها اصناف عديدة وغير ذلك، وعلى الدولة الشريفة مصروف جملة مستكثرة مثل تكفية عليق الخاصّ الشريف وعلوفة القصّاد والمتردّدين واسمطة الخاصّ الشريف وتكفية عمائر السلطنة وصرف مرتّب لحم المماليك السلطانيّة وجرايتهم وكذلك كل من له مرتّب وتكفية

IMPRIMERIE NATIONALE.

البيوتات وصرف الصدقات المرتّبة على بيت المال المعمور وعلوفة الابقار وحمل الاتبان والدريس للاصطبلات الشريفة وغير ذلك كان فى ايّام الملك الظاهر برقوق مصروف الدولة فى كل شهر عن جميع ما ذكرناه وغيره خمسين الف دينار واما الآن فاقلّ من ذلك بشىء يسير، وللدولة الشريفة ناظر ومباشرون قيل انه كان عدّة مباشرى الدولة الشريفة فى الزمان المقدّم نيف عن ثلاثمائة مباشر وبها مقدّم وتحت يده رسل واعوان جملة مستكثرة ولها حاجب وشادّ دواوين وشادّ المستخرج ولو اردنا وصف ما يتعلّق بالدولة لطال الشرح حتى انه حكى بعض الثقاة انه رأى فى بعض التعاليق ان رُفع تعاريف الدولة لبعض الوزراء عن مصر والقاهرة عند عصريّة النهار فكانت قريب من خمسة آلاف مثقال وهذا فى غاية العجب واما الآن اظنّ ان ما يمكن ان ترفع تعاريف الجهات المذكورة خمسمائة دينار

فصل فى وصف السادة المباشرين اركان الدولة الشريفة
وما يتعلّق بكل ديوان وكتّابه مثل الانشاء والجيش والمفرد والخاصّ
وبقيّة الدواوين والموقّعين على ما يأتى تفصيله

اما ناظر الانشاء الشريف فهو كاتب السرّ وكاتم السرّ يطلق فى حقّه ناظر الانشاء الشريف وناظر دواوين الانشاء الشريف لان بكل مملكة ديوان انشاء وقيل ان اوّل من وضع الخطّ العربىّ وصنع حروفه واقسمه ستّة اشخاص من طسم كانوا نزولاً عند عدنان بن أُدد اسماؤهم ابجد، وهوّز، وحُطّى، وكلمُن، وسعفص، وقرشت، فلمّا ان وجدوا احرفاً خارجةً عن اسمائهم ألحقوها بها وسمّوها روادف، وروى ان اوّل من اتى اهل مكّة بكتابة العربيّة سفيان بن اميّة بن عبد شمس ثم انتشرت وقيل غير ذلك ✧ والكاتب عضد معين وعون مسعد ولا بدّ للمملكة

منه ولا غنى لها عنه ومراتب الكتابة المتعلّقة بالسلطانة كانت قديمًا ثلاثتًا كتابة الانشاء وكتابة الجيش وكتابة الاموال٭ واما كتابة الانشاء فهى من مقوّمات الملك وقواعد المملكة وصاحبها المباشر لها فى خدمة السلطان، معدود من اكبر الاعضاد والاعوان، قائم فى اهتمام مقاصده واغراضه مقام الترجمان، فانزل منه منزلة القلب واللسان من الانسان، فانّه المطّلع على الاسرار، ألمجتمع لديه خفايا الاختبار، المنتفع به فى طريقى النفع والاضرار، ومن شروط براعته معرفة آيات القرأن واسباب نزولها، وعلم الاحاديث النبويّة وكنه مدلولها، وفهم سير الملوك الاوّلين فى افاعيلها واقاويلها، والتضلّع من الحكم والامثال بتفريعها وتأصيلها، والتطلّع على وقائع العرب بجملها وتفاصيلها، والتوسّع فى ابحر المعانى الشعريّة ما بين مقاربها وطويلها، فبذلك يملك زمام البلاغة والبراعة، ويرق على اهل هذه الصناعة[1]، فاذا امر السلطان بكتاب تخيّر له افصح الفاظه وارجح معانيه، وجعل مطلع دعائه مشعرًا بالغراض المودع فيه، ويختصر تارةً ويطنب اخرى، ويستعمل فى كل مقام ما هو أليَق به واحرى٭ حكى ان المأمون امر عمرًا ابن مسعدة كاتبه ان يكتب الى بعض عمّاله كتابًا لرجل له به عناية لحاجة للرجل عند المكتوب اليه وقال اوجزْ ما استطعتَ وبالغْ فى حقّه فكتب كتابى اليك كتاب واثق بمن كُتب اليه معتنٍ بمن كتب له ولن يضيع بين الثقة والعناية حامله والسلام، فلمّا وقف عليه وقع منه بموقع ظهرت آثاره بنشره وبرّه٭ ورأيت من له خبرة بديوان الانشاء واحواله يقول شرط كاتم السرّ ان لا يكون يعرف بالتركىّ لئلا يطّلع على بعض مقاصد الملك اذا تكلّم باللفظ التركىّ وهذا ينافى قولنا كاتم السرّ

[1] B ويرق بقدمه على تم اهل الخ.

ومن شرائط امير المؤمنين وواجباته ما ذكرناه فى حقّ السلطان ولكن يتعيّن اشتغاله بالعلم ويكون عنده خزائن كتب واذا سافر السلطان الى مهمّ يكون صحبته لاجل مصالح المسلمين وله جهات عديدة تقوم بكلفته ومساكن حسنة ويقال ان ببلاد الغرب بعض ذرّيّة للخلفاء الفاطميّين يبايعون ملوك الغرب ولم احرّر ذلك وهل يجوز امْ لا وللعلماء فى ذلك نظر ۞

فصل فى وصف قضاة القضاة اهل الحلّ والعقد والعلماء ائمّة الدين

وقضاة القضاة اعظم الاركان وقعًا واعمّها نفعًا، وعليهم مدار مصالح الامّة عقلاً وشرعًا، والقصد بهم نصب ميزان المعدلة فى الاحكام، وفصل القضاء بين الانام عند الخصام، وبسط بساط التناصف بين الخاصّ والعامّ فى النقض والابرام، ولن يتمّ هذا المقصد من مباشره [1] الا اذا كان كثير من اخلاق النبوّة من صفاته [2] من متانة دين تنزعه عن موارد الهوى ومصادرة وغزارة يهتدى بنورة فى باطن كل امر وظاهره وعفّة نفس تحميه عن مواقف التُهَم، وشرف همّة تحمله على اكتساب مكارم الشيم، ونزاهة تقى عرضه ان يتّهم فى ما حكم، وان يكون متضلّعًا من معرفة آداب القضاء، متحلّيًا بتجربة قد كشفت له حقائق الاشياء، رحيب الصدر ثابت الرأى، لا يتزعزع حصانه اذا طاشت ثوابت الآراء، مترديًا بجلباب الوقار، متذرّعًا بشعائر النزاهة عن الاكدار، متجنّبًا لفعل كل ما يحوج الى الاعتذار، سالك السُنَن القويمة عسى ان يكون احد القضاة الثلاثة الذى فى الجنّة والا فيكون احد الآخرين الذين فى النار، وله شروط وآداب مذكورة محرّرة فى كتب الفقه ليس هذا

[1] A omet من مباشره. — [2] Tout ce qui suit jusqu'à وعفّة نفس تحميه est omis dans le ms. A.

محلّه ٭ والقضاة والعلماء هم العاملون بالشريعة الواضحة التى جاء بها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وشرّعها، والحجّة القاطعة التى دحض بها شبه المبطلين وقطعها، والطريقة المثلى التى بناؤها على قاعدة الوحى والتنزيل ووضعها، والحقيقة العليا التى اعلاها الله على جميع الشرائع والملل ورفعها، فهى سبيل تفضى بسالكيه الى الصراط المستقيم، ودليل يهدى متّبعيه الى الفوز العظيم، لها حُماة وحملة فحماتها الملوك وحملتها العلماء اما الملوك الذين اقامهم الله تعالى لحراسة الدين وحفظ الملّة وحماية الشريعة فقد تقدّم القول فى تفاصيل بعض صفاتهم وفيما يتعيّن اعتماده من صنوف تصرّفاتهم ٭ واما العلماء فهم القائمون بحملها، المعتنون بنقلها، الحاملون عبّ ثقلها، ففى الحقيقة هم باحكامها معتنون، يعدّونها ذخرًا ليوم لا ينفع مال ولا بنون، وقد رفع الله تعالى بعضهم فوق بعض درجات، واختصّ من يشاء من لطفه بمزايا وصفات، فاقدارهم معتبرة بالصفات دون الذوات، ومراتبهم بالعلم متفاوتة بحسب ما رزقوا من الثمرات، فلا جرم منهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات، اما الظالم لنفسه فهو الذى لا يعمل بعلمه، ولا يقف عند واجب الشرع وحتمه، فهو على الحقيقة تابع هواه، نائع هداه، فينبغى ان لا يفوّض له امر دينىّ ليتولاه، فانّ من لم ينصح نفسه خليق به ان لا ينصح من سواه، واما الآخران فجدير بهما اداء ما تحمّلاه، وحقيق لهما النهوض باعباء ما تقلّداه، فانّ الاعمال الدينيّة هى ابدًا مبتداء الاهتداء الى طريق الحلال والحرام، والاقتفاء بما يعرض من الوقائع والاحكام، والقضاء بين المتنازعين لفصل الخصام، والاعتناء بامور المستضعفين من الايامى والايتام، وفضائل العلماء كثيرة لا تحصى، ومزاياهم عديدة لا يدرك امرها ولا يُستقصى، وانّما هذه نبذة من بعض صفاتهم لا يبلغ عشر معشارها،

ولا يقدر واصف بصف جزء من الف جزء من مقدارها، وليس وضعنا هذا المصنّف لهذا المعنى، وانّما المراد تبيين بعض احوالهم فى منصبهم الاسنى، واجلّهم قاضى القضاة الشافعىّ ثم يليه قاضى القضاة الحنفىّ ثم يليه قاضى القضاة المالكىّ ثم يليه قاضى القضاة الحنبلىّ ولكل منهم نوّاب يحكمون بالديار المصريّة قيل ان بها نيف عن مائتى قاضى حكم وبالديار المصريّة علماء ومدرّسون وصوفيّون وصلحاء بحيث يعجز الانسان عن ضبطهم ولكل منهم هيئة بذاته ٭ واما مشايخ الفقراء وطوابقهم واهل الزوايا فشىء يحصر ويحضرون الى السلطان فى اوّل كل شهر يهنّئونه لمباركة الشهر عليه [1] وكذلك فى كل يوم من ثلاثة اشهر التى يقرأ فيها البخارىّ وعند دوران المحمل وفى العيدين ويحضر قاضى القضاة الشافعيّة فى كل يوم جمعة فانّه خطيب الجامع الاعظم بالقلعة المنصورة ولكل من القضاة جهات مخصوصة به ٭

(1) A فى اوّل كل شهر يهنئونه, B فى كل شهر مرّةً.

الباب الرابع

فى وصف الصاحب الوزير والدولة الشريفة والسادة المباشرين اركانها وما يتعلّق بكل ديوان وكتّابه مثل الانشاء والجيش والمفرد والخاصّ وبقيّة الدواوين والموقّعين على ما يأتى تفصيلها ۞

فصل فى وصف الصاحب الوزير والدولة الشريفة

وما قدّمناه الا لفضيلته ونذكر بعض ما فضّل به على غيره وقد صرّح الكتاب والسنّة باتّخاذ الوزير والاستظهار به فى التدبير ◊ قال الله تعالى فى قصّة موسى عليه السلام واجعل لى وزيرًا من اهلى الآية [1] ◊ وقال تعالى وجعلنا معه اخاه هارون وزيرًا [2] ◊ قال الواحدىّ فى تفسيره اى ملجأً ومُعينًا وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من ولى شيئًا من امور المسلمين واراد الله به خيرًا جعل له وزيرًا صالحًا ان نسى ذكّره وان ذكّر اعانه واذا اراد به غير ذلك جعل له وزير سوء ان نسى لم يذكّره وان ذكر لم يعنه ◊ واختُلِف فى اشتقاق هذا الاسم على ثلاثة اوجه ، احدها انه مأخذ من الوزر وهو الثقل فانّ الوزير يحمل عن الملك اثقاله ، وثانيها انه مشتقّ من الوزر وهو الملجأ ومنه قوله تعالى كلّا لا وزر [3] اى لا ملجأ فالملك يرجع الى رأى الوزير ومعرفته وتدبيره ، وثالثها انه مأخوذ من الازر وهو المظهر ومنه قوله تعالى فى قصّة موسى عليه السلام اشدد به ازرى [4] اى قوّى به ظهرى فالملك

[1] *Qorân*, xx, 30. — [2] *Qorân*, xxv, 37. — [3] *Qorân*, lxxv, 11. — [4] *Qorân*, xx, 32.

يقوى بالوزير كقوّة البدن بالظهر ✽ ومن انتصب لهذه الوظيفة لزمه النهوض بمهمّات الدولة وامور المملكة بأن يحمل اثقالها ، ويزيح اختلالها ، ويصلح احوالها ، ويحفظ رجالها ، وينمّى اموالها ، ويستخدم الكفاة الثقاة ويوليهم اعمالهم ويلزمهم محجّة المعدلة واعتدالها ، ويحذّرهم عاقبة الظلم ووبالها ، وينذرهم نكال الظلمة والخونة وما لها ، ثم يتفقّد بفضائل احوالهم ، ويراعى تصرّفهم فى اشغالهم ، ويتطلّع سرًّا وجهرًا الى اقوالهم وافعالهم ، فمن وجده منهم قد نسى ذكره ، او غفل عن شىء بصّره ، او اخطأ عن سهو عذره ، ومن احسن منهم فى عمله ثمّره ، وقام فيه بواجب حقّه ووفّره ، وخصّه بزيادة رعايته واعلى مكانته وشكره ، ومن خان عهد امانته وفرّط فى ولايته عاقبه وعزله وعزّره ، ويعتنى بجهات الاموال وحراسة اسبابها ، وفتح ابوابها وضبط حسابها ، وبثّ الاحسان فى مظانّ اكتسابها ، واعتماد العدل والانصاف فى استخراجها واجتلابها ، فانّ كثرة الاموال وقلّتها بقدر المعرفة باجتلابها ، من شعابها من جرى مقرّرة ، ومتاجر معشّرة واخرجة محضّرة ، وعشور محرّرة ، وقسم مقدّرة ، وغنائم موفّرة ، وفىء من جهات غير منحصرة ، هذا الى زكواة واجبة ، وأُجور لازمة وديات دماء ذاهبة ، ومحرّر مباحات راتبة ، ومستخرج معان غير ناهبة ، وعداد نعم سائمة لا سائبة ، ووظائف على اكرة عاملة ناصبة ، الى غير ذلك من تربيع مزارع ، وتوزيع قطائع ، وتوسيع مراتع ، وتفريع مواضع ، وترجيع طوالع ✽ فهذه جهات اموال جعلها الشرع بيد السلطنة زمام استخراجها ، ومكّن من استيفائها بسلوك طريقها ومنهاجها ، وفوّض فيها حقوقًا تجب رعايتها عند صرفها واخراجها ، فاذا اقام وزير المملكة فى جهات الاموال نوّابًا بيّن لهم تفصيل هذا الاجمال ، وحرّضهم على حسن التوصّل الى استخراج الاموال ، وعرّفهم

الطرق المفضية اليها لئلا يشتبه عليهم الحرام بالحلال، وامرهم باتّباع الحقّ واجتناب الباطل على كل حال، ويتفقّد السلطان اعمال الوزير، وما قد اصدره عن الرأى والتدبير، فما وجده على وفق الصواب قرّره وتركه، وما رآه على خلاف ذلك ردّه واستدركه، وفى فضائل الوزير وترجيحه على غيره وما يتعيّن له وعليه امور كثيرة اختصرتها خوف الاطالة ✧ وروى ان سبب تلقّب الوزير بالصاحب انه كان ابو القاسم اسمعيل بن ابى الحسن عبّاد بن العبّاس بن عبّاد الطالقانىّ كان نادرة الدهر واعجوبة العصر فى فضائله ومكارمه وكان يصحب ابا الفضل بن العميد فقيل له صاحب بن العميد ثم اطلق عليه هذا اللقب لمّا تولّى الوزارة وبقى عليه ثم سمّى به كل من ولى الوزارة بعده وكان هذا الصاحب بن عبّاد وزير مؤيّد الدولة ثم وزير اخيه فخر الدولة، ومما قيل فيه شعر[1]

ابعد ابن عبّاد يهشّ الى السرى	اخو امل او يستماح جواد
أبى الله الا ان يموتا بموته	فما لهما حتى المعاد معاد

ومما رُثى به رحمه الله شعر[2]

ما مُتَّ وحدك بل كل امرئٍ ولدتْ	حواء طرًّا بل الدنيا بل الدين
تبكى عليك العطايا والصلاة كما	بكت عليك الرعايا والسلاطين
قام السُعاة وكان الخوف اقعدهم	واستيقظوا بعد ما مت الملاعين
لا يعجب الناس ان هم فيهم انتشروا	مضى سليمان وانحلّ الشياطين

وايضًا فيه شعر[3]

وَرِث الوزارة كابرًا عن كابر	موصولة الاسناد بالاسناد

(1) Mètre طويل. — (2) Mètre بسيط. — (3) Mètre كامل.

وحكى انه كان لبعض الخلفاء وزير وكان ألثغ لا يحسن ان يتلفّظ بالراء وكان يستعمل الالفاظ التى تغنيه عن ذلك باحسن عبارة بحيث لا يظهر لاحد عيبه ولم يشعر به الخليفة مدّة وزارته حتى اجتمعت الحسّاد وعرّفوا الخليفة بذلك واجتهدوا الى ان امره الخليفة بكتابة كتاب من مضمونه ان الامراء بالبصرة يحفرون نهرًا يمرّ به الفارس برمحه فكتب فقال له الخليفة اقرأه فقرأ الوكلاء بالفيحاء يجدّلون جدولا يخطو به الكميّت بقناته فاستظرف الخليفة منه ذلك وكان اسمه نجمًا وكان للخليفة ولد اسمه يحيى وكانوا اتّهموا الوزير به لمحبّته له وكان مكتوبًا على فصّ خاتم الوزير احرف فاجتهدت الحسّاد ان الخليفة يقرأ ما فى خاتمه فوجد مكتوبًا فيه نجم عشق يحيى فامر بقتله فسأله التمثّل بين يديه فلمّا تمثّل بين يدى الخليفة سأله عن ذنبه فقال له ما هذا المكتوب فى خاتمك فاجابه اسم الله الاعظم من القرآن فقال له اقرأه فقرأ حم عسق[1] نجّنى فاستحسنه وخلع عليه واعتذر اليه ❊ ولمّا وليتُ الوزارة فى الايّام الاشرفيّة قصدتنى الشعراء وتغالوا فى الاقوال حتى ان جمع بعض اصحابى اوراق اشعارهم وكانت جملةً ونسخ منها كتابًا وسمّاه الدرر السنيّة فى المحاسن الغرسيّة وقد اعجبنى منها ما نظمه الشيخ شمس الدين بن الخرّاط وهى قصيدة مطوّلة من جملتها شعر[2]

يا وزيرًا اختاره الله كفؤًا	وهو للمنصب الجليل خليل
انت للاشرف المليك عديل	ووزير وصاحب وخليل

وحكى ان بعض الخلفاء عزّن وزيرًا له فقال ان الوزير هو قطب الدولة ومدارها، وزند المملكة وسوارها، يستضىء الملك فى ظلمة بهامه بانوار تدبيره ويتحمّل عنه اعباء ما يحدث من قليل الخطب وكثيره،

[1] *Qorân*, XLII, 1. — [2] Mètre خفيف.

وجليله وحقيره، وفتيله ونقيره، فعليه بذل المجهود ليصيب الصواب بسهام همه ويصوّب انواء ارائه فينجس من التدبير عيون ديمه ولمّا كان هذا المنصب فى نفسه جليلاً، كان المناهل للقيام بوظائفه قليلاً، فانّ المتقدّمين من فضلاء العظماء ذكروا فى صفات مباشرته شرحًا طويلاً، وحملوا من كال امانة الوزارة من الاوصاف المعتبرة عبأً ثقيلاً؛ والخصها ما كتبه المأمون فى اختيار وزير ليرتاد له فقال انى التمست لامورى رجلاً جامعًا لخصال الخير ذا عفّة فى خلائقه واستقامة فى طرائقه قد هذّبته الآداب وحنّكته الوقائع واحكمته التجارب ان اؤتمن على الاسرار قام بها وان قلّد بمهمّات الامور نهض فيها، نطقه العلم، ونسكه الحلم، وتكفيه اللحظة، وتغنيه اللمحة، له صولة الامراء، واناوة الحكماء، وتواضع العلماء، وفهم الفقهاء، ان احسن اليه شكر، وان ابتلى بالاساءة صبر، لا يبيع نصيبًا من يومه بحرمان غد يسترقّ قلوب الرجال بحلاوة لسانه، وحسن بيانه؛ واما الدولة الشريفة فهى ديوان جليل، بها تجمع الاموال من كثير وقليل، ولها جهات عديدة منها قطيا المعمورة وموجب البضائع الواردة الى مصر والقاهرة برًّا وبحرًا ما لم يكن فيها صنف خاصّ ومتحصّل بيت المال المعمور من جهات المواريث الحشريّة وجهات مصر والقاهرة المضمونة والمحلولة مما يطول شرح تفصيلها وجهات الطرّانة وجهات منفلوط وبلاد اقطاعات وحمايات ومستأجرات ورسوم ولايات ومتحصّل الخفير من عدّة اقاليم ومساحة القصب والقلقاس ودولاب السواقى يزرع عليها اصناف عديدة وغير ذلك، وعلى الدولة الشريفة مصروف جملة مستكثرة مثل تكفية عليق الخاصّ الشريف وعلوفة القصّاد والمتردّدين واسمطة الخاصّ الشريف وتكفية عمائر السلطنة وصرف مرتّب لحم المماليك السلطانيّة وجرايتهم وكذلك كل من له مرتّب وتكفية

IMPRIMERIE NATIONALE.

البيوتات وصرف الصدقات المرتّبة على بيت المال المعمور وعلوفة الابقار وحمل الاتبان والدريس للاصطبلات الشريفة وغير ذلك كان فى ايّام الملك الظاهر برقوق مصروف الدولة فى كل شهر عن جميع ما ذكرناه وغيره خمسين الف دينار واما الآن فاقلّ من ذلك بشىء يسير، وللدولة الشريفة ناظر ومباشرون قيل انه كان عدّة مباشرى الدولة الشريفة فى الزمان المقدّم نيف عن ثلاثمائة مباشر وبها مقدّم وتحت يده رسل واعوان جملة مستكثرة ولها حاجب وشادّ دواوين وشادّ المستخرج ولو اردنا وصف ما يتعلّق بالدولة لطال الشرح حتى انه حكى بعض الثقاة انه رأى فى بعض التعاليق ان رُفع تعاريف الدولة لبعض الوزراء عن مصر والقاهرة عند عصريّة النهار فكانت قريب من خمسة آلاف مثقال وهذا فى غاية العجب واما الآن اظنّ ان ما يمكن ان ترفع تعاريف الجهات المذكورة خمسمائة دينار۞

فصل فى وصف السادة المباشرين اركان الدولة الشريفة
وما يتعلّق بكل ديوان وكتّابه مثل الانشاء والجيش والمفرد والخاصّ
وبقيّة الدواوين والموقّعين على ما يأتى تفصيله

اما ناظر الانشاء الشريف فهو كاتب السرّ وكاتم السرّ يطلق فى حقه ناظر الانشاء الشريف وناظر دواوين الانشاء الشريف لان بكل مملكة ديوان انشاء وقيل ان اوّل من وضع الخطّ العربىّ وصنع حروفه واقسمه ستّة اشخاص من طسم كانوا نزولاً عند عدنان بن أُدد اسماؤهم ابجد، وهوّز، وحُطّى، وكلمُن، وسعفص، وقرشت، فلمّا ان وجدوا احرفاً خارجةً عن اسمائهم ألحقوها بها وسمّوها روادف، وروى ان اوّل من اتى اهل مكّة بكتابة العربيّة سفيان بن اميّة بن عبد شمس ثم انتشرت وقيل غير ذلك ۞ والكاتب عضد معين وعون مسعد ولا بدّ للمملكة

منه ولا غنى لها عنه ومراتب الكتابة المتعلّقة بالسلطانة كانت قديمًا ثلاثًا كتابة الانشاء وكتابة الجيش وكتابة الاموال ❊ واما كتابة الانشاء فهى من مقوّمات الملك وقواعد المملكة وصاحبها المباشر لها فى خدمة السلطان، معدود من اكبر الاعضاد والاعوان، قائم فى اهتمام مقاصده واغراضه مقام الترجمان، فانزل منه منزلة القلب واللسان من الانسان، فانّه المطّلع على الاسرار، ألمجتمع لديه خفايا الاختبار، المنتفع به فى طريقى النفع والاضرار، ومن شروط براعته معرفة آيات القرآن واسباب نزولها، وعلم الاحاديث النبويّة وكنه مدلولها، وفهم سير الملوك الاوّلين فى افاعيلها واقاويلها، والتضلّع من الحكم والامثال بتفريعها وتأصيلها، والتطلّع على وقائع العرب بجملها وتفاصيلها، والتوسّع فى ابحر المعانى الشعريّة ما بين مقاربها وطويلها، فبذلك يملك زمام البلاغة والبراعة، ويبرق على اهل هذه الصناعة[1]، فاذا امر السلطان بكتاب تخيّر له افصح الفاظه وارجح معانيه، وجعل مطلع دعائه مشعرًا بالغرض المودع فيه، ويختصر تارةً ويطنب اخرى، ويستعمل فى كل مقام ما هو أليَق به واحرى ❊ حتى ان المأمون امر عمرًا ابن مسعدة كاتبه ان يكتب الى بعض عمّاله كتابًا لرجل له به عناية لحاجة للرجل عند المكتوب اليه وقال اوجزْ ما استطعتَ وبالغْ فى حقّه فكتب كتابى اليك كتاب واثق بمن كُتب اليه معتنٍ بمن كتب له ولن يضيع بين الثقة والعناية حامله والسلام، فلمّا وقف عليه وقع منه بموقع ظهرت آثاره بنشره وبرّه ❊ ورأيت من له خبرة بديوان الانشاء واحواله يقول شرط كاتم السرّ ان لا يكون يعرف بالتركىّ لئلا يطّلع على بعض مقاصد الملك اذا تكلّم باللفظ التركىّ وهذا ينافى قولنا كاتم السرّ

[1] B ويبرق بقدمه على تم اهل الخ.

فان من لم يكتم السرّ اذا اطّلع عليه بالتركىّ فكيف يكتمه بالعربىّ اذا
كان فيه اجهاد فتن وإراقة دم وغير ذلك وما ذكرت ذلك الا تنبيهًا على
تغليط قائل هذا القول واما على رأيي فانّه كلّما حفظ كاتم السرّ لسانًا من
الاسن كان عظمةً فى حقّه ۞ وبديوان الانشاء الشريف عدّة موقّعين
وهم قسمان قسم يسمّون موقّعى الدست هم اجلّهم ولهم مراتب شىء
اعلى من شىء وقسم يسمّون موقّعى الدرج ولهم ايضًا مراتب قيل انه
كان قديمًا بديوان الانشاء نيف عن اربعين موقّعًا لا يبطلون من
الكتابة ولا يفجرون منها لكثرة متحصّلهم وهى على انواع متعدّدة، منها
العهود المقرّرة للخلفاء والسلاطين على المنهج الواضح والاسلوب المبين
والتقاليد لقضاة القضاة اهل الحلّ والعقد بما يليق بكل منهم من
براعة المطلع والختام الدالّين على معظم القصد ولكفّال الممالك الشريفة
ذوى الرتب العوالى والمناصب المنيفة وللصاحب الوزير الذى وظيفته
قوام الملك فى التصرّف والتدبير وللسادة المباشرين اركان الدولة
الشريفة اولى الاقلام الموضحة والايدى العفيفة ومناشير الاقطاعات
للامراء والاجناد الموبّدين لنصرة الدين وحماية البلاد والتفاوض لمن
يعتمد عليهم مما يطول وصف ذكرهم والتواقيع لارباب المناصب
والوظائف المنصفين كل مظلوم والرادعين كل حائف والتواقيع الشريفة
الموصّلة كل ذى حقّ حقّه وقاطعة من كل ظالم سببه والمراسلات
والمكاتبات المشتملة على طلب الحوائج وذكر الاشواق والمعاتبات والمربّعات
بالارزاق والامثلة المبلّغة كل راج سؤاله وامله والمطلقات وغير ذلك مما
يسلك المنشئ لها اجمل المسالك الاصل واختصرت هنا لكونى جعلته
مختصرًا، واما المراسلات والمكاتبات فهى على انواع فالمكاتبات هى المكتوبة
لمن للملك عليه الولاء والمراسلات ضدّ ذلك ممن قرب او تلا ولا يمكن
بكتب عن السلطان يقبّل الارض ابدًا الا ان كان الامير المؤمنين خاصّةً

ورتب المراسلات عديدة اجلّها المقام العالى وادناها المجلس العالى وما بينهما ولكل مراسلة القاب تخصّها، واما المكاتبات فتنقسم على اقسام عديدة واجلّها المقرّ الكريم ثم المقرّ العالى [1] ثم الجناب الكريم ثم الجناب العالى ثم المجلس العالى ثم المجلس السامى ثم مجلس الامير الاجلّ او القاضى الاجلّ او الخواجة الاجلّ او الشيخ الصالح ثم الصدر الاجلّ وتتفاوت هذه المكاتبات ايضًا بالدعاء والتعظيم وسيف وحسام وبياء وبغير ياء وبالكافل وادام وضاعف وادام وصدرت ورسم وهذه وغير ذلك، واما الاخوانيّات تنقسم ايضًا على اقسام عديدة اجلّها ذكر اللقب خاصّةً وتعريفها قصّة فلان ويقبّل الارض وينهى ثم ذكر اللقب والكنية والتعريف مطالعة فلان الفلانىّ ثم ذكر اللقب والكنية والشهرة والدعاء والتعريف كما تقدّم وبعد يقبّل يبدأ بالدعاء ثم المخدومىّ والكنية والشهرة والدعاء بوسط المطالعة والتعريف كما تقدّم ويقبّل وكثرة الدعاء وبثّ الاشواق ثم الابواب العالية بمطالعة ويقبّل الارض ثم الابواب بغير مطالعة ثم الباب بيقبّل وكثرة الدعاء ثم الباسط بيقبّل وتحجيد بالغ ثم اليد من هذا النوع ايضًا ثم المقرّ الكريم ثم الجناب الكريم ثم الجناب العالى ثم المجلس العالى ثم المجلس السامى ثم الصدر الاجلّ ثم رسم وفى ذلك جميعه تفاوت فى الرتب بكثرة الدعاء وقلّته وصغر العلامة وكبرها وغير ذلك، فاما ما كان صدرًا من ديوان الانشاء فلا يمكن تغيره ولا تبديله فانّه على الاوضاع المحكمة والقانون المستقيم وتبيين رتب الناس ومنازلهم، واما ما كان من الاخوانيّات فلا بأس بالحشمة فيها بحيث ان يقارب المعنى ولا يبالغ فى الخروج عن الحدود فيكون على نوع الاستهزاء، واما صفة العلائم لجميع علائم

[1] B omet المقر العالى.

السلطان بقلم الطومار لا يعلّم بغيره اجلّها اخوه ثم والده ثم الاسم ويكتب على المناشير الله املى وعلى القصص يكتب وتسمّى عند اهل الديار المصريّة رجل غراب ، واما علامة الاخوانيّة وغيرها المملوك فلا صغيرة جدًّا تحت يقبّل ثم اكبر منها تحت يقبّل ثم المملوك فلان بقلم الثلث تحت اعزّ الله ثم بعد خمسة اسطر ثم بآخر الكتاب ثم تحت البسملة فى بيت العلامة ثم بقلم الطومار تحت البسملة ايضًا المملوك فلان ثم اخوه فلان ثم والده فلان ثم الاسم خاصّةً ثم يعتمد فهذه نبذة من وصف الانشاء وقد تقدّم الاعتذار ان هذا الكتاب ملخّص جدًّا فلا يمكن التطويل فيه ولا شرح بعض ما ذكرناه ومن له خبرة بديوان الانشاء الشريف يفهم ذلك جميعه ، واما المبايعة والفسخ ونسخ الحلف والخلع والامانات والدفن والهدن فكل من هؤلاء له حكم وصفة بذاتها يفهمها كتاب الانشاء الشريف وقد وضعتُ ذلك ايضًا فى مصنّفى الاصل ❊ واما ناظر الجيوش المنصورة فانّه من المعدودين بالممالك الاسلاميّة يقال ان اوّل من دوّن الدواوين فى الاسلام وضبط الامور عن الانتشار ، واحاط الاحوال بيد الاستظهار ، ونزّل ارباب الازراق على مراتب الاقدار ، وجعل ما قرّره من العطاء والقراء متّصفًا بمقدار ، امير المؤمنين عمر بن الخطّاب رضى الله عنه فانّه لمّا اتّسعت خطّة الاسلام وامتدّت اقطاره ، وظهرت آثاره ، وكثرت انصاره ، وصارت ترد على امير المؤمنين حمول الاموال ، من جهات الولاة والعمّال ، شاور من يعتمده لما هو الاحوط ، والانفع والاغبط ، فكل من الصحابة رضى الله عنهم قال ما عنده من الشور وبذل فى المناصحة جهده حتى قال خالد بن الوليد يا امير المؤمنين انى كنت رأيت ملوك الشأم قد دوّنوا دواوين وجنّدوا جنودًا فدوّن انت ديوانًا وجنّد جنودًا فبادر عمر رضى الله عنه واستدعى عقيل بن ابى

طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم وكانوا انساب قريش وقال اكتبوا الناس على منازلهم فقالوا ما نعلموه من رتب الناس [1] وقال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه انى حضرت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو يبدأ ببنى هاشم وبنى المطّلب فبدأ عمر بهم ثم بمن يليهم من قبائل قريش بطنًا بعد بطن حتى استوفى قريشًا ثم انتهى الى الانصار الى آخر ما ورد فى ذلك، وقد اجتمع اهل الدراية بتدبير الممالك، ومن انتصب لاصلاحها بايضاح الطرق والمسالك، ان من فراسة المملكة وسياقة الدولة ضبط امور الجيش وحفظ احوال الجند فانّه قطب مدارها، وسبب استقرارها، فيتعيّن الاعتناء به والنظر فى مصالح كتّابه فانّه شأنه ارفع، وديوانه اجمع، وعلمه اوسع، لا سيّما فى دولة فسيحة الاطراف، واسعة الاكناف، قد دلّت جريدة جيشها على الآلاف، فتحتاج الى ترتيب منازلها على قدر طبقاتهم، وضبط مقادير اقطاعاتهم ونفقاتهم، ورعاية مبادى مددهم واوقاتهم، ومعظم هذه الامور معذوقة بناظر الجيوش المنصورة المشار اليه الذى مداره جميع احوال المملكة على ما يصدر منه ويرد اليه ٭ وديوان الجيوش المنصورة ينقسم على قسمين، قسم يعرف بديوان الجيش المصرىّ به جميع ما ينصب الى الديار المصريّة من الجّ من الفرات والى الجنادل، وقسم يعرف بديوان الجيش الشأمىّ به جميع ما ينصب الى ارض الشمال من الفرات من الجّ والى ديار بكر حتى انه لا يفرّط بهذا الديوانين ثُمن دانق، والجيوش تنقسم على اقسام اجناد حلقة وبحريّة وتركان وعرب واكراد وغير ذلك ٭ حكى انه وصل الى الديار المصريّة فى ايّام بعض السلاطين قاصد من قرابالغلى [2] اعظم ملوك الشرق ومعه كتاب يخبر فيه انه

(1) A على منازلهم ما تعلموه من رتبهم. — (2) A قرابالّ قُلىّ.

عازم على اخذ الديار المصريّة او يقوم له بالجزية واخبر ان عسكره جملة مستكثرة لا تحصى وبها عدّة توامين وكل تومان معه عشرة آلاف فارس وان جميع عسكر بلاد السلطان اذا جمع ما يقابل عشرين تومانا من توامينه والعشرين تومانا اذا انفروا عن عسكره لا يبان النقص فيه فانحصر السلطان من ذلك وقال ما يكون جواب هذا الباغى وجميع ارباب رأيه واخصّاء دولته منهم من قال ترك جوابه، ومنهم من قال نظهر له من الكلام القوىّ ما هو أعظم مما قاله، ومنهم من قال المداراة انسب، ومنهم من قال نجاوبه بكلام يؤديه عند سماعه ويشوّش عليه، ومنهم من قال غير ذلك، وكان فى ذلك الزمان ناظر جيش ليس له نظير فى المعرفة والمعقول فقال يا مولانا السلطان وحياة رأسك عسكرك اكثر منه وانا ابيّن لك ذلك ويكون جواب هذا الباغى ان تكتب جرائد من ديوان الجيوش المنصورة وترسل اليه على السكت من غير جواب فاجابه السلطان الى ما قاله، فكتبت جرائد من جيش الديار المصريّة باسماء اجناد الحلقة وعدّتها اربعة وعشرون الفا والمماليك السلطانيّة عشرة آلاف ومماليك الامراء ثمانية آلاف، واجناد الحلقة بدمشق المحروسة اثنا عشر الفا ومماليك كافلها والامراء بها ثلاثة آلاف، واجناد الحلقة بحلب المحروسة ستّة آلاف ومماليك كافلها والامراء بها الفان، واجناد الحلقة بطرابلس المحروسة اربعة آلاف ومماليك كافلها والامراء بها الف، واجناد الحلقة بصفد الف ومماليك كافلها والامراء بها الف، واجناد الحلقة بغزّة [1] ومماليك كافلها والامراء بها الف، وحصرت عدّة المدن بالبلاد الشماليّة والديار المصريّة مما تقدّم ذكرها قريب ستّين مدينة وضبط ما فى المدن من اجنادها

[1] Ghazza manque dans le ms. A.

وممن هو بخدمة نوّابها من الخيّالة فكانت ستّين الفًا [1] ، ثم كتبت قبائل العربان فاوّل ما بدأ بآل فضل وهم بنو نعير اربعة وعشرون الفًا ، ثم عرب الحجاز بكماله اربعة وعشرون الفًا ، ثم آل علىّ الفان ، وعرب العراق الفان ، وعرب يلملم الفان ، وعرب الجزيرة الفان ، وعرب متروك الف ، وعرب جرم الف ، وعرب بنى عقبة وعرب بنى مهدى الف ، وعرب آل امرا الف ، وعرب جدام الف ، وعرب العائد الف ، وعرب فزارة الف ، وعرب محارب الف ، وعرب تنيل الف ، وعرب قطّاب الف ، وعربان متفرّقة بالديار المصريّة طوائف عديدة كل طائفة تشتمل على ما ينيف عن مائة خيّال وتقدير جملتها ثلاثة آلاف ، وعرب هوّارة جريدتها فى الزمان المتقدّم اربعة وعشرون الفًا ، ثم كتبت طوائف التركمان من غزّة الى ديار بكر مثل ابن قطلبك [2] وابن كبك وابن سقلسيز وابن دلغادر وابن رمضان والاوزاريّة وبكدلو والبازاتيّة وبوزجالولار والمرعشكولار والاراكيّة واوج اخلو [3] وبوز اخلو والايناليّة والخربندليّة والكندوليّة والقنجوليّة [4] وهؤلاء ينقسمون فرقًا كثيرة واصل جريدة الجميع مائة الف وثمانون الف خيّال ، ثم حسبت مقدّمى العشران وهم خمسة وثلاثون مقدّمًا وقرّر عليهم خمسة وثلاثون الف خيّال ومنهم من يزيد ومنهم من ينقص ، ثم حسب جميع الاكراد وما معهم من المقدّمين فجاءت عدّتهم قديمًا ما يزيد عن عشرين الفًا ، ثم حسب جميع البلاد بالوجه القبلىّ والبحرىّ من ديار المصريّة ومن الجّ الى ديار بكر فكانت تزيد عن ثلاثة وثلاثين الف قرية فكتب على كل قرية خيّالين فكانت جملة ما كتب على القرى خاصّةً

[1] A ستين الف, B ستة الف.
[2] B ابن قطبكلو.
[3] Lire اوج اوغلو.
[4] J'ai conservé ici, pour chacun de ces noms turcs, la transcription originale.

ستّة وستّين الف خيّال ، ثم رتّب ذلك جميعه وكمّله وقرّره من احسن شيء يكون وعملها نسختين ثم عرضها على السلطان فاعجبه ذلك الى الغاية وانعم عليه بانعمات كثيرة وصار عنده فى غاية ما يكون من القرب ثم جهّز احدى النسخ صحبة القاصد وقال هذا جواب كلام مرسلك ولم يزيد على ذلك فلمّا وصل القاصد الى مرسله واوقفه على ما جهّز صحبته فتعجّب من ذلك غاية العجب وصار يسأل من له خبرة باحوال الممالك عن فصل فصل فيقولون له كنّا نظنّ اكثر من ذلك فاختصر ما كان فيه واما تمرلنك عليه ما يستحقّه لمّا جاء الى بلاد الشمال كانت العساكر مختلفة والسلطان صغير ومع ذلك ما قدر على الوصول الى الديار المصريّة ، ولو اردنا وصف ديوان الجيوش المنصورة ، ووصف عساكره المجبورة ، على القانون والتمام ، لحصل الملال وطال الكلام ✧ واما المشير كان قديمًا من المعدودين فى المملكة اذا حصل مهمّ واراد السلطان استشارةً فيه استحضر امير المؤمنين وقضاة القضاة والصاحب الوزير والامراء مقدّمى الالوف واتابكهم ويكون السلطان قد لقّن جميع مقصوده للمشير ثم يستشير الجماعة واحدًا بعد واحد فكل منهم يتكلّم ما عنده والمشير يعلّل ويتكلّم ايضًا ما عنده وهم يعلّلونه ايضًا والسلطان ساكت الى ان يثبتوا على قول وينصرفوا عليه فيكون معنى المشير هنا اذا تكلّم بلفظ مما لقّنه السلطان سرًّا وردّوه عليه ابّهة للملك فانّ الملك اذا تكلّم بما فيه تعليل وردّوه عليه يكون نقصًا له وان سكتوا يحصل الخلل فهذا فائدة المشير فى الرأى والتدبير ✧ واما استادار العالية له التصرّف فى جميع بلاد المفرد الشريف المرصدة لجوامك المماليك السلطانيّة وله التصرّف ايضًا فى غالب الاقاليم بطرائق عديدة وكان قديمًا للاستاداريّة ابّهة عظيمة حتى ان بعض الاستاداريّة قُبض عليه وحُوسب على فائض الاموال

واستُخلص منه نقد عين خمسمائة الف دينار خارجًا عن اثاث ومتاع
واما قضيّة جمال الدين محمود مع الملك الظاهر برقوق مشهورة وكذلك
قضيّة سعد الدين بن غراب وجمال الدين البجاسيّ [1] فى ايّام الملك
الناصر فرج وغير ذلك من الاستاداريّة ٭ واما ديوان المفرد فهو ديوان
جليل وجهاته عديدة جارية بلدان كثيرة من جملتها فارسكور
والمنزلة كل واحد منهما كان قديمًا خراجها ثلاثين الف دينار
ويستخرج فى كل شهر قسط من صنف لا يشبه الآخر قيل ان
البلدان الجارية بديوان المفرد نيف عن مائة وستّين بلدًا وبلاد
الحماية متعدّدة غير ذلك وبلاد المستأجرات متعدّدة ايضًا وجهات
الرسوم من الكشّاف والولاة والشادّين والمتدرّكين فجملة ، وحكى بعض
الثقاة انه اطّلع على حساب اوراق بمتحصّل ديوان المفرد عن سنة من
عين وغلال واصناف من جهات متعدّدة يطول شرح تفصيلها وصفتها
فى مصنّفى الاصل واختصرتها هنا ولكن نذكرها جملة اما العين نيف
عن اربعمائة الف دينار وغلال ثلاثة اصناف قمح وفول وشعير ثلثمائة
الف [2] اردبّ واما الآن فلا اعلم من حاله شيئًا ، واما المقرّر على ديوان
المفرد الشريف تكفية جميع المماليك السلطانية من الجوامك والعليق
والآدر الشريفة ولوازمها وجماعة البيوتات وغير ذلك مما هو مرتّب على
المفرد الشريف [3] ٭ واما ناظر الخواصّ الشريفة فهو المتكلّم على جميع
الخواصّ الشريفة وجهاتها وديوان الخواصّ من اجلّ الدواوين واعلاها
يعرض عليه ارخص الامتعة واغلاها وله جهات عديدة من جملتها

[1] A et B البجاسى. On lit النحّاس dans Maqrîzy. (Cf. P. Ravaisse, *Histoire et topographie du Caire*, dans *Mém. de la Mission archéolog. franç. du Caire*, III, IV, 1890, p. 45.

[2] B ثلثمائة الف الف.

[3] B ajoute : وعليق خيول المماليك السلطانية وغير ذلك.

متحصّل ثغر الاسكندريّة المحروسة من واردى الفرنج ومتحصّل
مقاتضات البهار وبيع السمك البورى البطارخ وجهات الرسوم من
اناس متعدّدة والتراجمة ودار البياض وضمان الجمال بثغر الاسكندريّة
ورسم البهار الوارد من جدّة الى الطور ومتحصّل جهات ثغر دمياط
وهى متعدّدة من جملتها قياس القصب ومتحصّل الخمس وضمان بحيرة
السمنّاويّة وغير ذلك ومتحصّل فوّه وبلاد البرلس ونستروة وثغر رشيد
وفرع بالوجه القبلىّ وجهات حمايات ومستأجرات وترى متعددة
ودواليب وزراعات وفندق الكارم بمصر المحروسة ومتحصّل المواريث
الحشريّة المنسوبة لاعيان الناس بالديار المصريّة ومتحصّل جهات آدر[1]
الضرب ومتحصّل فرع بيروت ورسم البهار مما يوجّب عليه ببدر
وحنين وبويّب العقبة[2] وجسر الحساء ورسم القناصلة والتراجمة وله
الولاء على كل من يعمل صنف خاصّ، واما ما يلزم ديوان الخاصّ
الشريف حمل يراق[3] التجاريد الشريفة ومهمّ عيد الاضحى وتفرقة
الضحايا للخاصّ والعامّ لمن ينسب الى الملك بمقتضى ضرائب معيّنة ومهمّ
عيد الفطر والبائكة ومهمّ كساوى الآدر الشريفة من الاقمشة المذهبة
المنوّعة مما يطول شرح وصفه وكساوى المماليك السلطانيّة وتفرقة
الملبوس لاركان الدولة والسادة القضاة والموالى الامراء وكفّال الممالك
لكل منهم ما يليق به بمقتضى ضرائب معيّنة اختصرتها هنا وعليه
تكفية المطلوبات والصرر المقرّرة لارباب الادراك وحمل الحلاوى والفواكه
للخاصّ الشريف والآدر الشريفة وتكفية الهدايا برسم الملوك من اصناف
متنوّعة وتكفية التشاريف الشريفة لارباب الوظائف فى عيد الفطر

(1) A دار.

(2) Ce qui suit jusqu'à واما, ne se trouve que dans le ms. B.

(3) A يرق. Mot emprunté au turc et signifiant «armes, munitions de guerre».

وكذلك لكل من يستقرّ فى وظيفة وكذلك للقصّاد والمتردّدين وغير ذلك والتشاريف الشريفة عديدة وتتفاوت بحسب المقام والوظيفة على ما يأتى تفصيلها شعار الملك الشريف والفوقانيّات اليلبغاويّة بالطرز الزركش العراض والاطلسينات المثمّرة والكوامل الطرش[1] والاقبية النخّ بالقاقم والجبب والفوقانيّات بالطرز العراض والاطلسينات الشذح والفوقانيّات بالطرز ذراع ونصف ثم دون ذلك الى اقلّها والاقبية التبريزىّ والعفين بالطرز والطردوحش والمسمط وكل نوع له تفصيل بذاته وفيه العالى والدون ٭ واما بقيّة الدواوين فعديدة نذكر ما نستحضرناه منها وكتابة ديوان الاصطبلات الشريفة من الدواوين المعدودة له ناظر وعدّة مباشرين ، وديوان الخزانة الشريفة وله جهات عديدة وناظر وعدّة مباشرين ، وديوان الاوقاف والاملاك الشريفة وجهاتها عديدة وله ناظر ومباشرون ، وديوان المستأجرات والحمايات الشريفة فعديدة وله ناظر ومباشرون ، وديوان الاحباس المبرورة به ما يحبّس من الارزاق وله ناظر ومباشرون ويكتب منه التواقيع الاحباسيّة ، وديوان الاشراف يضبط به جميع الاشراف وانسابهم واما يتعلّق بهم من الاوقاف وله ناظر ومباشرون ورأيت لبعض نظّارة عجيبة مع شريف له ذوق وكان حصل بينهما منازعة والقضيّة طويلة وخلاصتها ان الشريف كتب ابياتًا من جملتها شعر[2]

قلت لدنياىَ جرتِ مسرفةً	على بنى المرتضى ابى الحسن
فقال كيف اصفو لطائفة	ابوهم بالثلاث طلّقنى

ودفعها الى ناظر الاشراف ومضى الى سبيله ، وديوان العمائر فكان قديمًا به ضبط عظيم يتعلّق بالمهندسين وارباب العمائر وبه من الاشياء

(1) B الطاش . — (2) Mètre منسرح .

المفردة والاحكامات ما يطول شرحه وله ناظر ومباشرون ، وديوان الاحواش فهو ما يضبط جميع تعلّقات الشكارخاناه وله ناظر وعدّة مباشرين ، وديوان الذخيرة فهو من اجلّ الدواوين يجمع به اموال الذخيرة من جهات متعدّدة وله ناظر ومباشرون ، وديوان المرتجع الذى يرتجع امر المباشرين من جهة المنفصل والمتّصل اليه يحاسب كل منهم على مستحقّه ومن لم يكون له مطالب رجع امر الى السلطان وله ناظر ومباشرون ، وديوان الاستيفاء وهو الذى يستوفى به ما يتعيّن استيفاؤه وله ناظر ومباشرون ، وديوان الزكاة وهو الذى كان قديمًا يؤخذ به الزكاة وتحمل لبيت المال المعروف وتصرف منه وكان له ناظر ومباشرون وهو الآن متعلّق بالدولة ، وعدّة دواوين اختصرتها لكونها غير مشهورة ۞

الباب الخامس

فى وصف اولاد الملوك ونظام الملك الشريف ونائب السلطنة الشريفة واتابك العساكر المنصورة والامراء مقدّمى الالوف والطبلخانات والعشرينات والعشروات والخمسوات بالديار المصريّة ۞

اما اولاد الملوك من السلطان الى من يطلق عليه لفظ امير فولد السلطان يقال فى حقّه نجل المقام الشريف والبقيّة يقال لهم الاسياد ولهم اللالات يربّونهم وكان قديم الزمان لا يظهرونهم للناس حتى يجاوزوا سبع سنين وكانت الطريقة ان يعلّمونهم الآداب وكانت السلطنة والامرة لا تخرج عنهم ، حكى لى شخص من الثقاة يسمّى المعلّم بركة البيطار من اعيان اهل الحسينيّة كان سنّه نحو مائة سنة انه رأى مكانًا بالحسينيّة به نحو اربعين اميرًا من اولاد الملوك والآن غالبهم مهمل ، قيل ان الامير صلاح الدين بن غراب كان حاجب الحجّاب بالديار المصريّة وتولّى نيابة السلطنة الشريفة بثغر الاسكندريّة واقام بها سبعًا وثلاثين سنة وله آثار عمائر وكان من الشجعان تغمّده الله برحمته ، وقيل ان ابرهيم بن امير جندار كان من الطبلاخانات مشهورًا بالفروسيّة وله حكاية مشهورة ثم استقرّ اميرًا كبيرًا بحلب المحروسة يقال انه ذبح فى يوم اربعين اميرًا ومن العادة القديمة انه اذا تولّى سلطان وكان للمتقدّم اولاد فلا بدّ من سجنهم مخافة طريان امر

ورأيت بالطباق التى بالحوش المقدّم ذكره قبل فصل الطاعون النازل فى سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ما يزيد عن اربعين نفرًا من اولاد اولاد السلاطين السالفين ثم بعد ذلك رأيت الملك الاشرف ابا النصر برسباى تغمّده الله برحمته اطلقهم الى حال سبيلهم .وكان ذلك منه سنّةً حسنةً وقد توفّى منهم جماعة فى الفصل المذكور فانّه كان فصلًا عظيمًا استمرّ بالديار المصريّة نحو اربعة اشهر حتى ان بعض الاعيان ضبط ما كان يتوفّى كل يوم فكان نحو اثنى عشر الفًا وخمسمائة من المصليّات ؞ واما نظام الملك [1] لا يكون الا اذا كان السلطان غير رشيد ويكون قد عيّنه بعهد من السلطان بالسلطنة وللنظام التصرّف فى تعلّقات الملك خلا الاموال لكن بمراجعة السلطان وله ابّهة امير من غيره من الامراء، ويحكى انه كان فى زمان بعض السلاطين طواشىّ يسمّى كافورًا الاخشيدىّ وكان اسود فوثق به الملك فلمّا دنت وفاة الملك عهد بالسلطانة لولده وجعل الطواشىّ كافورًا نظام الملك وقال فى نفسه هذا الطواشىّ لا يمكن ان يكون سلطانًا ثم توفّى السلطان فاقام ولده مدّةً يسيرةً فى السلطنة فاجتهد كافور خلعه والقضيّة فى ذلك تطول وخلاصتها ان كافورًا استقرّ سلطانًا بالديار المصريّة ؞ واما نائب السلطنة الشريفة كان قديمًا ينوب عن السلطان والامور جميعها معذوقة به ويعلّم على القصص عوضًا عن السلطان وله ابّهة عظيمة وآخر من استقرّ بالديار المصريّة الامير الطنبغا العثمانىّ ورأيته بعد ذلك بالقدس الشريف مجاورًا وهى الآن شاغرة لا يستقرّ بها احد الا اذا توجّه السلطان الى مهمّ من المهمّات ويسمّى نائب غيبة ؞ واما اتابك العساكر المنصورة فهو الامير الكبير ويسمّى ايضًا بكلربكى لا

[1] B فهو الذى ينتظم به الملك.

تخلوا الديار المصريّة منه وكان قديمًا له شأن عظيم قيل ان الامير
يلبغا الخاصّكيّ كان اتابكًا بالديار المصرية وكان بخدمته ثلاثة الاف
وخمسمائة مملوك وكان الملك الظاهر برقوق صغيرًا فى ذلك الوقت وهو
من جملتهم ✧ واما الامراء مقدّمى الالوف فكان عدّتهم قديمًا اربعة
وعشرين اميرًا كل واحد منهم بخدمته مائة مملوك وارباب وظائف
على العادة وهو مقدّم على الف جندىّ حلقة فلاجل ذلك يسمّى امير
مائة مقدّمًا على الف وتدقّ على بابه ثمانية احمال طبلخاناه وطبلان دهل
وزمران واربعة انفرة والدهل والزمور المستجدّة والاتابك نظير ذلك
مرّتين وفى الامراء مقدّمى الالوف من هو صاحب وظيفة ومن ليس له
وظيفة سيأتى بيان ذلك فى بابه ✧ واما امراء الطبلخانات فكان عدّتهم
قديمًا اربعين اميرًا كل واحد منهم بخدمته اربعون مملوكًا تدقّ ببابه
ثلاثة احمال طبلخاناه ونفيران واما الآن طبلان وزمران ومنهم ايضًا
من هو صاحب وظيفة ومنهم من لا وظيفة له سيأتى بيان ذلك ايضًا ✧
واما امراء العشربنات فكان عدّتهم قديمًا عشرين اميرًا بخدمته كل
واحد منهم عشرون مملوكًا ✧ واما امراء العشروات فكان عدّتهم قديمًا
خمسين اميرًا بخدمته كل واحد منهم عشرة مماليك ✧ واما امراء
الخمسوات فكان عدّتهم ثلاثين اميرًا بخدمة كل واحد منهم خمسة
مماليك وفى جميع من ذكرناهم من له وظيفة ومن لا وظيفة له ۞

الباب السادس

فى وصف ارباب الوظائف مجملًا ومفردًا يأتى تفصيلها والاجناد القرانيص والخاصكيّة واجناد الحلقة المنصورة ومراكزهم ومراكز البطائق والثلج والبرد ۞

اما الصاحب الوزير وناظر الانشاء الشريف وناظر الجيوش المنصورة والمشير وامير استادار العالية وناظر الخواصّ الشريفة وناظر الدولة الشريفة والموقّعون والمباشرون تقدّم وصفهم وكذلك القضاة ❊ واما الوظائف التى تقتضى اربابها ان يكونوا من جملة مقدّمى الالوف المقدّم ذكرهم نذكرهم على حسب منازلهم تقدّم وصف الامير الكبير ثم يليه امير سلاح ثم امير مجلس ثم امير دوادار الكبير ثم امير آخور الكبير ثم امير رأس نوبة النوب ثم امير حاجب الحجّاب ثم امير خازندار الكبير ثم امير الحاجّ الشريف ❊ واما الوظائف التى تقتضى ان يكون بها امراء طبلخانات فنذكرهم ايضًا على منازلهم وهم شادّ الشربخاناه والدوادار الثانى وامير آخور الثانى ورأس نوبة الثانى والحاجب الثانى والخازندار الثانى ونائب القلعة المنصورة والزردكاش [1] وامير شكار وامير جندار ❊ واما الوظائف التى تقتضى ان يكون بها من العشرينات

[1] Persan زرد «cotte de mailles» et كاش altération arabe de خاوجة.

والعشروات الدوادار الثالث وامير آخور الثالث ورأس نوبة الثالث والحاجب الثالث واستادار الصحبة وسبعة حجّاب وعشرة رؤس نوب ❊ واما الوظائف التى تقتضى من يستقرّ فيها بغير امرة عشرون حاجبًا وامير طبر وامير علم وكاشف الطير وسوّاق للخاصّ وامير منزل وامراء جنداريّة عشرة وشادّ القصر وشادّ الحوش وشادّ الدواوين وشادّ السواق وشادّ الاسواق وشادّ المراكب وشادّ الخاصّ وشادّ المستخرج وشادّ الشون وشادّ البيمارستان وشادّ العمائر وشادّ الاحباس وشادّ المعاصر وشادّ آدر الضرب وشادّ الاوقاف وشادّ السلاح خاناه وشادّ القنوات واربعون امير آخور وعشرة زردكاشيّة ❊ واما الوظائف المفردة التى تقتضى من يكون فيها بأمرة او بغير امرة مقدّم البريديّة والمهمندار ودلال المماليك ومتولّى القاهرة ونقيب الجيش ❊ واما والوظائف الدينيّة ناظر الحسبة الشريفة وناظر آدر الضرب وناظر المحمل الشريف وناظر الاوقاف والامام ناظر الحسبة بمصر وناظر البيمارستان وناظر المفرد الشريف وناظر الاشراف وناظر بيت المال ومفتى دار العدل وناظر المبقات ❊ والوظائف الديوانيّة عديدة تقدّم ذكر البعض وهم ناظر الاصطبلات الشريفة وناظر المفرد الشريف وناظر الخزانة الشريفة وناظر الشكارخاناه وناظر جهات وغير ذلك ❊ واما الاجناد القرانيص فهم القديمون الهجرة الموصلون بالديوان الشريف اصحاب الارزاق الثقال المتعيّنون الى الامرة يكونون فى منزلة امراء الخمسوات كان عدّتهم قديمًا مائة نفر واما الآن فدون ذلك ويسمّون الوغالر[1] ❊ واما الخاصّكيّة فهم الذين يلازمون السلطان فى خلواته ويسوقون المحمل الشريف ويتعيّنون بكوامل الكفّال ويجهّزون فى المهمّات الشريفة والمتعيّنون للامرة

[1] A الوُغالر. Mot tatar transcrit en arabe. Peut-être الغلر *oulough-lar* « les grands ».

والمتقرّبون فى المملكة كان عدّتهم فى ايّام الملك الناصر محمّد بن قلاوون
اربعين خاصّكيًّا ثم ازدادوا على ذلك حتى صاروا فى ايّام الملك الاشرف
برسباى نحو الف خاصّكيًّا ومنهم من هو صاحب وظيفة ومنهم من
ليس له وظيفة ۞ فاما اصحاب الوظائف منهم عشرة دواداريّة وعشرة
سقاة خاصّ واربعة خازنداريّة وسبعة رؤس نوب جامهداريّة [1] واربعة
سلاحداريّة خاصّ واربعة باشمقداريّة وغير ذلك ۞ واما بقيّة المماليك
السلطانيّة قبل كان عدّتهم فى ايّام الملك الظاهر بيبرس البندقدارىّ
تغمّده الله برحمته قريب من ستّة عشر الف مملوكًا منهم اصحاب
وظائف والباقى بغير وظيفة فاصحاب الوظائف منهم جملة مثل السقاة
والسلاحداريّة والطبرداريّة والجمقداريّة [2] والجاشنكيريّة والمشرفين
وامراء مشوىّ والبريديّة والجوكنداريّة والكمّداريّة [3] وسوّاقى الطير
والجمداريّة والكتّابيّة وغير ذلك وبقيّتهم بغير وظيفة والجميع ثلاث فرق
مشتراوات وهم المنسوبون الى السلطان المستقرّ وسلطانيّة وهم المنسوبون
الى السلاطين المتقدّمة وسيفيّة وهم المنسوبون الى الامراء المتقدّمين
وقد نُقلوا بالديوان الشريف ۞ واما اجناد الحلقة المنصورة فكان
عدّتهم قديمًا اربعة وعشرين الف جنديًّا كل الف منهم مضاف الى
احد الامراء مقدّمى الالوف وكل مائة من الالف لهم باش ونقيب
ومنهم من هو بحرىّ يركّز بالقلعة المنصورة ومنهم من يركّز فى غيبة
السلطان بمراكز معيّنة بمصر والقاهرة ومنهم من يتوجّه فى المهمّات
الشريفة ۞ واما مراكز البطائق التى هى بالابراج فاوّل ما نُشى ذلك من

[1] B جامهدارية، du persan جامه «garde-robe». A donne جدارية pour جامدارية «échanson», mot qu'on lit plus bas également dans les deux mss.

[2] A الجمقدارية، forme arabisée de الباشمقدارية cité plus haut.

[3] A et B كمدّار، sans doute pour كمنددار، du persan كمند «lasso».

بلاد الموصل وحافظ عليه الخلفاء الفاطميّون بمصر وبالغوا حتى افردوا
له ديوانًا وجرائد بانساب الحمام وللفاضل محيى الدين عبد الظاهر فى
ذلك كتاب سمّاه تمائم الحمائم واوّل من اعتنى به ونقله نور الدين
الشهيد زنكى رحمه الله فى سنة خمس وستّين وخمسمائة وحصل بذلك
راحةً للملوك، فاما ما كان من قلعة الجبل الى قوص فله مدة مديدة
بطّال لكثرة خراب قوص وما هو من قلعة الجبل الى ثغر الاسكندريّة
مركزين منوف العليا ودمنهور الوحش وما هو من قلعة الجبل الى ثغر
دمياط مركزين بنى عبيد واشمون الرمّان، واما ما هو من قلعة الجبل
الى الفرات فيتشعّب منه فالاوّل بلبيس ثم الصالحيّة ثم قطيا ثم الورّادة
ثم غزّة والى القدس الشريف والى نابلس والى الخليل عليه السلام ثم
الصافية ثم الكرك ومن غزّة الى جينين ثم الى بيسان ثم الى صفد
ومن جينين الى طفّين ثم الى الصنمين ثم الى دمشق ثم الى بعلبك
والى قارا ثم الى حمص ثم الى حماة ثم الى معرّة ثم الى خان تومان ثم
الى حلب ثم الى البيرة والى قلعة الروم والى بهسنا ثم من حلب الى
قباقب ثم منها الى تدمر ثم الى الرحبة ومن دمشقّ الى صيدا والى
بيروت والى تربلة ثم الى طرابلس، فهذه عدّة الابراج ومراكز الحمام
ولها برّاجة وخدّام واقفاص وابغال للتدريج ومرتبات وارزاق لتصير
الاخبار متّصلة مساعة ◦ واما مراكز الثلج من دمشق الى قلعة الجبل
مما حدث تحميله فى ايّام السلطان الملك الظاهر برقوق تغمّده الله
برحمته على الهجن وكان قبل ذلك لا يحمل الا فى البحر خاصّةً من
الثغور الشاميّة وهى بيروت وصيدا الى ثغر دمياط المحروس ثم ينقل من
مراكب بحر الملح الى مراكب بحر النيل ثم يؤتى به الى بولاق ثم ينقل
على البغال الى الشربخاناه الشريفة وتخزن فى صهريج وهو الآن يحمل فى
البرّ وترتيب حمله من حزيران الى آخر تشرين الثانى وعدّة نقلاته

فى البرّ احد وسبعون نقلةً ويجهّز مع كلّ نقلة بريدىّ بيده تذكرة ومعه ثلّاج خبير بحمله ومداراته والمرصد لكل نقلة خمسة جمال والمرصد فى كل مركز ستّة ليكون احدهم فضله والمراكز من دمشق الى الصنمين ثم منها الى طفس ثم الى اربد ثم منها الى جينين ثم منها الى قاقون ثم منها الى لدّ ثم منها الى غزّة ثم منها الى العريش وهو آخر ما قُرّرت اقامته على مملكة الشأم خلا جينين فانّه على صفد ثم من العريش الى الورّادة ثم منها الى المطيلم ثم منها الى قطيا ثم منها الى الصالحيّة ثم منها الى بلبيس ثم منها الى القلعة المنصورة والجمال من المناخات السلطانيّة ، واما البريد فهو من اربع جهات جهة الى قوص واسوان وجهة الى ثغر الاسكندريّة وجهة الى ثغر دمياط وجهة الى الفرات نهاية حدّ الملك من الشرق لكنها تتشعّب شعبًا ، يقال ان البريد فرسخان والفرسخ ثلاثة اميال والميل ثلاثة آلاف ذراع بالهاشمىّ والذراع اربعة وعشرون اصبعًا والاصبع ستّ شعيرات ظهر كل واحد الى بطن الاخرى والشعيرة ستّ شعرات من ذنب بغل ، فاما جهة قوص واسوان فمن مركز قلعة الجبل المنصورة الى برنشت ثم الى منية القائد ثم الى ونا ثم الى سياتم ثم الى دهروت ثم الى اقلوسنا ثم الى منية ابن خصيب ثم الى الاشمونين ثم الى ديروط الشريف ثم الى المنهى ثم الى منفلوط ثم الى اسيوط ثم الى طما ثم الى المراغة ثم الى بلنسون ثم الى جرجة ثم الى البلينة ثم الى هُو ثم الى الكوم الاحمر ثم الى خان الدرنبا ثم الى قوص ثم الى الحجرة ثم الى ايدوا ثم الى اسوان وقيل انه بريدان ثم الى عيداب ومنها اى آخر الاقليم ليس ببرد سلطانيّة ، واما الجهة التى الى ثغر الاسكندريّة فهى على قسمين قسم يسمّى الطريق الوسطى يشقّ من العامر يمرّ بالقرى من قلعة الجبل المنصورة الى قليوب ثم الى منوف ثم الى محلّة المرحوم ثم الى النحراريّة

ثم الى التركانيّة ثم الى ثغر الاسكندريّة والطريق الاخرى وهى الآخذة على البرّ وتسمّى طريق الحاجر وهى من قلعة الجبل المنصورة الى جزيرة القطّ ثم الى وردان ثم الى الطرّانة ثم الى زاوية مبارك ثم الى مدينة دمنهور ثم الى لوقين ثم الى ثغر الاسكندريّة ، واما طريق دمياط فتتشعّب من السعديّة الآتى ذكرها الى بينونة ثم الى اشمون الرمّان ثم الى فارسكور ثم الى ثغر دمياط ، واما الجهة الآخذة من قلعة الجبل المنصورة ثم الى الغرابىّ ثم الى قطيا ثم الى معن ثم الى المطّيلب ثم الى السوّادة ثم الى الورّادة ثم الى بئر القاضى ثم الى العريش ثم الى الخرّوبة ثم الى الزعقة ثم الى رفح ثم الى السلقة ثم الى غزّة ، وطريق الكرك من غزّة الى بلاقس ثم الى حبرون ثم الى جنبا ثم الى الزوير ثم الى الصافية ثم الى الحفر ثم الى الكرك ومن كرك الى الشوبك ثلاثة مراكز ، واما طريق دمشق من غزّة الى جينين ثم الى بيت دراس ثم الى لدّ ثم الى العوجا ثم الى الطيرة ثم الى قاقون ثم الى فحمة ثم الى جينين ثم الى حطّين ثم الى زرعين ثم الى عين جالوت ثم الى بيسان ثم الى اربد ثم الى طفس ثم الى رأس الماء ثم الى الصنمين ثم الى غباغب ثم الى الكسوة ثم الى دمشق ، ثم من دمشق تتشعّب المراكز فطريق البيرة منها الى القصير ثم الى القطيفة ثم الى الافتراق ثم الى القسطل ثم الى قارا ثم الى الغسولة ثم تتشعّب الطريق الى طرابلس سيأتى ذكرها ثم من الغسولة الى سمسين ثم الى حمص ثم تتشعّب الطريق الى جعبر سيأتى ذكرها ثم من حمص الى الرستن ثم الى حماة ثم الى لطمين ثم الى جرابلس ثم الى المعرّة ثم الى ابعد ثم الى امار ثم الى قنّسرين ثم الى حلب ثم الى الباب ثم الى بيت برة ثم الى البيرة ، والطريق تتوجّه الى جعبر من حمص الى المصنع ثم الى القرنين ثم الى البيضاء ثم الى تدمر ثم الى كربد ثم الى السخنة ثم الى قبقب

ثم الى كوامل ثم الى الرحبة، واما ما كان من دمشق الى صفد فمنها الى البرج ثم الى القلوس ثم الى الاريّنبة [1] ثم الى نعران ثم الى جبّ يوسف ثم الى صفد، ومن دمشق ايضًا الى خان ميسلون الى حرين وهناك طريقان احداها الى صيدا والاخرى الى بعلبك ومن صيدا الى بيروت وطريق بعلبك من دمشق الى الزبدانىّ ومن الزبدانىّ الى بورا ثم الى بعلبك، واما طريق طرابلس فمن الغسولة الى قَدَس ثم الى اقمر ثم الى العشراء ثم الى العرقاء ثم الى طرابلس، واما طريق الكرك من دمشق فمنها الى القتيبة ثم الى البرديّة ثم الى البرج الابيض ثم الى حسبان ثم الى قنبس ثم الى دبيان ثم الى قاطع الموجب ثم الى الصفرة ثم الى الكرك، واما ما كان من حلب الى آخر المعاملة فمنها الى السمّوقة ثم الى استدرا ثم الى بيت الفار ثم الى عين تاب ومنها الى قلعة المسلمين ثلاثة برد ليس بسلطانيّة ثم من عين تاب الى دير كون ثم الى قونا ثم الى عربان ثم الى بهسنا ومن بهسنا الى القيساريّة سبعة برد ليس بسلطانيّة، وكانت الخيول بالبرد متعدّدة الى ايّام الملك المؤيّد ابى النصر شيخ المحموديّ تغمّده الله برحمته ۞

(1) B ارنبة.

الباب السابع

فى وصف الآدر الشريفة وزمامها والطواشية وخدّام الستارة ووصف الخزانة والسلاح خاناه والحواصل الشريفة والشون والاهراء وجهات ذلك ومتحصّله ومصروفه ❁

اما الآدر الشريفة تقدّم وصف القياع التى تختصّ بسكناهم والعادة القديمة ان الخواندات تكون اربع لا يطلق فى حقّ احد من النسوة لفظ خوند الا اذا كانت زوجة السلطان ولهنّ ابّهة عظيمة فى ذاتهنّ ولو اردنا وصف ملبوس كل منهنّ وتجمّل بيوتهنّ لاحتاجنا الى عدّة مجلّدات وخلاصة القضيّة ان احدى الخوندات توفّت فى ايّام بعض السلاطين فضُبط موجودها فكان نيفًا وستمائة الف دينار واتّفق فى ايّام الملك الاشرف انه قصد ضبط عائلة خوند جلبان فكانوا نيفًا عن سبعمائة نفر وحكى ان بعض الخوندات نصبت القاعة الكبرى المعروفة بالعواميد فكان من جملتها مواعين من ذهب وفضّة وبشاخين مزركشة مرصّعة وتخوت مفضّضة وتخت مرصّع مذهب وغير ذلك من الآلات العجيبة ومنارة من ذهب عليها جوهرة تضئ بالليل، واما السرارى فكان عدّتهم قديمًا اربعين سرّيّة كل واحدة منهنّ لها حشم وخدم وجوار وطواشية، واما بقيّة الجوارى التى بالآدر الشريفة فهنّ جملة

مستكثرة من جميع الاجناس وفيهنّ ايضًا من هي صاحبة وظيفة وللآدر
الشريفة بلّانات ومراضع ودادات معيّنة٭ واما زمام الآدر الشريفة فهو
طواشي ادوب عارف وسمّى زمامًا لان تعلّق جميع الآدر الشريفة بيده
وهو من اعيان امراء الطبلخانات وعنده الكنانيّة بالقلعة المنصورة
يتصرّفون في الاشغال وله شأن وابّهة٭ واما الطواشية فهم جملة
وينقسمون الى اقسام اجلّهم مقدّم المماليك السلطانيّة قسم سوّاقون
بالطباق وقسم على الابواب وقسم كنانيّة وقسم على باب الستارة قيل كان
عدّتهم قديمًا ستمّائة طواشي٭ واما خدّام الستارة فعديدة كالبوّابين
والحوائج كاشيّة[1] ومن هو مرصد لتقاضى الاشغال وسقّائين وغير ذلك٭
واما وصف الخزانة الشريفة فهى من الغرائب وبها عدّة خزائن وبها
عدّة صناديق مملوّة بالفصوص والجواهر واصناف ذلك واوان من ذهب
وفضّة وسروج ذهب وكنابيش زركش وطرز زركش وحوائص ذهب
وامتعة حسنة من كل نوع واكياس مكيّسة ذهب وفضّة ومن كل صنف
يطلب حاصل بها٭ واما السلاح خاناه فهى عجيبة من العجائب بها من
جميع آلات السلاح من كل نوع يطلب وبها صنّاع كل صنف يعملون لا
يبطل منهم احد واوصافها كثيرة اختصرتها خوف الاطالة٭ واما
الحواصل الشريفة فهى التى يساق بها حاصل كل صنف كالبهار وانواع
متنوّعة من كل صنف والاخشاب والاقصاب والحديد والكوذة وما اشبه
ذلك مما يطول وصفه٭ واما الشون والاهراء فهى عجيبة من عجائب
الدنيا لان الشون يوضع بها ما يستعمل من الغلال والاحطاب والاتبان
وما اشبه ذلك والاهراء يوضع بها ما يخزن من الغلال المتنوّعة لا تفتح
الا عند الضرورة كان الملك الاشرف حجّر على بيع الغلال حتى ان كل من

[1] Cf. p. ١١٣, note, et Dozy. *Suppl. aux Dict. arabes.*

قصد بيع غلّة حملها الى الاهراء وقبض ثمنها ثم انه حصل غلاء فابيع من الاهراء جملة فحسبت فائدة ذلك فكانت ثلاثمائة الف دينار ولها مركب تعرف بالدرمونة قيل انها تحمل خمسة آلاف اردبّ ولم احرّر ذلك تحوّل الغلال اليها وهى كبيرة جدًّا وكذلك مراكب كثيرة تحوّل الغلال وتفتح الاهراء فى كل حين ويصرف منها ما يقتضى صرفه ۞

الباب الثامن

فى وصف البيوتات والمطبخ والاصطبلات الشريفة وما بها من الآلات على حسب الاختصار ووصف الشكارخاناه والسرحات والصيد والاحواش على ما يأتى تفصيل ذلك ۞

اما البيوتات فهى الشربخاناه التى توضع بها الاشربة والسكّر والحلوا والعقاقير والفواكه وما اشبه ذلك ولها مهتار[1] وعدّة شرابدارية، واما الطشتخاناه فهى التى بها الملبوس الشريفة والاقمشة وتغسل فيها الثياب وبها آلات كثيرة يطول شرح وصفها ولها مهتار وعدّة طشتدارية ورختوانيّة[2]، واما الركبخاناه فهى التى توضع بها آلات الخيل مما تدعو الضرورة اليه قيل ان عدّة ما بالركبخاناه مما تحتاج الضرورة اليه ثلاثة آلاف قطعة مختلفة الاسماء والالوان ولها مهتار وركابدارية وسنجقدارية ومهمزداريّة وقراغلاميّة[3] وغلمان مماليك ونقباء غلمان والجميع من تعلّقات الاصطبل الآتى ذكره، واما الفراش خاناه فهى التى بها الخيم والبسط والاسمطة والقناديل وما اشبه ذلك ولها

[1] A et B مهتار pour مهتر, en persan «chef, préposé».

[2] Du persan رخت «mobilier» et بان.

[3] B ومهمرديه وقراغلاميه ; A omet ces mots. Il faut probablement lire ومهمزدارية.

مهتار وعدّة فرّاشين وعولة عليهم الكنس والبسط ولخدمة ومدّ الاسمطة، واما الطبلخاناه بها من الكوسات التى تدقّ على باب السلطان اربعون حملاً واربعة طبل دهول واربعة زمور وعشرون نفيرًا ولها مهتار وبها عدّة خدّام ❊ واما المطبخ فهو معروف لا تنتفى النار منه ابدًا تطبخ فيه الاسمطة المتنوّعة ونذكر بعض اسماء الاطعمة، مأمونيّة، خيطيّة، سفرجليّة، رمّانيّة، زيرباج، مسكيّة، ارز مفلفل، دنارشتة، قلقاس ثلاثة الوان، حبّ رمّان لونين، شيشن بورك لونين، اقسماويّة روميّة، نرجسيّة، محمّصة، سادجة، مسكوبة، بورانيّة، معرّقة، فقّاعيّة، قرطميّة، حرمزة، نوفريّة، مكمور، مرقدة [1]، حصرميّة، كبريتيّة، كمّونيّة، سنبوسك لونين، هليونيّة، فوليّة، هريسيّة لونين، بستانيّة، لبنيّة، سمّاقيّة، ملوخيّة، قرعيّة لونين، بامية لونين، كرنب سبعة الوان، كشك مسبّع، قلوبيّة، ممزّجة، قرنفليّة، مشمشيّة، ريباسيّة، صحنا، مصلوقة، هنديّة، زركوشتى، معجّن، مشوى، بصما، مُقلى، رشتا، وغير ذلك، وبه من الآلات العجيبة وله طبّاخ ومرقداريّة وصبيان ❊ واما الاصطبلات الشريفة فهى متعدّدة، اصطبل الخاصّ الشريف الذى به المراكيب الشريفة، واصطبل المجورة التى ينتخب منها للعب الكرة، واصطبل البيمارستان الذى يوضع به الخيول الضعاف، واصطبل الجوق الذى به خيول الخرج للمماليك الكتّابيّة، واصطبل البغال، واصطبل البريد، والمناخ الذى به الجمال البختاتىّ والذى به الجمال النفر فهو مضاف الى الاصطبلات الشريفة وكذلك اصطبلى الهجن والنياق، واصطبل الفيل فهو من جملة الاصطبلات الشريفة [2] وكذلك اصطبل السباع واصطبل الدشار وقد تقدّم وصف

[1] Omis dans le ms. A. — [2] B ajoute : وكذلك الرزاقات.

الركبخاناه وما بها، واما بقيّة ما يتعلّق بالاصطبل من الوظائف فالاوجاقيّة [1] كانوا قديمًا جملة مستكثرة قيل كانوا ثمانمائة نفر ولهم رؤس باشات ومنهم اوجاقيّة للخاصّ ستّة عشر نفرًا والسلاخوريّة [2] وسوّاق البريد والشحن [3] الذى على المناخات والسروانيّة [4] والجمّالة والنفريّة والعرب الذين يركبون المسايرات كان عدّتهم ثلاثمائة نفر للخاصّ منهم ثلاثون نفرًا والسوّاس وسوّاس للخاصّ والعجّانة الذى يتعلّق بهم العجن كان عدّتهم ايضًا قديمًا ثلاثمائة نفر ومكاريّة البغال والدشاريّة [5] والبياطرة والسقّاءون وللخَوَل وغير ذلك مما يطول شرحه والمتكلّم على ذلك جميعه امير آخور كبير ❊ واما وصف الشكارخاناه فهى التى تتعلّق بالطيور والمتكلّم عليها امير شكار وبها من الآلات ما يطول شرحه ونبيّن اسماء الطيور للجوارح فالشائع عند الناس ان سلطان الطيور انما هو العقاب وفى الحقيقة انّما هو السنقر لانّه امير الطيور حتى انه اذا كان شبعانًا ورأى طيرًا وثب عليه بخلاف بقيّة الجوارح والكوهيّة دونه والباز دون الكوهيّة والشاهين على هيئة الكوهيّة لكن بينهما فرق والضيفيّة [6] دون ذلك والصقر على نوعين احسنهما الكبيديّ والسقارة دون ذلك والباشق والقطاميّ فهم ادقّ الجوارح وكل من هؤلاء ذكر وانثى [7]، واما طيور الواجب فهى اربعة عشر صنفًا منها ثمانية تحمل باعناقها عند الصيد وستّة تحمل باسباقها، فالثمانية الاولى هى الثمّ والكى والاوزّ الخبيّ [8] والانيسة والاوزّ اللغلغ والحُبْرُج والنسر

[1] B فالوشاقية. C'est le mot turc اوجاق.

[2] B والسراخورية. En persan سلاحشور «maître de manège, etc.».

[3] Du persan شحنه «préposé».

[4] B والسيروانية; du persan سربان synonyme de جمّال.

[5] A omet ce mot.

[6] B والصيغة.

[7] B له ذكير والانثى من الذكر.

[8] A الخِبىّ; B الخبى ou الخى; lecture incertaine.

والعقاب، واما الستّة التى تشال بسبوقها فهى الكُركىّ والغرنوق والصوغ والمرزم والشيطر والعناز، وبقيّة الطيور فاصناف متعدّدة جدًّا يطول شرحها ولها جرائد بديوان الشكارخاناه ولها جماعة خواندارية[1] ومعلّمين وطعمدارية وبازدارية[2]. واما السرحات والصيد فهى فى ايّام الربيع يسرح السلطان عدّة مرار وجميع الاعيان بخدمته بالموكب الكامل الى مواضع مخصوصة فيرمى الطيور على الكركىّ والجيش حلقة ويكون الصيد على قدر الفتح مما اتّفق فى ايّام الملك الناصر محمّد بن قلاوون ارمى رماية البركة وكان بالشكارخاناه صقر[3] يسمّى لِغْياط ما رمى قطّ الا وصاد فاخذه على يده على العادة فى يوم الخميس سابع ذى القعدة احد شهور سنة اربعين وسبعمائة وارماه فى جملة الرماية فلم يصد ذلك الطير ولا غيره فى تلك الرماية فسأل السلطان عن الصقر المذكور فلم يجدوه فتوهّم فى نفسه انه هرب وعاد وهو منقبض الخاطر اوّلاً لعدم الصيد وثانيًا لهرب الصقر فلمّا كان خامس عشر ذى القعدة ورد هجّان من دمشق المحروسة وتمثّل بالمواقف الشريفة ومعه كركىّ مقدّد وطير على يده وقدّم ما معه من المطالعة فقرأها كاتب السرّ ناشئة من كافل الشأم يقبّل الارض وينهى انه يوم الخميس المبارك سابع ذى القعدة بعد صلاة الظهر حضر جماعة من اهل دمشق واخبروا انهم وجدوا طيرًا منقضًّا على كركىّ بجامع بنى اميّة فمسكوها واحضروها فذبح المملوك الكركىّ وغبّ الطير منه وجوّن الكركىّ وملّحه وجهّزها لخدمة الشكارخاناه الشريفة فانعم السلطان على كافل الشأم المحروسة

[1] A donne حاوندارية, B حوندارية, leçons également incorrectes.

[2] A وطعمدارية manque; وبزادرة, pluriel de forme arabe du persan بازدار «fauconnier».

[3] B ajoute : عاوفيه يعرف بالصيد. عاوفيه (*sic*) nom d'espèce, sans doute d'origine tatare; صيد pour صيّاد.

بفرس مشدود ملجوم بسرج ذهب وكنبوش زركش وريش وخلعة وعلى الكجّان المذكور بمائة أُفلوريّ وعلى من احضر الطير لكافل الشأم بمائة افلوريّ وكان كافل الشأم عرف انه من طيور الشكارخاناه الشريفة لما رآه برجله من اللوح [1] الذهب المنقوش عليه اسم السلطان، والسرحات متعدّدة باماكن معيّنة وصفة الصيد والآت الشكارخاناه وما ينسب اليها يطول شرحها، واما الاحواش فهى عديدة بكل اقليم من اقاليم الديار المصريّة حوش يشتمل على عدّة شباك وصيّادون يصطادون من جميع اصناف الطيور، حكى جماعة صيّادى العيّاش[2] انهم جذبوا فى ضربة واحدة ثمانمائة بطّة والشبكة الكاملة طولها مائة وعشرون ذراعًا بالمصريّ يجذبها ستّة عشر نفرًا ومن جملة الاحواش حوشان جاريان بديوان الشكارخاناه الشريفة وبقيّة الاحواش، كل حوش منها جار بديوان امير من مقدّمى الالوف اصحاب الوظائف يحملون ما عليهم من الخراج والصيد، ووصف الاحواش كثير اختصرتها خوف الاطالة ۞

[1] A لما رأى برجله اللوح. — [2] B *sic;* A omet ce mot.

الباب التاسع

فى وصف كشّاف التراب وعمارة الجسور والحفير والجرّافة وما تحتاج اليه البلاد عند فيض النيل وهبوطه ووصف الكشّاف والولاة وارباب الوظائف باقاليم الديار المصريّة

اما كشّاف التراب فيتعيّنون فى كل سنة مرّةً من الامراء مقدّمى الالوف الى كل اقليم امير فى زمان الربيع لاستخراج ما يتعيّن على البلاد من الحفير والجرّافة ❊ اما الحفير فانّه تقدّم انه يتعلّق بالدولة يصرن باماكن معلومة يحفرها لجريان المياه والجراريف هى التى يجرن بها التراب لاقامة الجسور السلطانيّة تستخرج من جميع البلاد مبلغ ورجّالة بسبب ذلك ❊ واما ما تحتاج اليه البلاد عند فيض النيل حفظ الجسور لئلا تقطعها المياه فتصير البلاد بائرة وتثبّتها باللبش وعدم الغفلة عنها الى ان تستوفى البلاد حدّها ومتى هبط النيل تحتاج البلاد الى تصرّف ما عليها من المياه لاجل الزرع، واما الجسور البلديّة فهى لازمة لاصحاب العُرش [1] ليس لكشّاف التراب عليها حجر واوصافها كثيرة اختصرتها خوف الاطالة ❊ واما الكشّاف كانوا قديمًا ثلاثة كاشف الوجه القبلىّ وله الولاء من الجيزة الى الجنادل ويولّى من تحت امره سبع ولاءة باقاليم

[1] B القرى.

IMPRIMERIE NATIONALE.

الوجه القبلىّ وكاشف بالوجه البحرىّ يولّى من تحت امره سبع ولاءة باقاليم الوجه البحرىّ وهما من مقدّمى الالوف بالديار المصريّة وكاشف بالجيزة تارةً يكون من المقدّمين وتارةً يكون من الطبلخانات، والآن ربّما يكون بالوجه القبلىّ ثلاثة كشّان احدهم بالفيّوم والآخر بالصعيد الادنى والآخر بالصعيد الاعلى وربّما يكون ايضًا بالوجه البحرىّ كاشفان احدهما بالشرقيّة والآخر بالغربيّة وكاشف البحيرة على عادته وليس ذلك من الطرائق فانّه يصير عدم نفاذ كلمة الكشّان [1] بالاقاليم وتضيع حقوق الرعيّة والاصوب ما كانوا عليه اوّلاً فانّهم كانوا فى غاية الابّهة وربّما كان يفرّق كل واحد من كشّان الوجه القبلىّ والبحرىّ فى كل ليلة الف عليقة، واما الولاءة الآن صار البعض مضافًا لاحد الكشّان والبقيّة يتولّون من الاستادار، واما ارباب الوظائف باقاليم الديار المصريّة بكل اقليم مما تقدّم ذكره بمدنه وقراه الكبار قضاة واستاداريّة للحمايات والمستأجرات وشدّون وخولة ومتدرّك وخفراء وارباب الادراك وغير ذلك وكان قديم الزمان البلاد جميعها يؤخذ خراجها من كل صنف والآن صار مفصولاً تقدّم ان المنزلة وفارسكور جاريتان بالديوان الشريف وان كل واحدة منهما مفصولة على متدرّكها فى كل سنة بستّة وثلاثين الف دينار، واما القرى المتعيّنة فمفصولة ايضًا على متدرّكها بنحو عشرين الف دينار ودون ذلك قرىً مفصولة فى السنة باثنى عشر الف دينار وثَمَّ من بلاد الجند ما يعمل كل قيراط الف دينار بخدمته كشيين [2] القصر وغير ذلك وكل متدرّك بهذه القرى يعيش اعظم من ملك من ملوك الشرق ۞

[1] A من الطرائق لا تنفذ كلمة الكاشف ..... — [2] A et B *sic.*

الباب العاشر

في وصف الممالك الشريفة الاسلاميّة وهي ثمان على ما يأتي تفصيلها على الترتيب ووصف ما بالمدن بالبلاد الشماليّة ومن بذلك من الكفّال والنوّاب والسادة القضاة والامراء والمباشرين وارباب الوظائف والجند ۞

الاولى المملكة الشاميّة كافلها له ابّهة عظيمة حتى انه يحاكى السلطان في الابّهة اذ شرفه مستفاد من شرف السلطان وله الحكم والولاء على ما تقدّم من المدن المنسوبة الى دمشق وبها امير كبير وحاجب الحجّاب وكان قديمًا بها اثنى عشر اميرًا مقدّمى الالوف وعشرين اميرًا من الطبلخانات وستّين اميرًا من العشروات والخمسوات، واما السادة القضاة بها اربعة من المذاهب الاربعة لكل منهم نوّاب بدمشق ومعاملاتها، واما المباشرون ففيها كاتب سرّ وناظر جيش واستادار العالية وناظر خاصّ ووزير وناظر دولة وغير ذلك، واما ارباب الوظائف ففيها كاشفان وعدّة ولاة بكل اقليم وولاة المدينة ونقيب جيش ومهمندار وارباب الوظائف الدينيّة والديوانيّة قريبة مما وصفنا من ارباب الوظائف بالديار المصريّة وبها نائب القلعة المنصورة وسبعة حجّاب وغير ذلك مما يطول شرحه، واما الجند فكانوا قديمًا اثنى عشر الف جندىّ من الحلقة وبخدمة كافلها الفان وبخدمة الامراء نصف ما بخدمة الامراء بالديار المصريّة ۞ والثانية المملكة الكركيّة هذا على

القاعدة القديمة لانّه لا يكتب فى الورق الاحمر الا كافل الشأم وكافل الكرك والسبب فى ذلك انه كان سلطان بالديار المصريّة حكمه من الجنادل الى ديار بكر وكان له ثلاثة اولاد فلمّا دنت وفاته عهد الى اولاده وقرّر الملك الكامل وهو ولده الكبير سلطانًا بالديار المصريّة واطلق حكمه من الجنادل الى العريش وقرّر ولده الثانى وهو الملك الاشرف سلطانًا بالشأم واطلق حكمه من بيسان الى ديار بكر وقرّر ولده الثالث وهو الملك الناصر سلطانًا بالكرك واطلق حكمه من العريش الى بيسان وصار كل منهم يكاتب الآخر فى الورق الاحمر فلمّا صارت الشأم والكرك نيابات ومصر المحروسة سلطنة استمرّ النائبان يكاتبا فى الورق الاحمر، وكان بها قديمًا امراء واجناد حلقة والآن فيها حاجبان وقاضيان وكاتب سرّ وناظر جيش ونقيب جيش ومحتسب ومتولّى ونائب قلعة وامير عشرينات وبعض اجناد للحلقة وبحريّة وغلمان سلطانيّة اصحاب نوب وامير عربان له امرة بالكرك، وكانت نيابة الكرك لا يتولّاها الا اتابك العساكر المنصورة او من هو نظيره ومن جملة من تولّى نيابة الكرك الامير بشتك والامير قديد [1] والامير بلاط والامير الطنبغا الجوبانىّ وغير ذلك من اعيان ملوك الديار المصريّة حتى انه كانت نيابة الكرك متحصّلها فى كل شهر قريب من عشرة آلاف مثقال ذهب. والثالث المملكة الحلبيّة وهى الآن تلى المملكة الشأميّة وكافلها من اعظم الكفّال وله الولاء على ما ذكرنا من المدن والقلاع المتقدّم ذكرها وكان قديمًا بها نوّاب فخام حكى ان الامير جكم كان بخدمته الف وخمسمائة مملوكًا، واما السادة القضاة فيها اربعة على اربعة المذاهب لكل منهم نوّاب بالمملكة وبمعاملاتها وبها امير كبير وحاجب الحجّاب ونائب القلعة المنصورة

[1] A ajoute والامير مانور.

وثلاثة امراء مقدّمى الالوف وكان بها قديمًا ستّة امير مقدّمى الالوف وبها امراء طبلخانات عشرة وعشرينات وعشروات وخمسوات عشرون اميرًا وبها كاتب سرّ وناظر جيش وناظر خاصّ ووزير واستادار وناظر دولة ومحتسب ومتولّى وكاشف برّ وولاة بالاقاليم وخمسة حجّاب وارباب وظائف دينيّة ودنياويّة ونقيب جيش ومهمندار ومتولّى بحر ومقدّم بريديّة وغير ذلك وبخدمة الامراء بحقّ [1] الثُلثين من امراء الشأم المحروسة واجناد الحلقة كانوا قديمًا ستّة آلاف جندىّ وغير ذلك ممّا يطول شرحه ٭ والرابعة المملكة الطرابلسيّة وكافلها من اعيان الكفّال له الولاء على ما يتعلّق بها من المدن والقلاع والمعاملات وضريبته قديمًا ان يكون بخدمته ستّمائة مملوك وله من الطرائق والابّهة ما يطول شرحه، واما السادة القضاة فيها اربعة على اربعة المذاهب ولكل منهم نوّاب، واما الامراء ففيها حاجب الحجّاب من مقدّمى الالوف وامير كبير مقدّم ايضًا واميران مقدّما الالوف وعشرة امراء طبلخانات وقريب من ثلاثين اميرًا عشرينات وعشروات وخمسوات قريب من الترتيب من امراء حلب، واما المباشرون فيها كاتب سرّ وناظر جيش ووزير، واما ارباب الوظائف ففيها اربعة حجّاب ومحتسب ونقيب جيش ومتولّى وشادّ البحر ومهمندار وولاة وكشّاف، واما الجند كان ضريبته قديمًا ما بين ثلاثة آلاف الى اربعة آلاف ٭ والخامسة المملكة الحماويّة وكان كافلها قديمًا فى النظام قريبًا من كافل طرابلس واما الآن فدون ذلك بشىء لا يقاس، واما السادة القضاة ففيها اربعة على اربعة المذاهب ولكل منهم نوّاب، واما الامراء ففيها امير كبير وحاجب الحجّاب واميران والجميع طبلخانات وبها نيف عن عشرين اميرًا عشرينات وعشروات وخمسوات، واما

[1] A بحكم.

المباشرون ففيها كاتب سرّ وناظر جيش، واما ارباب الوظائف فقريب مما ذكر فى طرابلس وكذلك الجند٭ والسادسة المملكة السكندريّة وكافلها يركب بالشبّابة بخلاف جميع الكفّال وهو من اعيان مقدّمى الالوف بالديار المصريّة وله تراتيب عجيبة فى المواكب وغيرها، واما السادة القضاة فيها اربعة ثلاثة على مذهب الامام مالك والآخر حنفىّ ولكل منهم نوّاب، واما المباشرون ففيها ناظر خاصّ وهو اجلّهم متكلّم على جميع الاموال السلطانيّة [1] وتقدّم انه يقال كان فى الزمان المتقدّم ضريبتها كل يوم الف دينار وبها كاتب سرّ وناظر جيش وعدّة مباشرين متكلّمين على الجهات وبها حاجب الحجّاب كان قديمًا من الطبلخانات وثلاثة حجّاب وشادّ السلاح وشادّ الخُمس ومحتسب ومتولّى وشادّ البحر وحامٍ وغير ذلك مما يطول شرح ذكرهم، وبها اجناد المائتين وعدّتهم ثلاثمائة وستّون جنديًّا ولهم اثنا عشر مقدّمًا كل ثلاثين جنديًّا لهم مقدّم واوصافها كثيرة اختصرتها خوف الاطالة٭ والسابعة المملكة الصفديّة وكافلها من المعدودين وهو فى اليرق قريب من كافل حماة، واما السادة القضاة ففيها اربعة على اربعة المذاهب ولكل منهم نوّاب، واما الامراء ففيها امير كبير وحاجب الحجّاب ونائب القلعة وثلاثة طبلخانات وقريب من عشرين اميرًا عشرينات وعشروات وخمسوات ومباشروها وارباب وظائفها وجندها كانوا قديمًا قريبًا من ضريبة حماة وهو الآن دون ذلك وبها كاشف فى غاية الفخامة٭ والثامنة المملكة الغزّاويّة وكافلها يطلق فى حقّه مقدّم العسكر وكان بها الامير الطنبغا العثمانىّ من الملوك المشهورة، واما السادة القضاة ففيها اربعة على اربعة المذاهب ولكل منهم نوّاب، واما الامراء ففيها امير كبير وحاجب

[1] A omet tout ce qui suit jusqu'à وبها كاتب سر.

الحجّاب وبها طبلخانات وبها عشرينات وعشروات وخمسوات وطرائقهم
فى الامرة مثل امراء صفد، واما ارباب الوظائف فمملكة على العادة، واما
اجناد الحلقة فعدّتهم الف جندىّ ٭ واما بقيّة المدن والقلاع المقدّم
ذكرها فى الباب الاوّل فلكل واحدة منها نائب وتقدّم الكلام على مملكة
ملطية وان فيها اختلافًا هل هى مملكة بمفردها او مدينة باقليم فلأجل
ذلك ذكرنا نائبها مع جملة النوّاب ولم نذكره مع جملة الكفّال مع انه
كان قديمًا يتولّى نيابة ملطية الملوك الاعيان مثل منطاش صاحب
الوقعة المشهورة ودقماق الذى كان كافل حلب وكان بخدمته وهو نائب
ملطية جملة مستكثرة ومشتريات من جملتهم الملك الاشرف برسباى
تغمدّه الله برحمته وارسله فى جملة تقدمة الى الملك الظاهر برقوق
وليس فى النوّاب خلا ما ذكرناهم من الكفلاء من هو من جملة مقدّمى
الالوف الا نائب ملطية وبها ثمانية امراء طبلخانات وبها نيف عن
ثلاثين اميرًا عشرينات وعشروات وخمسوات وبها اربعة قضاة ثلاثة
منهم على مذهب ابى حنيفة وواحد على مذهب الشفعىّ وبها حاجب
كبير وكان قديمًا يخرج منها الف جندىّ وبها كاتبُ سرّ وناظر جيش
وارباب وظائف على العادة ٭ واما بقيّة نوّاب المدن والقلاع المقدّم
ذكرهم فمنهم من هو امير طبلخاناه ومنهم من هو امير عشرة وثمّ
مدن بها اجناد حلقة وحاجب ومدن ليس بها شىء ومدن بها
قضاة ومدن بها قاض واحد وجميع القلاع بها البحريّة ومتولّى الجسر
ونقيب وغلمان وبوّابون وحرسيّة وغير ذلك ولو اردنا وصف ما بذلك
وجميعه ما كنّا اختصرنا الاوّل ۞

الباب الحادى عشر

فى وصف امراء العربان ومشايخهم وامراء التركان والاكرد ووصف التجاريد والمهمّات الشريفة ونوادر اتّفقت فى ذلك بالمملكة اليمنيّة والديار البكريّة والجزائر القبرصيّة التى فتحت فى الايّام الاشرفيّة ۞

اما امراء العربان وقبائلهم فهى متعدّدة وتتشعّب الى جملة مستكثرة كل طائفة لهم امير ومن تحت امرة جماعة من الامراء تقدّم الكلام على ذلك فى الباب الرابع فى ذكر ناظر الجيوش المنصورة وكذلك امراء التركان وجماعتهم والاكراد وجماعتهم فى حكاية اوجبت ذكر ذلك بما يغنى اعادتها بهذا الكتاب ۞ واما التجاريد والمهمّات الشريفة فالتجاريد تنقسم على نوعين نوع الى الغزوات ونوع الى المحاربين البغاة سواء كان فى ذلك السلطان بنفسه او يعيّن من يختاره من جيشه فيكونون على يرق واستعداد من الخيّالة والرجّالة الرماة بحيث انهم اذا صاروا الى العدوّ المخذول هزموه مع الفروع والاصول واتّفق فى ذلك حكايات يطول شرحها ۞ واما المهمّات الشريفة فهى كلما طرت ضرورة لحراسة ثغر من الثغور او لشىء من الاطراف او حفظ ما يقتضى حفظه او ما يناسب ذلك فتعيّن جماعة من الامراء والجيش المنصور على اكمل اهبة واستعداد ويكون الطريقة فى ذلك دون طريقة التجاريد لانّ التجاريد باليرق

الكامل والخامل والمدوّرات ويكون أكبرهم مقامًا متأخّرًا عمّن هو دونه فى المنزلة حتى ان مدوّرة السلطان تنصب آخر الوطاقات قيل انها تحمل على مائة وعشرين جملاً ٭ واما النوادر التى اتّفقت فانّ الملك الاشرف ارسل الامير بكتمر السعدىّ وصحبته جيش الى المملكة اليمنيّة فى اوائل سلطنته ففتحوها وصارت تحت الطاعة الشريفة وهى مملكة متّسعة جدًّا بعيدة عن الديار المصريّة بمسافة شهرين ٭ واما الديار البكريّة فانّ الامير عثمان قرايلوك لمّا تعدّى طوره أُرسل اليه امراء مقدّمى الالوف اقتلعوا مدينة الرهاء منه ومسكوا ولده هابيل من قلعتها بعد ان اذاقوه النكر واحضروه الى الابواب الشريفة واستمرّ مسجونًا بقلعة الجبل الى ان توفّى ثم ان المقام الشريف الملك الاشرف جرّد فى سنة ستّة وثلاثين وثمانمائة الى مدينة آمد وحاصرها اربعين يومًا ولم يرتحل عنها حتى قتل اميرها وهو مراد بن عثمان قرايلوك وسأل اهلها الامان وارسل قرايلوك اليه تقدمةً وسأله العفو وهو بعيد عن آمد فقبل ذلك وارتحل واستقلع ايضًا مدينة خرتبرت وهى قلعة منيعة واتّفقت نكتة عجيبة وهو ان شخصًا مُسك وأُوتى به الى المخيّم الشريف على حصار آمد فانفلت من بين العسكر بكماله وهرب ورمى نفسه فى الخندق وجُذب الى المدينة ثم بعد مدّة يسيرة اتّفق لقرايلوك وقعة مع اسكندر بن قرا يوسف ملخّصها ان اسكندر المذكور قطع رأس قرايلوك وارسلها الى الملك الاشرف بالديار المصريّة وعُلّقت على باب زويلة واستقرّ ولده علىّ بك مكانه وارسل يترامى على مراحم السلطان ويسأله حسن النظر فى حاله وقرّر عليه تقدمة فى كل سنة وسأل من الصدقات الشريفة بانّه [1] يكون نائبًا بديار بكر من جهة

[1] بانه ان اقتضت الآراء الشريفة ان يكون الخ B

السلطان فاجابه الى ذلك وقرّره بمدينة آمد وارسل اليه تشريفًا وتقليدًا والكلام فى ذلك طويل. واما الجزائر القبرصيّة فانها من اعجب الجزائر واعظم مدنها الافقسيّة بها تخت الملك كان تعدّى على المسلمين وبغى فارسل السلطان نهاه عن ذلك فتكلّم بصفنته فارسل السلطان اربعة اغربة بها جيش ليكشفوا حقيقة الامر وما يعتمده ملك قبرص مع المسلمين وكان السلطان ارسل غرابًا موسوقًا هدايا الى ابن عثمان فارسل صاحب قبرص غرابين فاخذوه فلمّا توجّهت الاغربة الاربعة قال بعضهم شعر[1]

سيروا الى الاعداء واتوا بالخبَرْ	جهلًا بلا شكّ يكون ولا ضَرَرْ
لنبيدهم بسيوفنا وجنودنا	وتصير المقتول منهم فى سقَرْ

فسارت الاغربة الاربعة الى ان وصلوا الى رأس الباق من جزيرة قبرص فوجدوا مركبًا موسوقًا فهرب من به فاخذوا ما فيه واحرقوه ثم وصلوا الى الملسون فوجدوا ثلاثة اغربة مجهّزة لتسير الى السواحل وتؤذين[2] فاخذوا ما فيها واحرقوها ايضًا فظهر امير الملسون فكسروه وقتلوه واخذوا المدينة ونهبوا واحرقوا، فقال فى ذلك بعضهم شعر[3]

دخلنا ديار الكافرين وارضهم	فولّوا فرارًا من الم نصالنا
وصلنا عليهم صولة الاسد فى الفلا	فولّت خيول الكل خوف رجالنا
ضربنا ديارهم ومات اميرهم	وسوف ترى سلطانهم ما نوى[4] لنا

ثم انهم وجدوا حصن الملسون معنيًا تطول محاصرته فعادوا الى السلطان وصحبتهم الغنائم واعلموه حقيقة الامر ثم ان السلطان امر

(1) Mètre كامل. — (2) A et B *sic*. — (3) Mètre طويل. — (4) A مغنمًا.

بعمارة اغربة وهى الغزوة الثانية وشرع فى تحصين البلاد والسواحل ، فقيل فى ذلك شعر[1]

نحن الذى من حزمنا مع عزمنا خُضنا البلاد بكل ليث كاسر
لا خير فى ملك يكون مفرّطًا فى ملكه فلبئس فعل الخاسر
نعم المليك الشهم من هو حازم بسداد رأى ذو عُلىً وتجاسر

واما ما كان من جانوس صاحب قبرص لمّا بلغه ما حصل على الملسون ارسل غرابين مشحونين بالرجال والعُدّة الى سواحل مصر والشأم ليأخذوا من وجدوه من المسلمين فصاروا كلما وصلوا الى ساحل وجدوا عليه حرسيّة فجاءوا الى مكان يقال نهر الكلب ليأخذوا منه ماء فاطلقوا مدفعًا لينظروا إن كان به احد فاكمن المسلمون الى ان طلعت الفرنج البرّ ودقّوا عليهم فمسكوا منهم جماعةً واحضروهم الى السلطان بعد ان هربت الاغربة ومن بها مجرّحين ، فقيل فى ذلك شعر[2]

اتونا لشرب الماء لم يجدوا سوى رجال سقوهم سمّ موت المناقع
ولم يقدروا ان يطلعوا لبرورنا وولّوا الى بلدانهم بالفجائع
بسلّورة قد اجمعوا برجالها اباءهمُ اهل الهتق والطلائع

وقيل ايضًا فى المعنى شعر[3]

ما بالكم لا تحرشوا يومًا بنا نحن الصناديد الذى لا تُخدع
لا يقدر لخدّاع يدخل ارضنا منكم ولا يومًا الينا يطلع
انّ الخديعة شأننا فى حربنا لكنّ نتركها ولا نتضرّع
بل بالقوى نأخذكمُ ونبيدكم وترَوْن منّا كل موت يصرع
روحوا الى سلطانكم قولوا له يعطى لمصر الغُرم لا يتمنّع
من قبل ان يأتى اسيرًا عندنا ويصير عبدًا قوله لا يُسمع

ثم ان العمارة تكمّلت وهى خمس قراقير وتسع عشرة غرابًا وستّ

[1] Mètre كامل. — [2] Mètre طويل. — [3] Mètre كامل.

جمّالات برسم الخيول وثلاث عشرة خيطيًّا ونزل من عُيّن من العساكر المنصورة فيها وكان السير من طرابلس، وقيل فى ذلك شعر[1]

سيروا على اسم الله ذى الجلال ثم ابتغوا طريقة الحلال
واجتنبوا جلال كل سوء فانّها قبيحة الجلال

وكان بها من الامراء الامير جرباش[2] قاشق والامير يشبك المشدّ والامير مراد خواجة الشعبانىّ وكثير من الخاصّكيّة المطوّعين وغير ذلك وكان ذلك فى رجب سنة ثمان وعشرين وثمانمائة واستمرّوا سائرين الى ان وصلوا الى الماغوصة فطلعت الخيّالة وقدّامهم بعض المشاة، وقيل فى ذلك شعر[3]

قصدنا ارض قبرص راكبين جميعًا كالملوك متوّجين
على اعلى الاسرّة مثل ما جا عن المختار خير المرسلين
وبُشّرنا بنصر الله ابدًا لانّا من غُزاة الآخرين
قصدناهم بجمع ثم عزم على قتل الجميع مصممين

فارسل امير الماغوصه قصّاده يقال انا مملوك السلطان والمدينة مدينته والرعيّة رعيّته ونسأل فى الامان وعلّقوا الراية السلطانيّة على القلعة وارسل تقادم لها صورة ثم ان العسكر سار وكذلك المراكب واذا بجيش الفرنج اقبل وابن اخ[4] الملك معهم وصحبته الف خيّال وثلاثة آلاف ماش وقد صعد مكانًا عاليًا فلمّا رأى المسلمين وقع فى قلبه الرعب وولّى مدبرًا فلمّا وصلوا الى رأس العجوز وجدوا اميرًا من الفرنج ومعه جماعة جاءوا للكشف فمسكوه ولمّا وصلوا الى الملّاحة اقبل اليهم تسعة اغربة وقرقورة بها نيف عن الفى مقاتل من الفرنج وابن اخ الملك الذى هرب منتظر مجىء المراكب المذكورة فلمّا رأى القلوع وقد

(1) Mètre رجز. — (2) B شرباش. — (3) Mètre وافر. — (4) B laisse un blanc entre اقبل et الملك.

حطمت مراكب المسلمين على مراكب الفرنج فانكسر وهرب واخذوا مركبًا من مراكب الفرنج ، فقيل فى ذلك شعر[1]

ان تهربوا منّا فشأنكم الهرَبْ	انّ عليكم يا كلابًا للعرَبْ
هل لا ثبتم للقتال وضربنا	انتم معاذير توقّون العطب
فاخسوا جميعًا انتم ولعينكم	خشى الكلاب العاديات من الحرب

ثم ان بعض العسكر وجد عين الغزال وكان من خواصّ صاحب قبرص ومعه زردخاناه وهو قاصد الماسون فمسكوه ثم حاصروا الماسون محاصرةً شديدة الى ان ملكوه وهو اعظم حصون جزيرة قبرص واسروا من به وقتلوا خلقًا لا يحصى ، وقيل فى ذلك شعر[2]

بغوا وتعدّوا ثم ظنّوا بحصنهم	سيمنعهم من جيشنا المتشرف
فباتوا وجاهم جيشنا عند صبحهم	فافناهمُ قتلاً بما هو ليس فى

وقيل ايضًا فى المعنى شعر[3]

سلوا عنّا المدائن والحصون	ومن يحمى حماة الكافرين
يجيبك باننا اسد ضوارى	ليوث فى الحروب مقدّمون
نبيد حماتهم السيف قهرًا	ونخرب مدنها ثم الحصون

واخربوا البلدان واسروا اهلها وملكوا غنائم كثيرة ثم عادوا ، فقيل فى ذلك شعر[4]

طلبنا ارضنا من بعد قتل	واسر فى النصارى الكافرين
وتخريب البلاد بكل حرق	وهدم دائم للآبدين
طلعنا ارضهم اسدًا ضوارى	وجدناهم كلابًا صاغرين
قدمناهم بعسكرنا وعدنا	الى مصر بخير آمنين

فلمّا طلعوا الى قلعة الجبل المنصورة وصحبتهم الغنائم والاسارى كان يومًا

[1] Mètre كامل. — [2] Mètre طويل. — [3] Mètre وافر. — [4] Mètre وافر.

مشهورًا ثم بلغ السلطان ان ملك قبرص راسل ملوك الفرنج واستنجدهم على المسير الى ثغر الاسكندريّة ودمياط وبيروت وطرابلس وغير ذلك فامر السلطان بعمارة اغربة وحمّالات بجميع السواحل وابتاع قراقير حتى انها تجمّعت القراقير والحمّالات والاغربة والبرصانيّات والخياطى والقوارب قريبًا من مائة وثمانين قطعة وعيّن من الامراء الاعيان باشين احدهما بالبرّ وهو ثغرى بردى المحموديّ والآخر بالبحر وهو اينال الجكميّ وعيّن امراء وجيشًا فخمًا، فقيل فى ذلك شعر[1]

مماليك كُلِّد فى الوقائعْ	ملوكهمُ ليوث فى المعامِعْ
بنو ترك فكم تركوا قتيلاً	مجاهدًا كان يخشى فى الطلائعْ
شراكسة ليوث الحرب فازوا	بنصر الله والظفر المتابعْ
تجمّع فيهمُ اصلان اكرم	بذى الاصليى فى الحرب الممانعْ

وكان عسكرًا عظيمًا لا يكاد يقابل لقوّته ثم ساروا على بركة الله الى ان وصلوا جزيرة قبرص واتوا الى الحصن المقدّم ذكره وحاصروه الى ان اخذوه وارسلوا بريديًّا الى صاحب قبرص يأمروه بالدخول تحت الطاعة الشريفة فأبى واحرق البريديّ واخذ فى عرض عساكره وهو ثلاثة وعشرون الف خيّال وجهّز سبعة قراقير وسبعة اغربة حتى اذا ظهر عسكر الاسلام للقائه يحطمون على المراكب ويأخذونها وقطع وجزم انه هو الغالب فلمّا اقبلوا الى المسلمين لاقاهم المسلمون على الملك استعدادًا فحملوا على المسلمين حملة واحدة وكانوا بين غابة وشجر ففى الحال انكسروا وانهزموا وولّوا مدبرين ووقع ملكهم جانوس فى القبضة وقتل منهم ما لا يحصى عددهم الا الله، وقيل فى ذلك شعر[2]

نحن الذى نلقى العدى بصدورنا	لا نخبر[3] يومًا ولا عنّا سُمِعْ
واذا تكاثرت العُدى نسقيهمُ	برماحنا سمًّا بموت منتقعْ

[1] Mètre وافر. — [2] Mètre كامل. — [3] B نخبروا pour la mesure.

وندعهم طعم الوحوش لذى الفلا والطير والكلب العقور المفتجع
فلاجل ذا أُلِفَ الوحوش جيوشنا فلحيث ما سرنا تسير وتتّبع

وقيل فى هذا المعنى ايضًا شعر[1]

قد جاءنا سلطان قبرص جانيا منّا التقى لمّا التقينا ما جنا
فتفرّقت لجموعهم بسيوفنا جعت نعم اموالهم لجميعنا
لا غير فينا غير انّ جنودنا افنوا عساكرهم بانعذار القنا

غيره شعر[2]

اتانا طاغئُ الكفّار يبغى يصيد جاتنا منه برغم
قصدناه بحدّ السيف قهرًا وصيّرناه فى ذُلّ وهمّ
وقيّدنا بقيد من حديد وغلّ قد كساه كل غمّ

وكانت هذه الوقعة فى يوم الاحد مستهلّ شهر رمضان سنة تسع وعشرين وثمانمائة وقت الظهر وضبط من قتل فى تلك الوقعة من اهل الجزيرة ما يزيد عن ستّة آلاف نفر ثم انهم اودعوا جانوس بمراكب المسلمين وطلع بعض العسكر على جبل الصليب واخربوا الكنيسة واتوا بما بها من الغنائم وكذلك بالصليب وهو من ذهب عجيب من العجائب كان يتحرّك من غير محرّك لما فيه من الصنائع واتوا بالكيتلانىّ الذى اتا نجدة لصاحب قبرص ثم انّ الامير تغرى بردى المحمودىّ سار الى الافقسيّة وهى اعظم مدن جزيرة قبرص وبها تخت الملك فلمّا اقبل اليها وصحبه فرقة من العسكر واذا باكابرها واساقفتها وقسّيسها ورهبانها معهم الانجيل وهم داعون للمسلمين وطلبوا الامان فامّنهم الامير ثم فتحوا المدينة فدخل الامير والعسكر يوم الجمعة خامس رمضان وصعد الامير الى قصر الملك ووجد فيه فرشًا ومواعين لا تكاد تحصى

[1] Mètre كامل. — [2] Mètre وافر.

وتصاوير عجيبة وصلبان كثيرة ووجد يرغل[1] اذا تحرّك يخرج منه سائر الانغام المطربة ثم اعلن المسلمون بالتكبير والتهليل والاذان ثم عاد الامير الى العسكر بعد ما كسبوا غنائم كثيرة ثم انهم اقلعوا من بلاد الفرنج ووصلوا الى الديار المصريّة وطلعت الغنائم على رؤس ثلاثة آلاف جمّال واحمال محزومة على جمال وثلاثة آلاف وستّمائة يسير وملك قبرص راكب على بغل وامراؤه ووزراؤه مغلولون قدّامه واعلامه منكّسة واهل الديار المصريّة يتفرّجون عليهم الى ان وصل ملك قبرص الى حضرة السلطان الملك الاشرف، فانشد شعر[2]

يا مالكا ملك الدنا بحسامه ... انظر الىّ برحمة وتعطّف
وارحم عزيزا ذلّ وامنُن بالذى ... اعطاك هذا الملك والنصر الوفى
ان لم تؤمّنّى وترحم غربتى ... فبمن ألود ومن سواكم لىَ فى
فالله ينصركم ويُخلِد ملككم ... ويُديم نصركمُ ليوم الموقف

فانشد لسان حال السلطان شعر[3]

وانّا ان اردنا مُلك مَلْك ... عنت منه[4] الكتائب والجنودَ
فيعطى الجزية[5] او لا ... فيأتى فى السلاسل والقيود
ويسألنى الكلام فلا يساوى[6] ... واودعه المحابس والحديدَ

ثم توجّهوا به الى برج بالقلعة ثم ان السلطان شكر الامير تغرى بردى على فعاله وانعم عليه غاية الانعام فهناك قيل فيه ابيات كثيرة من ملخّصها شعر[7]

شكر الاله فعال ذى الرأى الوفى ... تغرىْ بردىْ المقرّ الاشرفى
ليث الحروب وغوثها وهمامه ... وإمامها ومشيرها بالمرهف

[1] A et B يُرغُل «orgue».
[2] Mètre كامل.
[3] Mètre وافر.
[4] A et B عمأت له.
[5] Il manque ici les syllabes pour la mesure ⏑ | – ⏑ ⏑ –.
[6] A فلا يجاب.
[7] Mètre كامل.

لمّا طغا جانوس صاحب قبرص	وانى بجيشه لا يعدّ بكل ق
لاقاهمُ تغرى بردى نعم ما	وسقى الاعادى سمّ موت متلف
لم تصبر الاعداء غير سويعة	الا واعطوا الظهر منهم والقفى
وغدوا هرابًا عن جنيس كلبهم	ورموه رمية كلب جفور نفى
فى الحال جآء به اسيرًا موهنًا	فى عنقه سيرًا من اللجم العفى
متعوس حافى الرجل مهروق الدما	فى ذلة وخسارة وترجّف
ملك البلاد إمامنا بسيوفه	من غير غدر لا ولا بتلطّف
وسبى الذرارى والنساء ورجلهم	وعلا على كرسى اللعين الاغلف
الله اكبر يا لدين محمّد	يا ثار ثغر اسكندر

ثم ان جانوس قرّر عليه جزية وسأل السلطان فى العفو عنه وانه يقيم ضمّان بذلك فاجابه السلطان الى سؤاله، وانشد فى المعنى شعر[1]

عفونا ومن شأن الملوك اولى النهى	بأن يتركوا الذنب العظيم عن الجانى
فلا خير فى شخص يرى العفو بدعة	عن المخطئ الجانى وان كان نصرانى

ثم انه اقترض من الفرنج بالممالك الاسلاميّة جملةً واقام بها والبس تشريفًا شريفًا واستقرّ نائبًا عن السلطان بالجزائر القبرصيّة وتوجّه الى ملكه ◆ وهذا الاتفاقيّة[2] من غرائب الدهر ۞

[1] Mètre طويل. — [2] A et B *sic*.

IMPRIMERIE NATIONALE.

الباب الثانى عشر

فى حوادث الدهر التى من اهلها وقع فى الضنك والقهر وما ورد فى ذلك من الحكايات والنوادر ليكون كل ذى لبّ عليه محافظًا واليه مبادرًا ۞

وهذا كثير ما يحتاج اليه الخاصّ والعامّ، وما يفهمه الانسان سواء كان فى يقظة او منام ، ليس يخفى عن العلماء وارباب التواريخ قصّة شدّاد بن عاد صاحب ارم ذات العماد وما كان فيه من الملك وما فعله وما حصل عليه وهذا امر مشهور لكن نبذة منه ليقف عليها من لا يعرف امره وهو انه كان ملكًا شديد البأس ذا قوّة عظيمة وجمع كثير وقلاع متعدّدة وملك متّسع واموال عزيزة وذات جميلة فبينما هو ذات يوم على سرير ملكه سأل بعض جلسائه اتمّ نعمة اعظم من هذه فقال اما فى الدنيا فلا واما فى الآخرة فربّما فقال فما وصف الآخرة فقال الجنّة التى يصفها المدعون بالنبوّة قال انا اصنع احسن منها فيقال ان نبىّ ذلك الزمان دعاه الى الاسلام ووصف له الجنّة ويقال غير ذلك والكلام فى هذا المعنى كثير والمقصود منه ما فعله وما حدث له فامر بجمع جميع المهندسين وارباب آلات العمائر بجميع الاقطار وامرهم بعمارة جنّة يكون وصفها وصف جميع ما فى الجنّة وجمع جميع ما يحتاج اليه واقام لها سورًا لبنةً من ذهب ولبنةً من فضّة وعمّر بها قصورًا من الزبرجد والبلّور واليشم والعقيق والزمرّد [1] ورصّع القصور بالدرر

[1] B والمرمر .

والجواهر وعمل اخشابها الصندل والعود وفرش ارضها بالزعفران وجعل
طينها مسكًا وغرس اشجارًا وجعل بها انهارًا من خمر وعسل وماء صافٍ
ولبن واستعمل لها بسطًا عجيبة من عجائب الدنيا من الحرير الابريسم
منقوش عليها تصاوير عجيبة وجعل بها اسرّةً من قضبان الزبرجد
وعملها بصفائح الذهب المكلّلة بالجواهر وفرش الفرش الملوّن محشوّة
ريش النعام وبسط الملاوات لخزّ والديباج المزركشة والمقاعد المذهّب
بالسمّور والقاقم والوشق وما اشبه ذلك وجعل الاوانى من الذهب
والفضّة والعالى منه من الجوهر المجوّف واطبق بها من سائر الطيور
المفتخرة اصحاب الاصوات الشجيّة وجعل سبعة آلاف بنت بكر كل
واحدة احسن من الاخرى ليس لهنّ نظير لابسات الاقمشة الفاخرة
التى تحيّر الواصف فى وصف بعضها لكل واحدة منهنّ الف جارية
حسناء وجعل لهذه اشياء مفردة يتعجّب منها السامع وكلّما وضع بها
شيئًا يقول له ارباب دولته ما يدخل مولانا الملك فينظر هذه الاوصاف
العجيبة فيقول ما ادخلها حتى تكمل ولا يبقى لها عاقة وتصير كالجنّة
فانّنى ان دخلتها الآن تصغر عندى فلم يزل كذلك الى ان كمّل جميع
احوالها وصارت كما قال بعضهم توقّعْ زوالاً اذا قيل تمّ فحينئذ ركب
جواده وجميع عساكره ينهارعون قدّامه الى ان وصل الى بابها واراد
الدخول فجاءه ملك الموت فقبض روحه تلك الساعة ولم ينظر اليها
جملةً كافيةً ثم ان الله سبحانه وتعالى ارسل عليها ريحًا فاقتلعها فصارت
سائرة بين السماء والارض، هذا على وجه ووجه آخر ان الباقى ذربها
وهى بلاد الهند وللعلماء فى ذلك وجوه وملخّص الحكاية ان حوادث
الدهر من هذا النوع اكثر من ان يوصف. واما ما اتّفق لفرعون مع
موسى الكليم عليه السلام فمن عجائب الدنيا وقتل فرعون الصغار ثم ان
موسى عليه السلام تربّى عنده وكان السبب فى قتله ولا فائدة فى

التطويل فإن القصّة مشهورة ٭ واما قصّة يوسف عليه السلام وما فعلوه به اخوته وما قصدوه وما حصل له وعليهم فمن اعجب العجائب والقصّة ايضًا مشهورة ٭ وما اتّفق لاحد الخلفاء الفاطميّين انه قصد الفرار من الدنيا والتقلّع عن الملك وما حصل له وخلاصة القصّة انه لمّا ساح وقع فى اسر الفرنج وصاروا يستعملونه فى رعى الخنازير ثم منّ الله عليه بعوده لملكه بعد وقائع يطول شرحها ٭ واما ما اتّفق لبعض الملوك انه كان له ابنة عمّ وكان يحبّها محبّةً بالغةً وكان حسن المنظر لطيف الذات وكان اذا اراد ان يقبّل المذكورة تمتنع منه وتبالغه بالكلام المنكى والحكاية طويلة وملخّصها انه وجدها تعشق عبدًا زبّالاً فمسكهما وحزّ رؤسهما بعد امور كثيرة ٭ واما اتّفق للامام علىّ كرّم الله وجهه من تربيته لعبد الرحمان ثم انه قتله وهو واقف فى الصلاة والحكاية مشهورة ٭ واما ما اتّفق للامير يلبغا الخاصّكىّ انه ظفر بالسلطان وقتله وجعله بمصطبة بداره كلّما نزل عليها ويدكّ برجله وانه اشترى ثلاثة آلاف وخمسمائة مملوكًا ليكونوا له عونًا فركبوا عليه وقتلوه وجعلوا رأسه بمشعل وداروا به المدينة ٭ واما ما اتّفق للملك الاشرف شعبان بن حسين انه زوّج والدته للامير الجاى اليوسفىّ اتابك العساكر المنصورة ليكون له ظهرًا ومعينًا وتخشاه اهل المملكة كونه هو واياه شىء واحد فركب عليه واراد قلع المملكة منه فثاروا عليه العوام الى ان ألقى نفسه بجواده ببحر النيل المبارك[1] ٭ واما ما اتّفق للملك الظاهر برقوق فانه اشترى مملوكًا يسمّى عليًّا باى وربّاه الى ان فخم ورقّاه المناصب العليّة واراد بذلك انه يكون له عونًا فركب عليه واراد اقتلاع الملك منه فمُسك وقُتل والحكاية طويلة ٭ واما قصّة الملك الناصر فرج ووقائعه وما

[1] B ajoute كان قياس كل منهم بحروم.

اتّفق له من قتله بالشأم والقائه على المزبلة وكل من كان رأى منه شنأان يأتى اليه ويضربه بما فى رجله والقصّة مشهورة يطول شرحها٭ وما اتّفق للملك المؤيّد من قتل ولده خوفًا ان يأخذ الملك منه وما ابتلى به من الزمان ووقائعه واخذ الملك الغريب الاجنبىّ والحكاية مشهورة٭ وقد وجدت فى ديوان الملك الكامل صاحب حصن كيفا اشعارًا مكتوبةً فى المعنى شعر[1]

الدهر جار فتاه من غدراته ... ما كان احلى الوصل فى ليلاته
لجا وكدّر صافيا من ورده ... قبحت خصائله على حركاته
فاصبر له صبر امرىء ذى همّة ... فالدهر لا يبقى على حالاته
كم مرّة عسر ويسر بعدها ... واليسر بعد العسر فى ساعاته
واذا اتتك قضيّة فاصبر لها ... من يصبرن اضاق صدر عُداته
وادعوا الإله تضرّعا مع ذلّة ... انّ الذليل يجاب فى دعواته
فالدهر عادته يذلّ عزيزه ... ويرى الاساءة فى يدى حسناته
إن قابل الدهر المشتّ بحادث ... فاثبتْ اذا ادّى على وثباته
إن عاند الدهر الخؤون فلا ارى ... عجبًا لقد عادى على عاداته
واصبر على الاحداث فيه فربّما ... لم يحرم الفطن اللبيب هبّاته
وينال منه الجاهلون جناءهم ... وارى اللبيب على شفا غدراته
واذا يساعدك الزمان فكن على ... حذر ولا تركن الى عثراته
فالدهر مثل الظلّ ليس له بقا ... كم من أناس هدّ فى سطواته
فالدهر اقبال وادبار به ... كم من سعى ويخيب فى مسعاته
سلّم لربّ العرش امرك كلّه ... فلعلّ تأمن يا فتى غدراته

وله ايضًا شعر[2]

الدهر يومان صفو ثم تكدير ... وشرّة بعدها لا شكّ تيسير
كم شدّة بعدها يسر وعظم هنا ... وكم هنا بعده همّ وتعسير
جار الزمان علينا فى تصرّفه ... حتى استوى فيه شاهين وعصفور
كم ساعة احزن الانسان اوّلها ... وفى اواخرها الانسان مسرور
لا بارك الله فى دهر يكون به ... اردى البيوت عليّا مشرف الدور

[1] Mètre كامل. — [2] Mètre بسيط.

فاصبر لدهرك ان الدهر ليس له … بقا ولا ينفع المحتوم تدبير
وروّح النفس واعلم حقّ معرفة … فوق المدبّر للرحمن تقدير
ولا تكن قانطا ان الزمان به … صفو اذا ما اتاك اليوم تكدير
وسلّم الامر لله الكريم ولا … تكن كمن هو بالايّام مغرور
دواك صبرك فاستعمله ما بقيت … لك الحياة الى ان ينفخ الصور

وله ايضا شعر[1]

الدهر ما يعطى يقينا يسلب … هذا عوائده فلا تتعجّبوا
وانا امرء قد كان شربى فى الهوى … صافى تكدّر من صديق المشرب
هذا جزا من يطمئنّ الى العدى … ويرى البشاشة حين يأتى العقرب
كل امرء يبدى العداوة معلنا … فتوقّ عنه وبابه لا تقرب
واتركه لو ابدى الصداقة والوفا … واصبر له فالصبر فيه المطلب
والصبر مرّ كاسمه يسقى به … لكن بآخره يقينا يعذب
والدهر لا يبقى على حالاته … لكنه من طبعه يتقلّب
لا تجزعنّ اذا اتتك كريهة … واصبر لها صبر آمرء لا يرهب
فالصبر فيه الامن من كيد العدى … والله يبقى والخلائق تذهب

وله ايضا شعر[2]

الدهر يورى للانام عجائبا … يلقى الشريف به عذابا واصبا
شبّهت هذا الدهر سفنا قد جرت … كم ناجيا منها وآخر راسبا
قل للذى قد لامنى من جهله … الدهر اطوار فلا تكُ كاذبا
فالخير يعطى للدنىّ وكم ارى … للخير من اشراف قوم حاجبا
فالبدر ينقص فى السماء كماله … ويلازم الرتب الكمال كواكبا
فالدهر لا يبقى على حالاته … كم يلتقى الانسان فيه عجائبا
يا لائمى فى الدهر كن لى عاذرا … اياك يوما ان تكن لى عاتبا
فالدهر يجعل للسباسب ابحرا … والبحر يجعله الزمان سباسبا
لا تطمئنّ لذا الزمان واهله … فالدهر اشراك المهالك ناصبا
كم من شريف خاضع متذلّل … اضحى لفضل لئيم قوم طالبا
كم من صديق صدقه لك قد غدا … كذبا ومنه الشرّ اضحى جالبا

(1) Mètre كامل. — (2) Mètre كامل.

واذا صفوتَ له غدا متكدّرًا ... واذا دنوتَ له تنحى جانبا
دعه ولا تركن اليه فانه ... مثل الافاعى حيث كنّ عواربا

ولهُ ايضًا شعر[1]

واحسرتاهُ لم يبق خلّ منصف ... كلّا ولا معرن لا متعطّف
بل كل من ارجو لكشف ملمتى ... إمّا يخون العهد امّا يسرف
ولقد بذلتُ الجهد فى طلب الوفا ... لم الق فى الدنيا صديقا ينصف
الا صديقا خلتُه لى ناصرًا ... واخترتُه عونا ولا اتكلّف
وجعلته لى عزّةً ألقا العدى ... ورجوت عهدًا بيننا لا يخلَف
وظننته يبقى علىّ ولو جفى ... اهل الوفا فهو الوفىّ المنصف
لما تمادى فى الصداقة برهةً ... والدهر عن حال الصداقة يكشف
ترك المواثيق القديمة بيننا ... ورمى يمينه كاذبةً لا يحلف
ايّاك ايّاك الصديق فانّه ... بعد الصداقة بالعداوة اعرف
فأنا الذى قد ساءه اصحابه ... الله يحفظ كل من لا يعرف

ومما سمعته لبعض الفضلاء فى المعنى شعر[2]

تالله لو عاش الفتى من دهره ... الفا من الاعوام مالك امره
متنعّما فيها بكل غريبة ... ومبلّغا فيها نهاية امره
لا يعرف الاسقام فيها دائمًا ... كلّا ولا تجرى الهموم بفكره
ما كان ذلك كله مما يفى ... بمبيت اول ليلة فى قبره

تمّ وكمل بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، صلى الله
على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وسلّم
تسليمًا كثيرًا ، وحسبنا
الله ونعم
الوكيل
م

(1) Mètre كامل. — (2) Mètre كامل.

فهرسة

الباب الثانى

الباب الثالث

الباب الرابع

الباب الخامس

الباب السادس

الباب السابع

الباب الثامن

الباب التاسع

الباب العاشر

الباب الحادى عشر

الباب الثانى عشر



ZOUBDAT
KACHF EL-MAMÂLIK

TABLEAU POLITIQUE ET ADMINISTRATIF
DE L'ÉGYPTE, DE LA SYRIE ET DU ḤIDJÂZ
SOUS LA DOMINATION DES SULTANS MAMLOÛKS
DU XIII^e AU XV^e SIÈCLE

PAR KHALÎL EḌ-ḌÂHIRY

TEXTE ARABE PUBLIÉ
PAR

PAUL RAVAISSE
CHARGÉ DE COURS À L'ÉCOLE DES LANGUES ORIENTALES VIVANTES



PARIS
IMPRIMERIE NATIONALE

ERNEST LEROUX, ÉDITEUR
LIBRAIRE DE LA SOCIÉTÉ ASIATIQUE ET DE L'ÉCOLE DES LANGUES ORIENTALES VIVANTES
RUE BONAPARTE, 28

M DCCC XCIV [1894]

فهرسة

الباب الثانى

الباب الثالث

الباب الرابع

الباب الخامس

الباب السادس

الباب السابع

الباب الثامن

الباب التاسع

الباب العاشر

الباب الحادى عشر

الباب الثانى عشر



ZOUBDAT
KACHF EL-MAMÂLIK

TABLEAU POLITIQUE ET ADMINISTRATIF
DE L'ÉGYPTE, DE LA SYRIE ET DU ḤIDJÂZ
SOUS LA DOMINATION DES SULTANS MAMLOÛKS
DU XIII^{e} AU XV^{e} SIÈCLE

PAR KHALÎL EḌ-ḌÂHIRY

TEXTE ARABE PUBLIÉ
PAR

PAUL RAVAISSE
CHARGÉ DE COURS À L'ÉCOLE DES LANGUES ORIENTALES VIVANTES



PARIS
IMPRIMERIE NATIONALE

ERNEST LEROUX, ÉDITEUR
LIBRAIRE DE LA SOCIÉTÉ ASIATIQUE ET DE L'ÉCOLE DES LANGUES ORIENTALES VIVANTES
RUE BONAPARTE, 28

M DCCC XCIV [1894]

